ديكاميرون

(ألف ليلة وليلة الأيطالية)

لعميد أدباء عصر النهضة : جيوڤاني بوكاشيو

مطبوعات كتابي

الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية

يصدرها : حلمي مراد



١٠ قروش

جیوفانی بوکاشیو

دیکامیرون



DECAMERON

OF : GIOVANNI BOCCACCIO

مطبوعات

كتابي

الترجمة الكاملة لشوامخ الكتب العالمية
يصدرها : حلمي مراد

« شعار كتابي »

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الثالث عشر

ديكاميرون (ألف ليلة وليلة الايطالية)

تأليف : جيوفاني بوكاشيو
ترجمة : اسماعيل كامل

الادارة : عمارة الجندول ، ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦

مجموعة « كتابى »

(الكتاب الشهرى لتلخيص الكتب العالمية)

صدر منها حتى الآن خمســـون كتابا ، يضاف اليها كتاب جديد أول كل شهر ٠٠ وفيما يلي قائمة الكتب التى صدرت :

خطايا الحب وكتب أخرى ٠ قلب عذراء ٠ الهاربة من الجنة ٠ حواء الجديدة ٠ أحدب نوتردام ٠ جريمة حب ٠ عشيقة نابليون ٠ مذكرات كيوبيد ٠ صنم تحطم ٠ حديقة الله ٠ عندما تحقد المرأة ٠ لعبة الحب والموت ٠ توبة خاطئة ٠ أيها الربيع ترفق ٠ الشيطان على الأرض ٠ ليدى هاملتون ٠ الأرملة المرحة ٠ حياة جورج صاند ٠ حياة سارة برنار ٠ رباعيات عمر الخيام ٠ حياة بيتهوفن ٠ حياة موسولينى ٠ كوخ العم توم ٠ الزوج والعشيق ٠ البوهيمية ٠ فتاة لها ماض ٠ ترويض النمرة ٠ فن الحب ٠ الجريمة والعقاب ٠ المنافق ٠ أميرة مصر ٠ الأمطار ٠ أفرديت ٠ أقنعة الحب السبعة ٠ سالومى ٠ الأعداد : ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ٤٩ـ ٥٠

◆ وتطلب من ادارة كتابى : ١٤ شارع ٢٦ يوليو (فؤاد الأول سابقا) بالقاهرة (عمارة الجندول) ، وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالص أجر البريد المسجل ، ما عدا العددين العاشر والعشرين ، وثمن كل منهما ٢٠ قرشا ٠ والأعداد ١٣ ، ١٦ ، وابتداء من العـــدد ٢٥ ، ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا ، أما الأعداد الستة الأولى فقد نفـدت ، والادارة مستعدة لشرائها ٠

◆ الاشتراكات : عن سنة (١٢ عددا) : فى مصر والسودان : ١٢٠ قرشا وفى العراق وسوريا ولبنان والأردن والحجاز : ما يوازى ١٤٠ قرشا مصريا وفى الكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وأمريكا وفرنسا واستراليا قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة) خالصة أجر البريد ، وفى ألمانيا ١٦٠ قرشا بخلاف أجر البريد الجوى ٠

◆ ملحوظة : ترسل قيمة الأعداد والاشتراكات : فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على أحد بنوك القاهرة أو بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد Money Order

مطبوعات كتابى

صدر منها : قصة مدينتين ، ذات الثوب الأبيض ، الخالدون ، الخاطئة ، حياة امرأة (جزءان) ، الخطيئة الأولى ، أوديب ، مدام بوفارى (جزءان) ، عاشقات فى الخريف ، قلوب ضالة ٠ وثمن كل من الأول والرابع والسابع ٢٠ قرشا ، والثانى والثامن والتاسع والعاشر والحـادى عشر ١٢ قرشا ، والثانى عشر ١٤ قرشا ، والثالث والخامس والسادس ١٠ قروش (خالص البريد المسجل)

عشرون قصة .. وقصة !

عزيزى القارىء ..

• **بهذا** العدد من «مطبوعات كتابى» ، أنتقل معك الى المجلد الثالث من ربيبة «كتابى» ، التى تقدم لك الترجمة الكاملة - الأمينة - للشوامخ العالمية

واذا كنا قد حلقنا معا - فى الأعداد الاثنى عشر السابقة - فى آفاق الآداب الانجليزية ، والفرنسية ، والايطالية ، والنمسوية الحديثة .. وعرجنا خلال ذلك على جو (اليونان) القديمة ، فعشنا مع «سوفوكل» - فى عدد ديسمبر سنة ١٩٥٥ - فى مأساة «أوديب» .. وطفنا فى الشهر الماضى بأجواء الشرق حتى استقر بنا المطاف فى الهند ، واخترنا من مؤلفات «تاغور» أول قصة طويلة ، كاملة - وخالدة - تترجم من الأدب الهندى الى اللغة العربية ..

اذا كنا قد ارتدنا هذه الأجواء الشائقة فى الأعداد السابقة ، فاننى أنقلك فى هذا العدد الى جو آخر ممتع غاية الامتاع ، مشوق كل التشويق .. جو الأدب الايطالى فى القرن الرابع عشر .. وقد اخترت لك منه تحفة «بوكاشيو» الخالدة : «ديكاميرون» ، أو «الأيام العشرة» ، التى كانت ضوءا بدد الظلمات التى اكتنفت الأدب الغربى عامة - لا الايطالى وحده - قبل عصر النهضة فى أوربا .. (اذ أنه كتبها فى نهاية العصور الوسطى ، ومطلع عصر النهضة .. بالضبط !)

ويعتبر كتاب « ديكاميرون » من أكثر الكتب ازدحاما بالدراسات الانسانية ، كما ان امتلاءه بالشخصيات والألوان يجعله أصدق صورة للحياة فى القرن الرابع عشر ، فى ايطاليا .. وهو فوق هذا من أعمق المؤلفات أثرا فى الأدب الغربى والأدباء ، حتى لقد نهل من عيونه كثير من أقطاب هذا الأدب فى مختلف الدول الاوربية ، نذكر منهم - على سبيل المثال ، لا الحصر - : «شكسبير» و «شوسر» و «داريدن» و «كيتس» و «تنيسون»

فى انجلترا ٠٠ و «هانس ساخس» فى ألمانيا ٠٠ و «موليير» و «لافونتين» فى فرنسا ٠٠ الخ

ولقد بلغ من روعة «ديكاميرون» أن الانجليز يرون تراثهم الذى يفخرون به ـ وهو «الحكايات المائة المرحة» ـ عملا بدائيا «بربريا» بالنسبة اليها ٠٠ كما يرون أنها تفضل « قصص كانتربرى» لأن الأخيرة ذات جو حزين قاتم ٠٠ واذا عرفت أن الانجليز يعتبرون تحفة «شوسر» هذه : «قصص كانتربرى» ـ التى أرجو أن أقدمها لك يوما ـ من أثمن كنوزهم الأدبية ، استطعت أن تقدر قيمة « ديكاميرون » ٠٠

هل اقتبس بعض قصصه من « ألف ليلة وليلة » ؟

◆ **واذا** اتجهنا الى الأدب الشرقى ، لم نتمالك ان نرى شبها كبيرا واضحا بين «ألف ليلة وليلة» و «ديكاميرون»٠٠ بل ان المؤرخين فى الأدب يؤكدون أن «بوكاشيو» اقتبس بعض قصص الكتاب عن الأدب العربى ، كما اقتبس بعضها الآخر عن الأدب المصرى المحلى فى عصره والعصور الوسطى ٠٠ وستلمس بنفسك هذا الاقتباس ، حين تقرأ الكتاب ٠ حتى سخرية «بوكاشيو» من رجال الدين ، تجد لها نظيرا فيما انطوت عليه قصص «ألف ليلة وليلة» من سخرية بشخصية «القاضى» فى الحياة الشرقية القديمة ٠٠ ولقد حاول بعض النقاد الغربيين ان يفضلوا «ديكاميرون» على «ألف ليلة وليلة» بدعوى أن الاخراج فى الأولى كان أروع منه فى الثانية ، لأن «بوكاشيو» اختار لرواية قصصه عشرة رواة ، فى حين أن الراوية فى «ألف ليلة وليلة» كانت واحدة ، هى «شهرزاد»٠٠ ولكنى أعتقد أن هذا التفضيل مبنى على تحيز وتجن ، بدليل أن هؤلاء النقاد أنفسهم، اعترفوا بأن شخصيات الرواة العشرة فى «ديكاميرون» كانت ذات دور تافه ، وكانت متشابهة بحيث أنك اذا أخذت قصص أحد الرواة ونسبتها الى راوية آخر ، لما تغير من المعالم الفنية للكتاب شىء ـ (بخلاف الحال فى «قصص كنتربرى» مثلا ٠٠)

لكل يوم من الأيام العشرة «طابع» خاص !

◆ **ولقد** كانت مهمة «توضيب» الباقة الأولى التى أقدمها لك من «ديكاميرون» فى هذا الجزء الأول منه ، مهمة شاقة فى حد ذاتها، لأن «بوكاشيو» قسم كتابه الى عشرة «أيام» ، تتميز قصص كل يوم منها بطابع خاص : فمنها مايدور حول كيد النساء ، ومنها مايدور حول كيد الرجال !٠٠ ومنها مايروى أمثلة على وفاء الأزواج أو الزوجات ، ومنها ما يقص قصص خياناتهم ! ٠٠ ومنها ما يدلل على سعة الحيلة ، وسرعة البديهة ٠٠ ومنها مايدور حول الصداقة، والبخل، والنفاق٠٠ ومنها مايسخر من الملوك ورجال الدين ٠٠ الى آخر تلك «التشكيلة» العجيبة من القصص الفذة التى ابتدعها خيال منعدم النظير !

ويبدو أن «بوكاشيو» بدأ كتابه متحفظا ، فكانت قصص اليوم الأول أشبه بالمواعظ والحكم الطريفة ٠٠ ثم جرفه تيار الخيال والالهام ، فأخذ يخرجه عن تحفظه يوما بعد يوم ، حتى انتزعه منه تماما ابتداء من اليوم الخامس ! ٠٠ ولما كانت الترجمة الأمينة لهذا الكتاب الشامخ بأكمله تشغل من صفحات «مطبوعات كتابى» نحو الثمانمائة صفحة ، لذلك رأيت أن أقسمه الى ثلاثة أو أربعة أجزاء - أقدمها لك فى فترات متباعدة - نظرا لأن كل قصة من قصصه عبارة عن وحدة كاملة مستقلة بذاتها عما عداها ، ومن ثم لن يضيرك أن تقرأ فى كل جزء نحو عشرين قصة كاملة منها ، تخفف عنك بهزلها المرح شيئا من جد الحياة وواقعها المضنى ٠٠ الى أن يطالعك الجزء التالى بعشرين قصة أخرى من المجموعة ، بعد بضعة أشهر ٠٠ وهكذا

٠٠ على اننى حرصت فى انتقاء قصص كل جزء من هذه الأجزاء على أن يكون ممثلا للأيام العشرة جميعا ، بحيث يتضمن قصتين أو ثلاثا من قصص كل يوم منها ، وبالتالى يعطيك نماذج لكل طابع أو لون من ألوان قصص تلك الأيام العشرة ٠٠ بدلا من أن أسير فى ترجمة الكتاب على الترتيب الذى وردت به فى الأصل ، فأقدم لك فى كل جزء المجموعة الكاملة لقصص يومين أو ثلاثة أيام فقط ، دون أية قصة من قصص بقية الأيام !

ولا ينبغى - بعد ذلك - أن أشغلك طويلا عن الاستمتاع بالكتاب ذاته ٠٠ لذلك أتركك لتتنسم أزهار الباقة الأولى من «ديكاميرون» !

حلمى مراد

قصة الكتاب ومؤلفه

بوكاشيو .. وأيامه العشرة !



◆ **يندر** أن نجد كتابا فى الغرب - بل وفي الشرق - ترك من الأثر فى الأدب والأدباء، مثل هذا الكتاب الذى تقدمه لك « مطبوعات كتابى » اليوم، والذى أطلق عليه صاحبه اسم « ديكاميرون » ، أو « الأيام العشرة » - كما تعنى هذه الكلمة الايطالية المركبة - أو « ألف ليلة وليلة الايطالية » كما يحلو للبعض أن يسموه ، فى ضوء المادة التى يضمها ..

وقد لا تحتاج سيرة مؤلفه « جيوفانى بوكاشيو » الى أكثر من سطور قلائل ، رغم ما اكتسبه لنفسه - بهذا الكتاب - من خلود فى دنيا الأدب العالمى ، على مر الأجيال ! .. فقد جاء هذا الكاتب ثمرة علاقة قامت فى سنة ١٣١٣ فى (باريس) ، بين تاجر ايطالى يدعى « بوكاشيو دى كلينو داشيرتالدو » - مارس التجارة فى العاصمة الفرنسية بين سنتى ١٣١٠ و ١٣١٤ - وبين فتاة فرنسية اقتبس اسم « جيوفانى » من اسمها : « جان » ! .. ونقل الوليد فى سنة ١٣١٤ الى (فلورنسا) ، حيث انتقل أبوه بتجارته ، وحيث بادر الأب الى الزواج من فتاة ايطالية أنجبت له ابنا شرعيا !

وقضى « جيوفانى » صباه بين (توسكانى) و (ايطاليا) ، متنقلا بين (شيرتالدو) مسقط رأس أبيه ، و (فلورنسا) ، حيث التلال التى دار بينها كثير من وقائع الديكاميرون . ثم أوفد ـ وهو ما زال بعد فتى ـ الى (نابولى) ، ليدرس التجارة . **وهناك ، التقى بـ « فياميتا ماريا داكينو » ، الابنة غير الشرعية لملك نابولى ، فقام بينهما غرام من ذلك النوع الذى ترسله الأقدار للقلة المختارة ، كى يلهمهم ويدفع بهم الى المجد ، ويوحي اليهم بما يجعلهم أقطابا للأدب ، تبزغ أضواء عبقريتهم في أوطانهم ، ثم تشتد ، وتنتشر ، حتى تشمل العالم بأسره ، والعصور المتوالية !**

وهكذا كان هذا الغرام مصدر الهام لجيوفانى خلال الاثنتى عشرة سنة التى سبقت موت « فياميتا » فى سنة ١٣٤٨ ، اذ راحت ضحية « الموت الأسود » ـ الطاعون ـ الذى اجتاح أوربا فى ذلك العام ، ففتك بثلاثة أخماس سكان فلورنسا ، وسيينا ، ونابولى ، واستشرى فى كافة ربوع أوربا . وكان انتاج « جيوفانى » فى تلك الفترة ـ التى تؤلف باكورة حياته الأدبية ـ قائما على دراسات وتحليلات نفسية . ثم جاء موت « فياميتا » صدمة قاسية تركت فى حياته فراغا لم يجد ما يملأ به بعضه سوى صداقته لبترارك ، الشاعر الذى توج ملكا على الشعر الايطالى فى روما

موت الحبيبة .. يقضى على ملكة خياله !

◆ **ولكن** أثر موت « فياميتا » لم يقتصر على الفراغ العاطفى ، بل الأرجح انه ترك فراغا روحيا قضى على ملكة الخيال عند « جيوفانى بوكاشيو » ، فلم يعد ينتج فى ميدان القصة ، وانما جنح الى نوع من الدراسات الأدبية ـ كان من ثمرتها كتابه عن « حياة دانتى » ـ والى اللغة اللاتينية ، والى الدراسات الأثرية .

وكانت مؤلفاته فى اللاتينية معاجم لباكورة عصر النهضة فى أوربا ، كما كان له الفضل فى المحافظة على أشعار «هوميروس»، للأدب العالمى الحديث .. فبينما تولى هو ايواء الشخص الذى كان يرويها ، اضطلع « بترارك » بمهمة كتـابة ما كان ذلك الشخص يرويه !

وفيما عدا صداقته لبترارك وأسرته ، وانتـاجه الأدبى ، كانت حياة « بوكاشيو » بعد وفاة « فياميتا » سلسلة متصلة الحلقات من الحزن والأسى ! .. فقد كان صريع الوحـدة ، والفقر ، والخوف الدائم من الموت ! .. ولم يجد من التقدير ما يدفىء قلبه المقرور ، اللهم الا فى أواخر عمره ، حين دعى الى القاء محاضرات فى (فلورنسا) عن « دانتى » وأشعاره ، فألقى أولى هذه المحاضرات فى سنة ١٣٧٣ ، وهو فى الستين من عمره . ولم يستطع أن يتم البرنامج الذى كان قد رسمه لهذه الدراسات ، بل اضطره الضعف والمرض الى أن يعـود الى (شيرتالدو) . وفى صيف سنة ١٣٧٤ ، مات « بترارك » ، فلم يعش « جيوفانى بوكاشيو » بعده طويلا ، اذ لفظ آخر أنفاسه فى ٢١ ديسمبر سنة ١٣٧٥

واذا كانت « فياميتا » فى حياتها قد أوحت لبوكاشـيو بمؤلفاته الأولى ، فقد كانت ـ فى الواقع ـ الملهمة الأولى ، والشخصية الأولى أيضا ، فى أكثر مؤلفاته خلودا ، وهو : الديكاميرون .. حتى بعد موتها ! (اذ أنه أتم هذا الكتاب بعد موتها !) .. ومن الطريف حقا ان نلاحظ ان هذا الكتاب الذى يعد خير مثل لنبوغه ، وروحه ، ومدى تسامحه وحبه للجنس البشرى ، هو بالذات نسيج فريد بين مؤلفـاته ، اذ أنه على النقيض منها كلها : فبينما نجد ان مؤلفاته الأخرى ذات طابع شخصى يعكس مشاعره الخاصة من حب وحقد ، نرى انه فى « الديكاميرون » قد جهد وسعه كى لا يظهر على مسارح قصصه،

وكان كل دوره ان تكلم خلال المائة قصة مرة أو مرتين ، وخارج نطاق القصص ذاتها • وكان حريصا فى معالجته لعقد وأحداث تلك القصص ، على أن ينحى طابعه الشخصى تماما عن ذهنه

مائة قصة ٠٠ فى عشرة أيام !

• و « **الديكاميرون** » وان كانت مجموعة من القصص تقرأ أو تروى ، الا انها فى مجموعها تحفة فنية تطلبت اخراجا لايقل فى دقته وفنيته عن اخراج أية مسرحية ! ٠٠ **بل ان اخراج تلك المجموعة كان معجزة من معجزات الفن حقا ! ٠٠ ففى الكتاب عشر شخصيات رئيسية ، هى شخصيات الرواة : ثلاثة شبان ، وسبع شابات ، جمعهم الرعب الذى أثاره « الموت الأسود » حين اجتاح (فلورنسا) ففتك بحوالى نصف سكانها، فشاءوا أن يفروا منه ، وان يلوذوا بعزلة بهيجة فى حدائق قصر يقع على سطح تل (فييسول) ، حيث حاولوا أن ينتزعوا أنفسهم من حاضرهم الرهيب المظلم ، بأن يتناوبوا رواية القصص التى تنسيهم الهول الأسود ٠٠ هول الطاعون ! ٠٠ وهكذا أخذ كل منهم يروى قصة فى كل يوم ، فكانت الحصيلة عشر قصص يوميا ، خلال الأيام العشرة ! ٠٠ وقد بلغ الاخراج حد الكمال بتلك المقدمة الرائعة التى افتتحه بها « بوكاشيو » ، والتى تعتبر من أروع القطع الوصفية فى الأدب ! ٠٠ فقد استطاع المؤلف أن يجعل من كل عبارة فيها خطا من خطوط لوحة ناطقة تمثل لنا (فلورنسا) وهى فى قبضة « الموت الأسود » فى سنة ١٣٤٨ ، حتى لنستطيع ـ ونحن نقرأها ـ ان نشهد شوارع المدينة المقفرة وقد هجرها أهلها ، أو نراها وهى منكمشة تحت هول الموت الذى راح يعيث فيها فسادا ! ٠٠ ونستطيع أن نستعرض القوم وقد دهمتهم الكوارث ، فأخرجتهم عن أطوار البشر ٠٠ ومن لم يتخطفه الجنون منهم ، سيطر عليه الذعر من الموت !**

كيف أخرج « بوكاشيو » كتابه ؟!

◆ فى يوم الثلاثاء من أحد الأسابيع ، اجتمعت سبع شابات ٠٠ هن : بامبينيا ، وفياميتا ، ولوريتا ، وفيلومينا ، ونييفيله ، واليسا ، وايمليا ٠٠ جمعتهن المصادفة عقب انتهاء القداس فى كنيسة القديسة « ماريا نوفيلا » ، فاقترحت أكبرهن سنا ـ وهى « بامبينيا » ـ ان يهجرن المدينة التى رزحت تحت أثقال الأخطار والمخاوف ،وان يلجأن الى الريف٠ وفيما هن يتبادلن الرأى ، أقبل من الكنيسة ثلاثة شبان هم : بامفيلو ، وديونيو ، وفيلوستراتو ٠ وكان بينهم قريب



لبامبينيا ٠ واقترح أحدهم الاشتراك فى هذا « القرار » ، فابتهجت الفتيات ، اذ رأين فى انضمامهم اليهن ما يجنبهن الخوف من العزلة ويسبغ عليهن بعض الحماية ! ٠٠ وهكذارحل العشرة فى فجر اليوم التالى الى « فيلا » على سفح التل ، حتى اذا استقروا فى حدائقها ، اقترحت « بامبينيا » ان ينتخب العشرة من بينهم رئيسا ، أو زعيما ، يتولى الأمر بينهم طيلة اليوم ، على أن يتناوب العشرة الزعامة ٠٠ واحد لكل يوم ! ٠٠ وكان من نصيب « بامبينيا » ان اختيرت ملكة لليوم الأول ٠٠

فلما اقترب المساء ، دلف الجميع الى بستان ، فأمرت الملكة بأن يجلسوا فى حلقة ، واقترحت عليهم ان يروى كل منهم قصة - بالدور - ليرفهوا عن أنفسهم وطأة القيظ ، وليشغلوا أذهانهم عن الحاضر الرهيب الذى فروا منه . والتفتت الملكة الى « بامفيلو » - الذى كان يجلس الى يمينها - فسألته ان يبدأ ، على أن يليه الذى الى يمينه ، وهكذا ..

هذا هو الاخراج الذى ابتدعته قريحة « بوكاشيو » لقصصه المائة ، والذى قيل ان الحافز الأول له على وضعه ، هو تسلية حبيبته « فياميتا » ، وان كان هذا الاخراج لم يتم الا بعد وفاتها ! .. وقد أحاط « بوكاشيو » هذا الاخراج بجو من المرح ، قصد به أن يبدد الجو المربد المثقل بالذعر والخوف .. جو الوباء الفتاك ! .. ولا يؤخذ على « بوكاشيو » فى هذا الاخراج سوى أن الأقطاب العشرة - الرواة - الذين جعلهم أبطالا لكتابه ، لم يكونوا أبطالا فى الواقع ! .. فان أحدا منهم لم يشترك فى الأحداث ، وليس فيهم ما يميز الواحد منهم على الآخرين ، وليس لشخصية أى منهم طابع خاص يبدو فى القصص التى يرويها . ولو انك أخذت احدى القصص ونسبتها الى شخص آخر غير راويها ، لما انتقص هذا من قيمتها .. وقد تكون هذه ميزة فى صف فن « بوكاشيو » وليست ضده !!

المصدر الحقيقى للمائة قصة !

◆ **بقيت** القصص المائة ذاتها .. فليس من شك فى أنها استمدت من مصادر عديدة ومتباينة ، منها المصرى ، والعربى ، والفارسى ، والفرنسى ، والايطالى . بيد ان « بوكاشيو » لم يكن يحفل بأصولها ، ولا اهتم بجنسياتها ، وانما جمع مادتها من القصص التى سمعها فى (نابولى) وفى غيرها من أرجاء ايطاليا . على انه - اذ كساها من أسلوبه حلة قشيبة - أصبح جديرا بأن يعتبر صاحبها !

والواقع ان « ديكاميرون » فى حد ذاتها دنيا تستوعب القارىء وتستأثر بمشاعره ولبه ، بما تضم من قصص خلقية وجنسية ! ٠٠ ولعل سحرها راجع الى الطريقة المشوقة التى عالج بها مؤلفها العلاقات الجنسية فى بعضها! ٠٠ ثم ان القارىء يجد ـ خلال هذه القصص ـ ما يجده فى الدنيا من تنوع وتباين ، سواء فى الأوساط ، أو فى الأحداث ، أو فى الأشخاص ٠٠ حتى لنستطيع ان نقول ان الكتاب يتناول « الانسان » ، كما تعامله الحياة نفسها ٠٠ لا فى كثير من الجد ، ولا فى كثير من الاهمال وعدم الاكتراث ٠٠ ومع قدر من السخرية ، وقسط من الضحك ! ٠٠ على انه فى كل ذلك ، ينتهج نهجا واقعيا الى حد كبير ، ويورد الكثير من التفصيلات التى تصور الحياة فى القرن الرابع عشر ٠

ومن هذا كله ، نخرج بصورة جليلة لتلك الحياة ، تبين ان « الزواج » فى ذلك العصر ـ وربما لا يزال فى بعض الأوساط فى عصرنا هذا ـ مدرسة يتلقى فيها الرجال والنساء مبادىء الكذب والنفاق والخداع ، فى حين ان «الحب» مدرسة للفضائل، فاذا شاب الحب شىء من الأوشاب ، فان مرد ذلك الى عيوب فى المحبين أنفسهم ، اذا تلوثت قلوبهم بالأثرة والأنانية والحقد والحسة ! ٠٠ **واذا صح ان ايراد هذه القصص مجتمعة ينم عن هدف رمى اليه « بوكاشيو » ، فان أبرز معالم هذا الهدف ، هو أن « الحب » ـ عند بوكاشيو ـ مزيج من روحانية الايمان ، وحيوانية العواطف الدنيوية ! ٠٠ فالحبيبة ـ فى هذه القصص، أو فى بعضها على الأرجح ـ مخلوقة سامية الروح، ولكنها تبتهج بلقاء العشيق ، والارتماء بين ذراعيه ، لتطفىء سعار العواطف الحيوانية الدنيوية ٠٠ ثم هى ـ فى الغالب ـ متقلبة ، لاتستقر على حبيب واحد !**

وقد يكون لهذه الفكرة ـ عند « بوكاشيو » ـ أصل منبعث

من حياته ذاتها . فلقد أحب « فياميتا » حبا جمع بين سمو الروح وشهوة الجسد ، ولكنها تنكرت لهذا الحب ، بغضا منها للقيود وللارتباط بعاشق واحد ! .. غير انه ـ مع ذلك ـ أبى ان يشرك فى حبه لها ! .. وكتب فى ذلك ملحمة بعنوان : « الرجل الذى صرعه الحب ! » .. وقد حاول أن يخنق نداءهذا الحب بالارتماء فى أحضان غيرها من النساء ، ولكن النداء ظل عاليا ، صارخا .. حتى بعد موتها !

دروس خلقية تكشف عيوب المجتمع !

◆ على أنه ينبغى ان لا نفهم من هذا ان قصص « بوكاشيو » فى « ديكاميرون » كانت وقفا على علاج العلاقات الجنسية ..



بل اننا نجد ان قصص اليوم الأول فى مجمـــوعها ، قصص خلقية ، تبدو - فى أسلوبها وصياغتها - كالمواعظ والدروس الدينية ! ٠٠ كما نرى أن المغزى فى كثير من القصص التىعالج فيها العلاقات الجنسية ، مغزى أدبى ، خلقى ! ٠٠ فهو قد اتخذ الجنس وسيلة للدروس الخلقية ، ولكشف عيـــوب المجتمع والبشر ، ولبيان بعض أسباب خيانة المرأة للرجل ، ولايضاح بعض مظاهر غباء الرجال اذ يفرطون فى الثقة ، أو يستبيحون لأنفسهم من المتع ما يحرمونه على نسائهم ! ٠٠ فمثله فى ذلك - ان صح التمثيل - مثل الكاتب المعاصر « ألبرتو مورافيا »٠

ويفهم هذا أيضا من تقسيم قصص الأيـام العشرة ٠ ففى اليوم الأول ، ترك « بوكاشيو » رواته يختارون موضـوعات قصصهم كما يحلو لهم ، ولكنها مع ذلك جاءت فى معظمهـا كالمواعظ الخلقية ٠ وفى اليوم الثانى ، نستمع الى قصص من هبطت على رؤوسهم الكوارث والمحن ، وعبس القـدر فى وجوههم ، ثم ابتسم لهم فى النهاية ، فاذا متاعبهم تنتهى الى نهايات سعيدة ! ٠٠ أما قصص اليوم الثالث ، فكانت تدور حول من ظفروا بأمنياتهم التى كانت عسيرة المنال ، فخاضـوا الصعاب والمخاطر ، ثم انتهوا الى استرداد ما خسروا ، والىنيل ما ابتغوا ٠ وفى اليوم الرابع ، تناولت القصص مآسى العشاق، وفى الخامس قصص السعادة والهناءة ٠ وخصص اليومالسادس لقصص التخلص من العار والأخطار باجابات تستمد من سرعة الخاطر وحضور البديهة ٠ أما قصص اليوم السابع ، فمدارها ألاعيب النساء وحيلهن ، بدافع من الحب أو من خشية اللوم ٠ وتبين قصص اليوم الثامن الصراع بين الرجال والنساء ٠٠ الصراع بين الذكاء والحيلة ! ٠٠ وعاد الرواة فى اليوم التاسع يختارون موضوعاتهم وفق هواهم ، ولكنها فى مجموعها تبين خداع المرأة وتداعى أخلاقها من ناحية ، وغفلة الرجل وتبذله

من ناحية أخرى ! ٠٠ ثم تأتى قصص اليوم العاشر فى الختام ، فتتناول الصداقة والاخلاص ، وتكشف أولئك المتشدقين بالاخلاص والفضائل وهم منها براء !

ولعل « بوكاشيو » قسا على المرأة فى بعض هذه القصص ، ولكن قسوته كانت فى الواقع انعكاسا لما فى نفسه من تنكر « فياميتا » له ٠ وليس أدل على أنها قسوة لا تنبعث عن ضغينة، من أنه ابرز – فى بعض قصص أخرى – المرأة كمثال للعفة ٠٠ بل كبطلة تكافح فى سبيل الشرف والعرض !

ولعله قد قسا أيضا على الرجل ، ولكنها قسوة الناصح الزاجر ، الذى أراد أن يوقظ رجال عصره من غفلتهم ، وان ينبههم الى ان تصرفاتهم هى السبب الأول ، والعامل الأعظم فى دفع زوجاتهم الى تنكب طريق الطهر والوفاء !

ثم انه قسا على رجال الدين كذلك، ولعل عذره فى ذلك ،انه – ككل كاتب ساخر – وجد فيهم مادة مسلية ! ٠٠ أو انه كطبيب اجتماعى لم يجد بدا من كشف عيوبهم ، للتنبيه الى اصلاحهم ، كما يكشف الطبيب بمبضعه موطن التقيح ليبرىء المريض بأى تورم خبيث !

خمس طبعات خلال قرن واحد !

• **ولقد** كنا نود لو يتسع المجال لنشر هذه القصص المائة كلها ، لولا أنها كفيلة بأن تشغل أكثر من ألف صفحة ٠ لهذا آثرنا ان ننتقى منها باقة تمثل جميع الأيام ، على أن نتبعها بباقتين أو باقات ، على فترات متفاوتة ، حتى نستكمل هذا السفر الخالد الذى ترك أثرا كبيرا فى الأدب العالمى وأوحى للأدباء على مر العصور ٠ ولقدحرصنا – تحريا للدقةوالأمانة– على أن نقارن بين ترجمتين باللغة الانجليزية ، احداهما بقلم « ج ٠ م ٠ ريدج » ، والأخرى لمترجم مجهول ، نشرت فى

طبعة حديثة . ومما يجدر بنا ذكره هنا ، أن القرن السادس عشر شهد عدة ترجمات لقصص بوكاشيو ، ولكن لم تنشر قبل سنة ١٦٢٠ ترجمة كاملة للكتاب كله . ولما ظهرت هذه الترجمة الكاملة ، لم تكن تحمل اسم مترجمها . وقدتكرر طبعها على مر القرون ، ويكفى اظهارا لمدى رواجها ، ان نذكر انها طبعت خمس مرات خلال القرن السابع عشر !




جيوڤاني بوكاشيو
الديكاميرون

هنا يبدأ الكتاب المسمى « الأيام العشرة » ، او « الأمير جاليوتو » ، المشتمل على مائة رواية ، سردت فى عشرة أيام على ألسنة سبع سيدات وثلاثة شبان

تقدمة المؤلف

◆ **اذا** كان من الانسانية ان تعطف على المكروب ٠٠ واذا كان هذا العطف مطلوبا من جميع الناس بوجه عام ، فهو مطلوب – على الأخص – من أولئك الذين احتاجوا الى التسرية فوجدوها لدى الغير ٠ وقد أعد أنا من أولئك الذين اشتدت حاجتهم يوما الى السلوى ، فوجدوها ، وكانوا أعرف الناس بقيمتها أو بلذتها المشتهاة ، لا سيما وقد كنت منذ صباى الى اليوم ، اتلظى – الى درجة فوق كل تقدير – بلهيب حب نبيل ، مسرف الطموح ، لعله – اذا جاز لى أن أتمادى فى وصفه – يعلو على كل ما يبدو ملائما لحالى الوضيعة ! ٠٠ واذا كنت قد حظيت بسببه بكثير من الثناء والتقدير ، ممن ألموا به من أهل الحصافة ، الا اننى – رغم ذلك – تعرضت من جرائه لأقصى العناء والعذاب ، لا بسبب قسوة السيدة المحبوبة ، وانما للنار العارمة الدافقة ، التى أوقدتها فى النفس شهوة جامحة ، الأمر الذى لم يتح لى فترة هدوء أو طمأنينة ، وانما أسلمنى الى الهموم والأشجان !

ولقد كنت أجد كثيرا من التسرية التى تخفف عنى هذه الهموم ، فى الانصات الى حديث لبق من أحد الأصدقاء ، وفيما يغدقه على من تعزية ومواساة ، حتى اننى لأوقن – يقينا

جد وطيد ـ أننى مدين للأصدقاء ببقائى حتى الآن على قيد الحياة ! .. **ولكن ، لما كان قد حلا للاله الباقى الخالد ،أن يجعل ـ بقانون ثابت لا يتغير ـ نهاية لـكل الامور الدنيوية ، فحبى الذى فاق كل العواطف المستعرة ، والذى لم يقو على ان يحطمه أو يثنيه أى عزم ، أو نصح ، أو حكمة ، أو خوف ، أو عار فاضح ، أو خطر داهم .. هذا الحب قد فتر ـ رغم ذلك ـ على مر الزمن ، ومن تلقاء نفسه ، وبطريقة حكيمة ، بحيث انه لم يخلف في ذهنى سوى تلك المتعة التي اعتاد ان يتيحها لذاك الذى لا يجازف بالايغال فى بحاره العميقة** . ومن ثم ، فما اعتاد أن يكون مبعث أسى لى ، أجده الآن مبعث غبطة وسرور . على ان تلاشي الألم لم يمح ذكرى المساعى الكريمة التى بذلها لى أولئك الذين شاطرونى ـ بعطفهم ـ وطأة الأسى والآلام .. فلن تفارقنى هذه الذكرى ، فيما أعتقد ، الا بالموت . ولما كان العرفان بالجميـل فى رأيى أحق الفضـائل بالتحبيذ ، وكان نكران الجميل لذلك خليقا بالتحريم بل بالازدراء ، لهذا رأيت اليوم ، لكى لا أبدو ناكرا للصنيع ، اننى فى حل من ان أسعى كى أقدم ـ الى أقصى ما فى طوقى ـ بعض العزاء لمن قد يكونون أهلا له ، ان لم يكن لأولئك الذين ساعدونى فى محنتى ، أو الذين شاء لهم الحظ ، بفضل حسن ادراكهم أو حسن طالعهم ، ان لا يكونوا بحاجة اليه !

ومع ان مؤازرتى هذه ـ أو مواساتى ، بمعنى أصح ـ قد تكون قليلة النفع للمحتاجـين ، الا انه يلوح لى مع ذلك انى خليق بأن أقدمها عن طيب خاطر ، حيثما يبدو لى ان الحاجة تمس اليها ، لانهـا ستكون اذ ذاك عظيمة النفع ، كما انهـا ستقابل بأعظم تقدير . ومن ذا الذى ينكر ان من الـواجب تقديمها ـ مهما تكن قيمتها ـ الى السيدات الرقيقات ، قبل الرجال ؟ .. انهن ليخفين فى صدورهن الرقيقة ، بين الخوف والخزى ، نارا خفية من الجوى .. والذين خبروا الحب، يدركون

كم يذكى الاخفاء من وقدة تلك النيران ! ٠٠ ثم انهن ، فوق ذلك ، يستغرقن فى التفكير فى مسائل متباينة لا بهجة فيها ، اذ يعشن - كما ينبغى ان يقال - حياة خاوية ، ونفوسهن موزعة بين الحنين والزهد ، فى وقت واحد ، معتكفات بين جدران حجراتهن الضيقة ، تقيدهن ارادة وأهواء وأوامر الآباء والامهات ، والاخوة ، والأزواج ! ٠٠ لذلك فان الأسى الناجم عن شهوة الهوى خليق بأن يقيم فى عقولهن - اذا ما عرف طريقه اليها - فيزيد من أشجانهن ، ما لم يطرده منها تغير أفكارهن وآرائهن ! ٠٠ يضاف الى هذا ، انهن أقل قدرة من الرجال على احتمال مثل هذا العبء ، اذ ان حال الرجال - اذا ما تدلهوا فى الهوى - تختلف عن حال النساء ، كما قد نرى فيما سيرد بعد ٠ فان للرجال ، اذا ما رزئوا بالحزن والأسى ، طرائق شتى للتسرية والسلوى ٠٠ فهم قد يذهبون الى حيث يروق لهم ، فيسمعون ويرون أشياء كثيرة ، وقد يصيدون بالصقور أو بالسلاح ، أو يصيدون السمك ، أو يركبون الخيل ، أو يلعبون الورق ، أو يرتحلون ويتجرون ٠٠ وبكل هذه الوسائل يستطيعون أن يستردوا راحة بالهم - كلها أو بعضها - ويصلحون ما أفسده الاكتئاب والهم ، ولو لفترة من الزمن ٠ فلا يلبث بعد ذلك أن يستقر الهدوء فى نفوسهم ، او ان يصبح الاكتئاب أقل حدة

ولذلك ، ورغبة منى فى تعويض أولئك المستضعفات - كما نرى السيدات ذوات الكيان الرقيق - عما لحقهن من غبن الحظ اذ ضن عليهن بعونه ، رأيت ان أخف لنجدة وتسلية اولئك اللواتى لا يجدن - كغيرهن - سلوى كافية فى الابرة ، أو المغزل ، أو المنسج ، بأن أروى مائة قصة ، أو أسطورة ، أو أمثولة ، أو حكاية - كيفما يحلو لنا ان نسميها - سردت فى عشرة أيام ، على ألسنة جماعة كريمة مؤلفة من سبع سيدات ، وثلاثة شبان ،

فى أيام الوباء الفتاك ، وكذلك بعض الأغنيات التى أنشدتها السيدات ليطربن بها الجماعة !

وفى هذه القصص الممتعة ، نجد مسالك الهوى تتعرض فى قسوة لمجريات الأحداث التى تنتهى الى نتائج سعيدة ، فى أزمان منها الحديث ومنها القديم ۰ ومن هذه الحكايات قد تستمد السيدات المذكورات كلا من المتعة المنبعثة من الأشياء المسلية التى تضمنتها الحكايات ، والرأى الحكيم الذى يعلمهن ما يجب أن يعزفن عنه ، وما ينبغى أن يتبعنه ! ۰۰ وهو ما لا يؤدى - فيما أعتقد - الا الى تلاشي الهموم ، نتيجة انشغال البال عنها ۰ فاذا ما تحقق هذا - كما اسأل الله - فليشكرن الحب الذى حررني من مثبطاته ، فألهمنى القدرة على أن أكرس نفسى لارضائهن !





اليوم الأول

كل النساء .. سواء

قالت « فياميتا » :

لما كان تطلع الرجال الى سيدات أرفع منهم مقاما ، يعد من امارات الادراك السليم ، فكذلك نرى أن حرص النساء على أن لا يؤخذن اذا ما فوجئن بالحب من رجال أرفع منهن قدرا ، دليل على رجاحة العقل. ومن أجل هذا ، سأروى الآن كيف تستطيع المرأة بذكائها ولباقتها أن تصد أى هجوم من هذا النوع ، اذا كان يستهدف شرفها :

• **كان** المركيز « دى مونتفيرا » رجلا موفور الشجاعة ، عظيم البسالة ، ولما كان من حملة لواء الكنيسة ، فقد مضى مع جماعة من الأمراء المسيحيين ، فى حملة صليبية ضد الأتراك

وكانوا يتحدثون عن شجاعته واقدامه ذات يوم ، فى بلاط « فيليب » - الملك الملقب بقصير النظر ، والذى كان يجهز اذ ذاك فى فرنسا حملة صليبية مشابهة ! - واذا بأحد رجال الحاشية يقول على مسمع من الملك ان ليس فى العالم بأسره زوجان مثاليان يفوقان المركيز « دى مونتفيرا » وزوجته .. فبقدر ما كان الزوج يبز سائر الفرسان فى البسالة ، كانت الزوجة تفوق سائر بنات جنسها فى الكمال والجمال !

ووقعت هذه الكلمات من نفس الملك موقعا جعله يهيم ـ منذ تلك اللحظة ـ حبا بهذه السيدة ، وان لم يكن قد رآها من قبل ، حتى لقد عول على أن يرحل برا الى (جنوا) ، عسى أن يجد ذريعة مشرفة لزيارة السيدة ، وقد خيل اليه أنه لن يعجز عن اشباع نزواته ، ما دام المركيز متغيباً !

وبهذه النية ، أرسل ألفريق الأكبر من رجاله يسبقونه ، ثم رحل هو بعد ذلك ، وسط حاشية صغيرة ٠ حتى اذا أصبح على مسيرة يوم واحد من مقر السيدة ، أرسل يطلب اليها أن تنتظره على مائدة العشاء فى اليوم التالى ، فأجابت السيدة ـ وهى شديدة الاغتباط ـ بأنها ترى فى هذه الزيارة شرفا تتفرد به ، وبأنها ترحب بالملك من صميم قلبها ! ٠٠ **على أنها ظلت فترة طويلة تسائل نفسها : لماذا يفد مثل هذا العاهل العظيم لزيارتها ، وزوجها متغيب عن وطنه ؟ ٠٠ وما لبثت أن رجحت ـ أخيرا ـ أن يكون الصيت الذائع عن جمالها هو الذى اجتذبه اليها** ٠ ولكنها مع ذلك اعتزمت أن تبدى للضيف من الاجلال ما يناسب قدره ، ويتفق مع نبل نفسها ٠ ومن أجل هذا دعت علية القوم من الجيران الذين تخلفوا عن الحرب ، كى تستشيرهم فيما يتطلبه استقبال ذلك العاهل ٠ وتولت بنفسها اعداد العدة لاقامة الوليمة ، فاشترت كل ما كان فى الريف من دجاج ، وأمرت الطهاة بأن لا يعدوا شيئا آخر لعشاء صاحب الجلالة ، بل عليهم أن يتفرغوا ليعدوا من هذه الدجاجات كل ما يستطيعون من ألوان الطهو !

وأقبل الملك فى اليوم التالى ، فاستقبلته السيدة بفرح عظيم ، ووفته كل حقه من الاجلال والاكرام ٠ واشتدت دهشته عندما وجدها تفوق كل ما قيل فى اطرائها ! وما لبث أن أوى برهة الى الجناح الذى أعدته له ، كى يستريح ٠ فلما أعد العشاء ، جلس جلالته والسيدة الى مائدة واحدة ، وجلس أتباعهما الى موائد أخرى ، وفقا لمراكزهم ومراتبهم ٠

وقدمت أصناف الطعام الى الملك ، واحدا بعد آخر ،مصحوبة بأغلى أنواع الخمور · بيد أن مرأى السيدة كان أكثر امتاعا لعينيه من هذه الوليمة التى أرضته كل الرضى · على أن الدهشة ما لبثت أن استولت عليه ، حين لاحظ أن جميع الاصناف لم تكن تتألف من غير الدجاج ، وان تباينت أساليب الاعداد والطهو · وكان يعرف أن ذلك الجزء من الريف غنى بالغزلان والطيور البرية ، كما أنه كان قد أعلن مقدمه قبل وصوله بوقت يكفى لتوفير هذين النوعين من اللحوم على المائدة

وبتأثير تلك الدهشة ، لم يشأ الملك أن يتحدث فى أى موضوع ، قبل أن يلمع الى ما يتصل بالدجاج ، ومن ثم التفت الى السيدة بأسارير تنم عن المرح ، وقال : « **سيدتى ·· الا تربي فى ريف هذا الاقليم غير اناث الدجاج وحدها ؟! »·· ورأت السيدة ـ التى فهمت ما يعنيه بسؤاله ـ أن الفرصة سانحة لتكاشفه بحقيقة شعورها ، فأجابته فى شجاعة (١) : « ليس الأمر كذلك يا مولاى ·· وانما قصارى القول أن النساء هنا كغيرهن فى الأماكن الأخرى ، وان تباينت ثيابهن وألقابهن ! »**

وما أن سمع الملك ذلك ، حتى أدرك ما وراء الوليمة من مغزى ، كما فهم ما فى اطواء ذلك الرد من معانى الفضيلة · واذ أيقن أن الكلمات ستذهب هباء مع مثل هذه السيدة ، وانه لا يملك أن يستخدم القوة معها ، رأى من الأوفق لمقامه أن يكظم عاطفته الآثمة · وهكذا مضت الوليمة دون مزيد من الكلام ولعله خشى اجابات السيدة على أسئلته ! ·· فلما رفعت المائدة ، رأى أن يغطى قدومه غير المشرف برحيل متعجل ، فشكر للسيدة ما لقى من حفاوة ، واستأذن فى الانصراف ، عائدا الى (جنوا)

---

(١) قصدت السيدة الذكية بجوابها ان تقول انه كما ان طعم الدجاج واحد لا يختلف ، مهما تختلف طرق طهوه ، كذلك النساء ·· كلهن سواء ! ·· فلا داعى لتهالك الرجل على غير امرأته !



الحسنة بمائة ضعفها !

عندما أطرى الجميع عفة المركيزة - بطلة القصة الاولى - وأشادوا بالدرس الذى ألقته على ملك فرنسا ، أطاعت « ايميليا » - التى كانت تجلس الى جوار «فياميتا» - اشارة الملكة ،وشرعت تقول فى القاء طيب : « ان قصتى هى الاخرى درس ، ولكنه موجه من رجل جليل - كان يعيش فى جو دنيوى مادى - الى رجل جشع من رجال الدين ٠٠ وقد جاء هذا الدرس فى دعابة تدعو الى الاعجاب ! » :

• **كان** يعيش فى مدينتنا ، الى عهد غير بعيد ، راهب صغير الشأن ، موكل بالتحقيق فيما يتعلق بالبدع والزيغ الدينى ! ٠٠ وكان رغم ما يبذله من جهد ليبدو أمام الناس فى مظهر الانسان الورع القديس ، والواعظ المتحمس للدين المسيحى - شأن كل الرهبان - قد اوتى أنف له من الحساسية فى تشمم أكياس النقود ، عين ما له فى تنسم ما يسىء الى الدين !

وشاءت المصادفات ان تجزيه عن تحمسه هذا ، اذ هدته الى اكتشاف رجل طيب ، رزق من المال اضعاف ما وهب من الادراك ! ٠٠ وقد قدر لهذا الرجل فى لحظة من لحظات التهور - الذى لا يرجع الى ضعف فى الايمان ، وانما قد يرجع الى افراط فى المجون ! - ان يقول لزملائه فى الشراب ، وقد حمى

وطيس الخمر فى رأسه ، ان لديه نبيذا يليق بالسيد «المسيح» نفسه أن يشربه ! ٠٠ ونقل هذا القول الى هذا الراهب المحقق، فلما عرف ان الرجل يملك أراضى شاسعة ، وأكياسا متخمة ، بادر لفوره الى حشد كل قوى القانون ضد الرجل ، ساعيا من وراء ذلك الى ادخال الرهبة فى نفس ضحيته ، لا ليكشف زيفه ، ولكن ليظفر منه بأكبر قدر من الجنيهات الذهبية ، يثقل كيسه الخاص !

ومن ثم استدعى الرجل ، وسأله عما اذا كان الاتهام الذى وجه اليه صحيحا أو غير صحيح ، فأنبأه الرجل بأن ما ذكر على لسانه كان صحيحا ، وروى له الظروف التى أحاطت بصدوره، فقال محققنا الراهب ، التقى ، التابع لمذهب القديس جون ذى اللحية الذهبية : « **اذن ٠٠ ألا ترى أنك جعلت المسيح ذواقة للنبيذ ، محبا للنادر من بنت الكروم ، وكأنه سكير ٠٠ بل مدمن شراب ، وجواب حانات مثلك ؟!٠٠ وهل تظن الآن ان بوسعك ان تطوى المسألة بكلمات اعتذار قليلة ، وكأنها ليست ذات بال ! ٠٠ لا ، ان الأمر ليس كما ظننت ٠٠ لقد استحققت النار ، فاذا أوقعنا عليك هذا العقاب ، فانما نؤدى واجبنا !** » ٠٠ وبهذه الكلمات ، وكثير على غرارها ، راح يرهبه، وقد نطقت أسارير وجهه بالقسوة والصلابة ، وكأن «ابيقور» يمثل أمامه ، منكرا ان النفس البشرية فانية لا خلود لها !

وباختصار ، أوقع الراهب المحقق فى قلب الرجل الطيب ذعرا جعله يبادر الى الاستعانة بخدمات وسطاء معينين ، لكى « يزيت » كفى الراهب الجشع بمنحة دسمة سخية ! ٠٠ **ولشد ما كان تأثير هذا الدواء ، اذ سرعان ما توارت « النار » التى كان المتهم مهددا بها ، وحل محلها « صليب » يلبسه مختالا !٠٠ ولكى يبدو المنظر أكثر رواء ، أمر المحقق بأن يكون الصليب من اللون الأصفر ، وان يثبت على قاعدة سوداء**

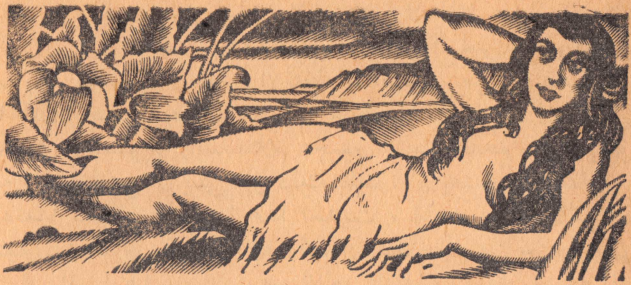
يضاف الى هذا ، ان الراهب ــ بعد ان دس النقود فى جيبه ــ استبقى الرجل على مقربة منه أياما ، وأمره بأن ينصت على سبيل التكفير الى القداس فى كنيسة « سانتا كروشى » ، فى كل صباح ، على ان يتولى بعد ذلك خدمة الراهب على مائدة الفطور ٠ وترك له الحرية فى ان يتصرف بعد ذلك فى بقية ساعات يومه ، وفق هواه !٠٠ وأخذ الرجل ينفذ هذه الأوامر كلها بدقة تامة ، الى ان استرعت سمعه ــ ذات صباح ــ عبارة ترددت أثناء الترتيل ، وهى : « الحسنة ترد بمائة ضعفها ، وتحظى بحياة أبدية ! »

ونفذت هذه الكلمات الى ذاكرة الرجل الطيب ، فنقشت نفسها على صفحتها ٠ وعندما مثل بين يدى الراهب ــ فى موعد الفطور من ذلك الصباح ــ سأله هذا عما اذا كان قد أنصت الى قداس الصباح ، فأجاب الرجل لفوره : « أجل يا سيدى ! » ٠٠وعاد الراهب المحقق يسأله : «ألم تصادف فيه شيئا التبس عليك فهمه ؟٠٠ أو ليس لديك شك أو سؤال فى صدده ؟ » ، فأجاب الرجل : « لا ، بالتأكيد ٠٠ لا شك لدى فيما سمعت ، وانما لدى ايمان وثيق بصدق كل ما قيل ! ٠٠ على اننى صادفت شيئا واحدا جعلنى أرثى من كل قلبى لك ولكل الرهبان الآخرين ، وأفكر ــ فى اشفاق ــ فى المأزق الذى ستجدون أنفسكم فيه فى العالم الآخر ! »

وهنا سأله المحقق : « وما هى الفقرة التى حركت فى قلبك الرثاء لنا ؟ » ٠٠ فأجاب الرجل الساذج : « انها يا سيدى الفقرة التى جاء فيها : الحسنة ترد بمائة ضعفها » ٠٠ فقال الراهب : « لقد أصبت السمع ٠ ولكن ، ما السر فى ان هذه الفقرة أثرت فى نفسك ؟ » ٠٠ فقال الرجل : « سأبين لك يا سيدى جلية الأمر ٠٠ فلقد اعتدت أن أرى ــ منذ ترددت على هذا المكان لخدمتك ــ جمعا من الفقراء يأتون كل يوم ليتلقوا نصيبا من الصدقات ، فمنهم من يتلقى دستا هائلا من فضلات

الطعام والشراب المتخلفة عن مائدتك وموائد اخوتك فى هـذا الدير ، ومنهم من يتلقى دستين ٠٠ **فاذا كانت هذه الصدقات سترد اليكم مضاعفة مائة مرة فى الآخرة ، فلا بد لكم من ان تغرقوا جميعا فى ركامها !** »

وأثار هذا القول عاصـفة من الضحك انبعثت ممن كانوا جلوسا الى مائدة المحقق ، بينما شعر هذا بأن كلمات الرجل كانت طعنات نجلاء مصوبة الى نهم الرهبان وجشعهم ، فاشتد به الحنق٠ ولو لم يكن بين ضيوفه من كان يحصى عليه تصرفاته، لنكل بالرجل جزاء تندره وتفكهه هذا ، ولكنه لم يجد ـ أخيرا ـ سبيلا أفضل من أن يطرد الرجل ويسرحه !



امرأة ٠٠ تهز ملكا !

لم يكن قد بقى من الرواة ـ قبل ان يحين دور ملكة اليوم الأول فى سرد قصتها ـ سوى « اليسا » ٠ فلما رأت هذه ان دورها قد حان ، لم تنتظر اشارة الملكة ، وانما بادرت قائلة فى اسلوب يفيض بشرا ورقة :

« تصورن يا سيداتى ، كم من رجال نذروا الزهد والعفة ، فاذا بكلمة عابرة تخرجهم عن نذورهم هذه ! ٠٠ كذلك من الرجال من ذهبت بهم التقوى والتسامح الى حدود الضعف والاستخذاء ، فاذا بكلمة ـ أيضا ـ توقظهم من سباتهم المزرى ! ٠٠ وقصتى ، التى ستكون أقصر قصص اليوم ، خليقة بأن توضح لكن هذه الحقيقة فى جلاء ٠ ولن يضيرنى قصرها ، فان القصص الجيدة غالبا ما تكون ممتعة ، ومن ثم فهى تستأثر باهتمام السامع ، بغض النظر عن راويها ! » :

◆ **حدث** فى عهد أول ملوك قبرص ـ بعد ان غزا « جودفرى دى بويون » الأراضى المقدسة ـ أن سعت سيدة من (غسقونيا) الى الحج وزيارة كنيسة المهد المقدس ٠٠

وفى أثناء عودتها الى وطنها ، هبطت فى قبرص ، حيث تعرضت لعدوان وحشى على أيدى طغمة من الأشرار ، مما حطم قلبها ، وأثقل نفسها بحزن طاغ لا عزاء له ، فقررت ان ترفع شكاتها

الى الملك . ولكن ، قيل لها ان لا جدوى ولا طائل من وراء هذه الشكوى ، لأن الملك كان مستهترا ، خائر النفس ، الى درجة انه لم يكن يهمل الثأر للغير والانتقام لما يصيبهم من أذى فحسب ، وانما كان يحتمل أيضا ما يصيبه شخصيا من ضر ، ويتقبل الاساءة فى رضوخ واستسلام عجيبين ، مما شجع كل مزهو بقحته وجرأته على ان يسىء الى ذلك الملك ، أو يعتدى على مقامه !

وعندما سمعت السيدة هذا الحديث ، اشتد بها الأسى ، واستبد بها اليأس . غير انها رأت ان تفضفض من حزنها بأن تمضى فى اصرارها على ان ترفع الأمر الى الملك ، وان تنبهه الى ما فى سياسته من ضعف يزرى بمكانته وقدره !

وعلى هذا ، سعت الى مقابلته . ومثلت بين يديه ودموعها تنساب على خديها ، فقالت له : « مولاى .. ما جئتك طمعا فى ان تصلح ما لحق بى ، وان تنتقم لما أصابنى من أذى ، وانما جئت لأسألك – ان راق لك ان تجيبنى – عما يحدو بك الى ان تتحمل ، فى صبر ، الذنوب التى ترتكب فى حقك ، كما علمت .. وذلك حتى أتعلم منك الصبر الذى يمكننى من ان أتحمل مايصيبنى .. فان أساى لما نزل بى يجل عن الاحتمال ، حتى اننى لا أحجم – علم الله – عن ان أنقله اليك ، اذا كان هذا النقل ممكنا ، لما شهدته من استعدادك للصبر وقدرتك على الاحتمال ! »

ووقعت هذه الكلمات كرنين الجرس فى نفس الملك المستخذى ، اللين ، وأيقظته من سباته . وكان من جرائها ان بادر الى ترضية السيدة ، وتعويضها عما أصابها

وكان هذا الحادث هو البداية ، اذ حرص الملك بعد ذلك على ان يطبق قواعد العدالة فى حزم وشدة ، على كل من تسول له نفسه ان يمتهن جلال تاجه ، ومقام ملكه !

اليوم الثانى

شفاعة القديس « جوليان » !

قال « فيلوستراتو » :

سأروى لكم قصة عن أمور تتعلق بالدين ، وتمتزج بالهموم والنوائب حينا ، وبالحب حينا ، عسى أن تفيد من يسعون ضاربين فى مسالك الهوى غير الأكيدة :

◆ **قدم** الى مدينة (بولونيا) بايطاليا فى عهد مركيز (فيرارا) تاجر يدعى « رينالدو داستى » ، لبعض شئونه الخاصة ، حتى اذا فرغ من مهامه ، قفل عائدا الى بلدته ٠ وعند خروجه من المدينة على صهوة جواده ، صادف أشخاصا بدا عليهم أنهم من التجار ، فانضم اليهم غير موجس ولا محاذر ٠ على أنهم كانوا فى حقيقتهم من قطاع الطرق ، فلما عرفوا أنه تاجر ، ظنوا أنه يحمل مالا وفيرا ، فعولوا على أن يسلبوه ذلك المال ، فى أول فرصة تسنح لهم ٠ وحتى لا يساوره أى شك نحوهم ، ظلوا ماضين معه فى الرحلة ، وهم يحدثونه بلهجة ذوى السمعة الطيبة والخلق القويم ، مبدين أقصى اللطف والمجاملة ، الى درجة خيل اليه معها أنه جد سعيد حين التقى بمثل هذه الثلة الطيبة ، بعد أن كان مسافرا بمفرده ، وليس فى صحبته سوى خادم واحد !

وتناولوا بالحديث شتى الأمور ومختلف الموضوعات ، ثم تحولوا أخيرا يخوضون فى ذكر الصلوات ، فاستدار أحد الاشرار ـ وكانوا ثلاثة ـ ليسأل رينالدو : « وأية صلاة تتلوها يا سيدى عادة ، وأنت على سفر ؟ »

ـ الحق اننى لست ملما بغير النذر اليسير من هذه الأمور ٠٠ بل اننى لا أحفظ سوى عدد ضئيل جدا من الصلوات ٠ ولكنى أعيش على نمط رجعي قديم ، ومن ثم اعتدت قبل أن أغادر بيتى للسفر ، أن أتلو صلاة ربانية ، ودعاء للسيدة مريم ، وأهبهما لوالد القديس جوليان وأمه ٠ ثم أضرع الى الله والى هذا القديس أن يمنحانى مأوى طيبا ألوذ به فى المساء ٠ **واسمح لى أن أؤكد لك يا سيدى ، اننى كثيرا ما تعرضت لأخطار هائلة في الطريق، ولكنى نجوت منها جميعا ! ٠٠ كما أننى كنت ـ اذا ما جن الليل ـ أوفق الى مأوى طيب ٠ وهذه منة أوقن من أن القديس جوليان ـ الذى أمجد سيرته ـ قد استمدها لى من الله ٠وأعتقد أننى لا يمكن أن آمن فى سفرى ، أو أوفق الى مأوى مريح ، اذا قدر لى أن أنسى هذه الصلاة !**

فقال الآخر : « لا شك فى أنك تلوت تلك الصلاة فى صباح اليوم ؟ » ٠٠ فرد عليه « رينالدو » قائلا : « هذا ما فعلته بكل تأكيد ! » ٠ فحدث الشرير نفسه ، وقد استقر على طريقة للتصرف معه : « ستحتاج الى صلوات كثيرة ، لأن مسكنك ـ اذا لم أخطىء الحدس ـ قد لا يأتى على الوجه الذى ترجوه !» ٠٠ ثم استرسل بصوت مرتفع : « اننى سافرت كثيرا ، ولكنى لم أتل هذه الصلاة على الاطلاق ـ رغم ما سمعته من تحبيذ لها ـ لأننى كنت أوفق بدونها الى السفر المريح ٠ ولسوف ترى الليلة أينا يوفق الى مأوى أفضل ٠ ومع ذلك ، فلا يفوتنى أن أعترف بأننى أستعيض عن هذه الصلاة بصلوات أخرى ، مثل « الديروبستى » و « الانتمراتا » و « من الأعماق » ، اذ كانت جدتى تردد لى ما لها من أثر فريد ! »

وهكذا مضوا فى سفرهم ، متناولين بالحديث أمورا كثيرة ٠ وأخذ الاشرار يرتقبون الوقت والمكان الملائمين لتنفيذ خطتهم الخبيثة ٠ وفى ساعة متأخرة من الليل ، بلغوا مكانا غير مطروق ، عند بقعة ضحلة من النهر ، بالقرب من قلعة (جيليلمو) ٠

واذ ذاك هجموا على الرجل فسلبوه نقوده ، وجردوه من كل ثيابه ـ عدا القميص ـ ثم تركوه واقفا ، وهم يقولون ساخرين: « اذهب فانظر ما اذا كان قديسك جوليان سيزودك الليلة بمأوى طيب كهذا الذى سنحظى به ! » ٠٠ وعبروا النهرماضين فى طريقهم ٠ أما خادم « رينالدو » ، فانه ـ ككل وغد ـ لم يكد يرى سيده فريسة للأشقياء ، حتى أسرع مبتعدا على مطيته ، دون أن يبذل أدنى معاونة له ، بل انه لم يتوقف قط حتى بلغ قلعة (جيلييلمو) فى ساعة متأخرة ، فلاذ بها ، دون أن يكلف نفسه مزيدا من العناء !



* * *

• **وبقى** « رينالدو » وحيدا ، فى قميصه ، بلا حذاء ولا جورب . وكان الطقس غاية فى البرودة ، والثلج ينهمر بلا انقطاع ، وقد أخذ الليل يكتهل ، وهو لا يدرى ماذا يصنع ! وما لبث أن بدأ يرتعد ويرتجف ، وراحت أسنانه تصطك من البرد . وتلفت حوله يبحث عن مأوى يقضى فيه ما تبقى من تلك الليلة ، وقد برح به الجوع ، ولكنه لم ير أثرا لانسان ، اذ كانت الحرب الأخيرة قد خربت الريف ودمرته تدميرا . وحمله البرد القارس على أن يسرع الخطى نحو قلعة (جيلييلمو) ، ولم يكن يعلم أن خادمه قد لاذ بها أو بسواها ، وانما داخله رجاء فى أن يجد فى هذه القلعة ما يسعفه ، اذا قدر له أن يدخلها . على أن الظلمة اشتدت قبل أن يقطع الميل الأخير ، فأبطأ فى سيره . ولم يصل الى القلعة الا فى ساعة متأخرة . ليجد أبوابها مغلقة ، والجسور مرفوعة . ولم يستطع أن يحصل على اذن بالدخول ، فاشتد كربه ، وتضاعف قنوطه ، وأخذ يتلفت حوله ليرى ما اذا كان ثمة وقاء من الثلج المنهمر ، واذا به يكتشف – بطريق المصادفة – منزلا يشرف على سور القلعة . فقرر أن يقف فى حماه طوال الليل ، ثم يستأنف رحيله فى الصباح . ووجد فى الجدار بابا محكم الاغلاق ، كما شاهد حوله بعض القش ، فجمعه وجلس فوقه ليغرق فى لجة التفكير بقلب محزون ، وليصلى الى القديس « جوليان » ويشكو اليه ما لاقاه ، مما لا يتفق اطلاقا مع الثقة التى يضعها فيه على الدوام !!

ولكن القديس الذى كان يرعاه سرعان ما زوده بمأوى أفضل مما كان يرجو ! .. فلقد كانت تعيش فى تلك القلعة أرملة على جانب كبير من الجمال ، أحبها مركيز (فيرارا) حبه للحياة الغالية ، فاستبقاها فى ذلك المنزل المنعزل الذى لاذ « رينالدو » بجداره . وكان المركيز

ـ فى ذلك اليوم بالذات ـ قد وعد السيدة بأن يحضر ليمكث معها طوال الليل ، فأعدت له حماما وعشاء فاخرا ٠ واذ أصبح كل شيء مهيأ ، ولم يعد ينقص السيدة سوى قدوم المركيز ، فوجيء هذا برسالة عاجلة تتطلب منه أن يقوم برحلة ما على الفور ، فأرسل يقدم اعتذاره الى السيدة ، ورحل فى الحال ٠ وتكدر خاطر السيدة كثيرا ، ولم تدر كيف تقضى كل ذلك الوقت ٠ وأخيرا ، اعتزمت أن تنتفع هى بالحمام ـ الذى كانت قد أعدته للمركيز ـ ثم تتناول عشاءها وتأوى بعد ذلك الى فراشها ٠ ولكن شاءت المصادفة أن يكون الحمام على مقربة من الباب الذى احتمى « رينالدو » البائس به ، فلما دخلت سمعت الأخير يجأر بالشكوى ، ويرتعد ٠ فنادت على التو وصيفتها ، وطلبت اليها أن تطل من فوق الجدار على عتبة الباب ، ثم تستفسر عمن يكون ذلك الرجل وماذا يريد ٠ فذهبت الخادم واستطاعت على ضياء السماء أن تميز« رينالدو»، وقد جلس على ما وصفنا من قبل ٠ واذ سألته عمن يكون ، أجابها بجهد وهى لا تكاد تفهم قوله ، لفرط ارتجافه ٠ وشرح لها كيف قدم الى ذلك المكان ، وضرع اليها أن لا تدعه للبرد يهلكه !

ورثت الفتاة لحاله،فعادت تروى قصته كاملة لسيدتها ، التى أشفقت عليه بدورها ، وتذكرت أنها تحتفظ بمفتاح الباب لتستخدمه أحيانا فى ادخال المركيز ، فقالت : « اذهبى وافتحى الباب برفق ، فان لدينا طعاما كثيرا ، لا نجد من يشاركنا فيه٠ وقد يجمل بنا أيضاأن نمنحهمأوى ! » ٠٠ فأخذت الفتاة تثنى على احسانها وكرمها ، ثم بادرت تفتح الباب فاذا « رينالدو » يوشك أن يتجمد ويهلك من البرد ، فأهابت به : « هيا أيها الرجل الطيب ، وادخل هذا الحمام الذى لا يزال دافئا ! »

* * *

• وأسرع الى اطاعتها ، دون مزيد من الالحاح ٠ وألفى نفسه

ينتعش بدفء الحمام ، وكأنه يرتد من الموت الى الحيــاة ! ٠٠ وأرسلت اليه السيدة بعض ثياب ـ مما ترك زوجها الراحل ـ فلاءمته كل الملاءمة ، وكأنها صنعت من أجلــه ! ٠٠ ثم جعل ينتظر ما تصدره اليه من أوامر جديدة ، وهو يحمد الله والقديس « جوليان » على أن أنقذاه من أبشع الليالى وساقاه آخر الأمر الى حيث يأمل أن يلقى الترفيه الجميل !

وكانت السيدة قد استراحت قليلا ، فأمرت باشعال نار كبيرة في الردهة ، حيث أقبلت تستفسر عن ذلك الرجل الطيب ، وتسأل أى صنف من الرجال يكون ، فأجابتها الوصيفة : « لقد ارتدى ملابسه يا سيدتى ، فبدا فيها رجلا مليحا جدا ، ومهذبا فى تصرفاته ! » ٠٠ فقالت لها : « اذهبى اذن ، فاستدعيـه واطلبى منه أن يقترب من المدفأة ، ولا مانع من أن يتعشى معى ، فاننى أشــفق من أن يكون قد تناول عشــاء هزيلا يدعو للأسى ! »

وعند ما جاء رينالدو الى الردهة ، شاهد السيدة ، فبدت له جليلة القدر ، ومن ثم قدم لها أعمق مظاهر الاجلال ، وأعرب ما استطاع عن آيات الاعتراف بالجميل بما أغدقته عليــه من فضل واكرام ، فدعته الى الجلوس بجوار المدفأة ، بعد أن وجدته على ما وصفته به الخادم ، ثم أخذت تســأله عن المآسى التى طوحت به الى ذلك المكان ، فقص عليها بكل أمانة ما وقع له ، واستطاع ان يكتسب ثقتها بسهولة ، لأنها كانت قد سمعت شيئا عن وصول تابعه الى القلعة ٠ وما لبثت أن أخبرته بمـا تعرفه عن ذلك ، ووعــدته بأن تهيىء له مقــابلة خــادمه فى الصباح

وعندما أعد العشاء ، صدع « رينالدو » بمــا أشــارت به السيدة ، فغسل يديه ثم جلس معها الى المائدة ٠ ولما كان قوى البنيان ، جميل المحيا ، وفى عنفوان رجــولته ، فقد راحت

السيدة ترمقه بنظرات مفتونة ، وقد ضـاعف من وجدها أن أخلف المركيز موعده · ولذلك مالبثت بعد العشاءأن استشارت خادمتهافيما اذاكان في وسعذلك الضيف أن يشغل الليلة مكان المركيز - الذى كان بهذه المناسبة يخدعها بدوره - وهل يجدر أن تنعم بما طوح به الحظ فى طريقها ؟ ! ·· وكانت الوصيفة تدرك جيدا ما يدور برأس سيدتها ، فأشارت عليها بأن تنتهز الفرصة المواتية · وعلى ذلك عادت السيدة الى جوار المدفأةحيث كانت قد تركت ضيفها ، وقالت له بلهجة مشجعة : « آه يا « رينالدو » ! ·· لماذا أراك غارقا فى التفكير ؟ ·· أتفكر فى جوادك وبعض ملابسك التى فقدتها ؟ ·· سر عنك ، فأنت كما ترى فى منزلك ، بل أضيف الى هذا أن رؤيتى لك فى ثياب زوجى ، تصورك لى فى شكله ، وتجعلنى أتلهف على ضـمك وتقبيلك ·· ولولا خوفى أن يكدر ذلك صفوك لأقدمت عليه ! »

ولم يكن « رينالدو » غبيا - فى هذه الأمور - فما ان سمع كلماتها ، ولحظ نظراتها الزاخرة بالمعانى ، حتى اقترب منهـا فاتحا ذراعيه ، وهو يقول : « آه يا سيدتى ·· كلما فكرت فى أننى مدين لك بحياتى ، وكلما تذكرت أى مأزق أنقذتنى منه ، رأيت أن من الجحود المنكر أن لا أحاول ما استطعت أن أرضيك وأسعدك ! تعالى يا سيدتى فقبلينى وعانقينى ما طاب لك التقبيل والعناق ، فانه ليسعدنى كل السـعادة أن أبـادلك فضـلا بفضل ! »

ولم يعد الأمر يحتاج الى كلام ، فألقت السـيدة بذراعيها حول عنقه على الفور ، ثم دخلا حجرة أخرى ، قضيا فيها الهزيع الباقى من الليل ، فى هناءة ما بعدها هناءة !

وفى الصباح ، قدمت له السيدة بعض الثياب القديمة - بدلا من تلك التى لبسها فى الليلة السالفة - تحاشيا لأية ريبة ، ثم ملأت له جيوبه بالنقود ، وطلبت اليه أن يبقى ما حـدث

بينهما سرا ! ٠٠ ثم أرشدته الى حيث يجد خادمه ، وتركته يخرج من نفس الباب الذى دخل منه

وما أن وجد الصباح قد غدا فى رائعته ، حتى بادر الى القلعة يدخلها وكأنه قادم من مكان بعيد ! ٠ وهنـــاك ، وجد ذلك التابع ، فخلع معطفه البالى ، وهم بركوب جواد الخادم ، لولا أن حدث اذ ذاك ، لحسن الحظ ، أن اعتقل الأشرار الثلاثة ـ الذين نهبوه فى اليوم السابق ـ فى حادث آخر ، فسيقوا الى القلعة، حيث أقروا بما فعلوا ٠ وبهذا استعاد « رينالدو » جـــواده وملابسه ونقوده ، ولم يفقد سوى رباط جوربه ، لأن الأشرار لم يعرفوا مصيرا له ! ٠٠ فحمد الله والقديس « جوليان » ، ثم ركب جواده ، ووصل سالما الى منزله ٠ وفى اليوم التالى بالذات، استعرض الأشقياء على ملأ من الناس ، ثم علقوا من رقابهم ، وتركوا يتأرجحون فى الهواء !

الحب ٠٠ لا يعترف بالاجازات !

قال « ديونيو » :

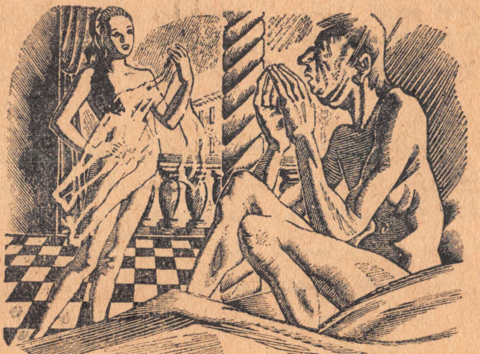
كنت قد اخترت قصة غير التى سأرويها لكم ، لولا ان خطرت لى هذه الأخيرة ، كعبرة لأولئك الرجال الذين يستمرئون صحبة النسـاء فى تغربهم ، فيتقلبون اليوم فى أحضان هذه ، ليتركوها فى اليوم التالى الى تلك ، و هم يظنون ان زوجاتهم يجلسن مكتوفـات الأيدى ، وكأن التجربة اليومية لا تؤكد لنا عكس ذلك ٠ لهذا سأثبت لكم مدى حماقة امثال هؤلاء الرجال ، لا سيما اولئك الذين يخالون أنفسهم اقـوى من الطبيعة التى صاغتهم ، فيحاولون أن يستروا عيوبهم ببعض المظـاهر المغالى فى اصطناعها ، ويسعون الى أن يجعلوا سواهم من الناس يغدون على نسقهم ـ قلبا وقالبا ـ مهما يكن التباين بين ذلك وبين فطـرتهم الطبيعية :

◆ **عاش** فى (بيزا) يوما ، قاض أوتى من النبوغ قدرا يفوق ما أوتيه جسده من قوة ،وكان يدعى «ريكاردو دى كينتسيكا» ٠ واذ اقتنع بأن الزواج لا يتعارض مع مواصـلة التفقه ، رأى ـ وهو الواسع الثراء ـ أن يتخذ لنفسه زوجة ناضرة الصبا ، رائعة الجمال ٠ ولو أنه عرف كيف ينصح نفسه بمثل ما ينصح به الآخرين ، لتحاشى الصبا والجمال معا !

وتحقيقا لرغبته ، آثره السيد « لوتوجالاندى » بكـريمته التى كانت تدعى « بارتولوميا » ٠٠ وكانت من أجمل وأفتن سيدات (بيزا) كلها ، على قلة من لم تكن شاحبة شـحوب السحالى منهن !

وجاء القاضى بعروسه الى منزله فى أبهة فاخرة ، وبعـد ان احتفلا بزفافهما فى مظهر رائع ، مضى القاضى يستكمـل مع عروسه أهداف الزواج ، ولكن ٠٠ على ضعف لا يروى غلـة عروس !! ٠ وفى الصباح التالى ، أخذ يجدد نشـاطه بالخمر

والعقاقير المقوية ٠ واذ تبين حقيقة حاله ، راح يلقن عروسه تقويما من التقاويم التى يعلقونها للأطفال فى (رافينا) ، فيوضح لها كيف يندر أن لا يكرس يوم من أيام السنة لهذا القديس أو ذاك ، وكيف أن لبعض الأيام أكثر من قديس واحد ٠ ومضى يثبت لها بأدلة عديدة كيف ينبغى على كل زوجين أن يظلا متباعدين فى هذه الأيام الأخيرة ، توقيرا للقديسين ! ٠٠ ليس هذا فحسب ، بل ان من الواجب الصوم فى تلك الأيام بالذات ، كما يجب السهر طوال الليل فى موالد الرسل



والقديسين ، وفى أيام الجمع والسبت والأحد وأيام الصوم الكبير ! ٠٠ هذا عدا ملاحظة دورة القمر وغير ذلك مما لا عد له ولا حصر !! ٠٠ ولعله كان يعتقد أن راحته تستوجب أن تكون اجازاته مع زوجته كثيرة كثرة قضاياه فى المحكمة !٠٠ ولكم استاءت الزوجة عندما عاش على هذا النحو ، فأصبح لا يكاد يتحدث اليها أكثر من مرة فى الشهر ، وأحاطها بسياج من الرقابة الشديدة ، خشية أن يعلمها رجل آخر ما يتعلق بأيام العمل كما علمها هو ما يتعلق بأيام العطلات والأعياد !

* * *

• **وحدث** أن اشتدت حرارة الطقس ، فرغب القاضى فى أن يروح عن نفسه بالانتقال الى احدى ضياعه فى الريف ، على مقربة من (الجبل الاسود) ، وأن يصطحب زوجته لبضعة أيام. ولكى يحبب اليها الريف ، خرجا سوياً لصيد السمك فى أحد الايام ، واستقل هو والصيادون قاربا ، بينما استقلت هى قاربا آخر مع نفر من السيدات اللاتى ذهبن لمشاهدة تلك الرياضة. وساقهم الترويح عن النفس الى أميال داخل البحر ، دون أن يفطنوا الى ذلك . وفيما كان انتباههم محصورا فى الصيد والتفرج، فوجئوا بسفينة لرجل من (موناكو) يدعى «باجانينو»، كان قرصانا ذائع الصيت ، لم يلبث أن استولى على القارب المحمل بالنساء . ولما وقع نظره على تلك السيدة المليحة - زوجة القاضى - نقلها الى سفينته على مشهد من زوجها الذى كان قد وصل الى الشاطىء فى تلك الأثناء ، اذ لم يشأ أن يتدخل فى شىء ، وانما بادر بالاقلاع مبتعدا عن موطن الخطر !

وفى وسعك أن تتصور بسهولة مبلغ حزن « ريكاردو » عندما رأى ذلك ، وهو الذى كان يغار عليها من النسيم ! .. لذلك راح يشكو - عبثا - فى (بيزا) وغيرها ، نذالة أولئك القراصنة ، دون أن يتبين أيهم الذى خطف زوجته ، والى أين حملها !

أما « باجانينو » ، فقد سر بالسيدة أيما سرور . واذ وجدها غاية فى الجمال، وكان بلا زوجة ،عول على أن يحتفظ بها لتكون بمثابة زوجة له . حتى اذا وجدها تنوء تحت ثقل الهم والشجن ، جعل يخاطبها بعبارات تفيض حنانا وتسرية . فما أن هبط الليل ، حتى كان « التقويم » قد سقط من « حزامها » ، فنسيت كل شىء عن أيام الأعياد والصيام ، لأن القرصان هون عليها الأمر بوسيلة عملية تختلف عن الألفاظ . وقبل أن تبلغ

موناكو بزمن طويل ، كان كل أثر للقاضي وقوانينه قد تبدد من رأسـها ، فعاشت مع باجانيـنو ترتشف كل ملذة في العالم !!

وبعد قليل ، تناهى الى سمع « ريكاردو » ما أصبحت عليـه زوجته ، فأقلع نافد الصبر ليسترجعها ، متوهما أنه خير من يصلح لهذه المهمة ، معولا على أن يفتديها بأى مبلغ من المال !! وحين وصل الى (موناكو) ، رآها ورأته ، فبـادرت فى نفس الليلة تخبر « باجانينو » وتحدثه بما اعتزمته • وفى الصباح التالى ، تقابل « ريكاردو » مع « باجانينو » ، فتعارفا فى الحال ، وان ظل القرصـان يتظاهر بأنه لا يعرف شيئا عن مهمـة القاضى ، فى انتظار ما سوف يقدم عليـه • حتى اذا سنحت الفرصة ، أخذ « ريكاردو » يبين الدافع له على الحضور الى هناك، ثم جعل يعرض بأسلوب مفرط فى الرقة،أن لباجانينو أن يطلب أية فدية يراها مناسبة لكي يرد اليه زوجته،فأجابه «باجانينو» فى غاية من الأدب والمجاملة : « أنت هنا على الرحب والسعة ، ولكن المسألة بالاختصار كما يلى : ان لدى شابة فى منزلى ، ولست أدرى ما اذا كانت زوجتك أو زوجة غـيرك ، لأننى ما عرفتك ولا عرفتها قبل أن تعيش معى • فاذا كنت زوجها كما تقول ، فسوف أحضرها أمامك ـ ما دمت تبدو رجلا فاضلا ـ ولا شك أنها تعرفك ! •• فاذا أقرت قصـتك ورغبت فى أن تأخذها ، فان سلوكك من الطيبة بحيث يجعلنى لا أطمع فى غير المكافأة التى يرضيك أن تقـدمها لى • أما اذا ثبت غير ذلك ، فدعنى أصارحك بأنك تظلمنى كل الظلم بمحـاولتك انتزاع الشابة منى ، لأنى شاب وأعرف ـ كأى شخص آخر ـ ما يجب أن أقدمه لأية امرأة ، فما بالك وهذه أشهى امرأة وقعت عليها عيناى ؟ [!] »

قال ريكاردو : « انها زوجتى بكل تأكيد يا سيدى ،فتفضل

وخذنى اليها لتقتنع فى الحال ، اذ أنها ستبادر الى تطويق عنقى بذراعيها ! » ٠٠ فأجاب باجانينو : « اذن هيا بنا ! »

ولما دخلا المنزل وجلسا فى الردهة معا ، أمر « باجانينو » باستدعاء « بارتولوميا » ، فتزينت زوجة القاضى ثم أقبلت دون أن تعير « ريكاردو » أى انتباه يعدو ما تعيره لأى غريب يصطحبه « باجانينو » الى المنزل ٠ فما أن رأى القاضى ذلك – وكان يتوقع أن تلقاه بفرحة بالغة – حتى استبدت به الدهشة وجعل يحدث نفسه : « لا شك أن الحزن الذى تولانى بسبب فقدها قد غير وجهى بحيث لم تعد تعرفنى ثانية ! » ٠٠ ثم قال لها : « لقد كلفنى اصطحابك لصيد السمك غاليا يا حبيبتى ، لأننى لم أحزن فى حياتى بمثل ما حزنت لفقدك ٠ ومع ذلك فشد ما يبدو لى أنك لم تعرفينى ، ومن ثم أخلدت الى الصمت اخلادا قاسيا !٠٠ ألا ترين أننى زوجك «ريكاردو»، الذى جاء مستعدا لأية فدية يطلبها السيد – الذى نحن فى بيته الآن – فى سبيل استردادك ؟ ٠٠ لقد بلغ من كرم هذا السيد أن رضى بأن يعيدك الى بالثمن الذى أحدده ! »

وعندئذ التفتت السيدة اليه وقالت مبتسمة : « أتحدثنى أنا يا سيدى ؟ ٠٠ آنتبه جيدا ، فما أحسبك الا موشكا أن لاتعرف نفسك ٠٠ اذ لست أذكر أننى شاهدتك فى حياتى كلها قبل الآن ! » ٠٠ فرد قائلا : « بل أجدر بك أنت أن تنتبهى الى ما تقولين ، وأن تتأملينى جيدا لعلك تتذكرين اننى زوجك ريكاردو دى كينتسيكا » ٠٠ فقالت : « معذرة يا سيدى اذا منعنى حيائى من أن أمعن فى التفرس فيك ٠ ولكنى تأملتك بما يكفى لأن يجعلنى أتأكد من اننى لم أرك فى حياتى من قبل ! »

وحسب « ريكاردو » أنها تعمد الى ذلك التجاهل ، خوفا من « باجانينو » ، وعزوفا منها عن الاعتراف أمام القرصان ، فالتمس من هذا أن يسمح له بأن يحدثها على انفراد ، وأجاب

« باجانينو » بأنه يرحب بذلك الاقتراح ، على أن يعده بأن لا يحاول تقبيلها على الرغم منها !! ثم أمرها بأن تصحب القاضى الى طابق علوى لتسمع ما لديه من كلام وترد عليه بما تراه واجبا ٠ فلما أصبح الزوجان وحدهما ، بدأ ريكاردو يقول : « وا أسفاه يا حياتى ٠٠ يا روحي ٠٠ يا غاية أمنياتى الحلوة فى الحياة ! ٠٠ ألا تعرفين زوجك ريكاردو الذى يحبك أكثر من نفسه ؟ كيف يمكن أن يكون هذا ؟ ترى هل تغيرت الى هذا الحد يا جوهرتى ؟ تأملينى مليا ! »

فأخذت تضحك ٠ وحتى لا يسترسل فى عباراته ، قالت له: « أنت تعلم تماما أننى لا أملك أن أنسى الى هذا الحد ، فأنا أعرف أنك زوجي «ريكاردو دى كينتسيكا» ، ولكنى طوال اقامتي معك لم ألمس قط أنك قد عرفت عنى شيئا !! ولو أنك كنت حقيقة من الحكمة بقدر ما يتوهمونك ، لأدركت أنني شابة تزخر بالحيوية ، وأن الشابات يحتجن الى شيء آخر غير الطعام والثياب ، وان منعهن الخفر والحياء من التصريح بذلك ! ٠٠ ولعل ضميرك ينبئك بالدور الذى لعبته معي ! ٠٠وما دمت تؤثر دراسة القانون ، فما كان يجدر بك أن تتزوج بحال ٠٠ انك في الواقع تصلح داعية للأعياد وأيام الصيام ، أكثر مما تصلح لأن تكون قاضيا !٠٠ ومع ذلك ، دعني أصارحك بانك لو منحت حقولك من العطلات وايام الراحة عدد ما منحت حقلى الصغير ، لما جنيت حبة قمح واحدة !! ٠٠ ان الله قد أشفق على أخيرا ، فعثرت على رجل أحبه من كل قلبى ، لأنه لا يعترف بأجازات فى أيام الجمع والسبت والأعياد على غرارك ، وانما هو يؤدى واجبه الأسمى ليل نهار ، ولذلك اعتزمت أن أستمر معه ما استمر شبابى ، وأن أرجيء دور الصيام الى أن تتقدم بى السن ! وعلى هذا ، ففي وسعك أن تعود فورا الى منزلك لتحرص بين جدرانه على تلك الأيام كما تشاء ! »

فاغتم ريكاردو غاية الغم ، وقال بعد أن فرغت من حديثها : « يا حبيبتى الغالية ! ما هذا الذى أسمعه منك ؟ ٠٠ ألا اعتبار لديك لشرف أهلك وشرفك ؟ ٠٠ أتفضلين البقاء هنا فى خطيئة دائمة ، كخليلة لهذا الرجل ، على العيش فى (بيزا) زوجة لى ؟ ٠٠ انه لن يلبث أن يسأمك ، ثم يطردك بكل احتقار ، أما أنا فسوف أحبك دائما ! ٠٠ اذا قدر لى أن أموت ، فسوف تصبحين سيدة على دارى وأملاكى ! ٠٠ وهل يمكن أن تدفعك شهوة جامحة مخزية ، الى اغفال شرفك وشرفى أنا الذى أحبك أكثر من حياتى ؟! ٠٠ لا تقولى هذا يا حبيبتى ،وهيا معى ، فقد عرفت سر حزنك وسأحاول أن أعوضك عما فات يا هنائى ٠٠ يا كنزى ! ٠٠ اعدلى عن رأيك وارحلى معى ، فاننى لم أنعم بيوم سعيد منذ انتزعت منى ! »

وردت الشابة قائلة : « لست أحب يا سيدى أن يهتم سواى بشرفى ٠ وقد كان واجبا على أهلى أن يحسبوا لهذا كله حسابه عند ما حملونى على أن أتزوج منك ٠ فاذا كان أهلى قد أهملوا أمرى عند الزواج ، فلماذا أهتم بهم اليوم ؟ ٠٠ أما عن معيشتى فى خطيئة أبدية خالدة ، فلا تشغل بالك بأمر كهذا ، لأننى أعتبر هنا زوجة لباجانينو !! ٠ ونحن هنا نقضى الوقت فى غبطة ولذة عارمتين ٠ ثم آنك تعدنى بأن تحاول أن تعوضنى عما فات ، فيسرنى أن أعرف كيف يتأتى لك ذلك ، اللهم الا اذا كان قد غشيك تغيير بدلك ! ٠٠ عد وحاول أن تبقى على قيد الحياة ، فان هذا كل ما فى وسعك أن تعمله ، وان كنت أرى أنك لا تعيش الا على آلام الغير !! ٠٠ أما أنه سوف يلفظنى ويطردنى ، فاننى حين يحدث هذا ـ وهو ما يبدو بعيدا عن رأسه الآن ـ لن أعود الى مخلوق حقير مثلك ، بل ان الدنيا كفيلة بأن تمنحنى مأوى أسكن اليه ، وأستريح بين جدرانه ! وأحب أن أخبرك مرة أخرى أننا هنا لا أعياد ولا صيام لدينا ،

ولذلك فقد عولت على البقاء فى هذا المكان ، وعليك اذن أن تمضى مباشرة لحال سبيلك والا صرخت بانك تحاول اغتصابى عنوة !!

عندئذ غشيت القاضى حيرة محزنة ، ووضح له كل الوضوح كيف كان أحمق عند ما تزوج شابة فى مثل هذه السن ، فغادر الغرفة على التو ، وتبادل مع «باجانينو» حديثا مقتضبا لا يغنى فتيلا ٠٠ واضطر فى النهاية آلى ترك زوجته والعودة الى (بيزا)، حيث أخذ يهيم على وجهه فى الطرقات وهو لا يرد على أى صديق يخاطبه الا بقوله : « لن تمنح الفاجرة نفسها أية اجازات ! »

وسرعان ما قضى نحبه ، وتناهى الخبر الى « باجانينو » فبادر الى الزواج من السيدة لما لمسه من حبها له ! ٠٠ وعاش الاثنان معا فى سعادة وهناءة ، متوافرين على مباشرة واجباتهما الزوجية ، مقصيين شبح أيام الصوم والأعياد وما شابهها عن المنزل !!

رهان ٠٠ على عفة زوجة !

قالت « فيلومينا » :

من الأقوال الشائعة ، أن الخادع يكون دائما تحت رحمة المخدوع ٠ ولن يثبت صحة هذا القول – فى رأيى – سوى ظروف حدثت بالفعل فى هذه الدنيا ٠ وهذا ما أرجو أن أبينه لكم :

♦ **حدث** أن التقى يوما بعض التجار الايطاليين فى فندق بباريس ، وكانوا قد جاءوا متفرقين فى ظروف متباينة ٠ واجتمعوا حول مائدة العشاء ذات مساء ، فأخذوا يتبادلون الحديث فى هناءة ، متنقلين من موضوع الى آخر ، حتى انتهوا الى الكلام عن زوجاتهم اللائى تركوهن وراءهم فى ايطاليا ٠ واذ ذاك قال أحدهم متفكها : « لست أدرى ما الذى تفعله زوجتى فى غيابى ، وان كنت أعلم ما الذى أفعله ٠ فأنا أعتقد اننى اذا التقيت بحسناء تروق لى ، نسيت حبى لزوجتى ، وأقبلت أغترف من الملاذ السانحة ! » ٠٠ فقال آخر : « وهذه حالى أنا أيضا ٠٠ ذلك لأن زوجتى لن تحجم عن فعل ما يحلو لها – سواء علمت أنا به أو لم أعلم – وهكذا تتعادل كفتانا !» ٠٠ وشاطرهما الرأى تاجر ثالث ، وأوشك القول أن يجتمع على أن الزوجات اذا تركن وحيدات فى الوطن ، لم يتورعن عن اغتنام الفرص فى غياب أزواجهن !

ولم يقف فى وجه هذا الرأى سوى تاجر واحد من بينهم ، يدعى « برنابو لوملين » ، من (جنوآ) ٠ فقد أعلن أن الله أنعم عليه بزوجة تركزت فيها كل الفضائل التى تزين الاناث والذكور على السواء ! ٠٠ فهى شابة ، وجميلة ٠٠ وهى بارعة فى « اشغال الابرة » وكافة الفنون الجميلة الأخرى التى

تمارسها النساء ! .. وقال « برنابو » أن ما من خادم يبدى من اليقظة والتفانى فى خدمة مولاه اذا ما جلس الى المائدة ، مثل ما كانت تبدى هى فى خدمة زوجها ! .. ثم انها واسعة العقل، طيبة النشأة . والى جانب براعتها فى الفروسية ، وفى الصيد بالصقور ، فان أحدا من التجار لم يكن ليباريها فى علاج الأرقام وفهم الحسابات .. **وانتهى « برنابو » الى النقطة التى أثارت الحديث في البداية ، فقال مقسما ان الارض لا يمكن أن تحمل امرأة تفوق زوجته فضيلة وعفة وطهرا ، وانه ليؤمن عن يقين بأنه لو غاب عنها عشر سنوات ، بل لو غاب عنها العمر كله ، لما هفت بعواطفها كلمة تسرية من شخص آخر !**

★ ★ ★

◆ **وكان** بين التجار الذين تناولوا الموضوع ، شاب يدعى « امبروجيولو » من (بياشترا) ، أثار أكبر ضجة ساخرة حول ما قاله « برنابو » فى مديح زوجته ، وسأله عما اذا كان الامبراطور قد آثره بهذا الامتياز دون بقية البشر ، فأجاب « برنابو » — وقد بدأ يشعر بالغضب — بأن الذى خلع عليه هذه النعمة لم يكن « الامبراطور » ، وانما « الله » سبحانه وتعالى ، الذى يفوق الامبراطور قوة وسلطانا !

فقال « امبروجيولو » : « لا يداخلنى أتفه شك فى أنك تخال ما تقوله صدقا ، ولكنك — فى رأيى — لم تحسب حسابا لطبيعة الأمور .. اذ لو كنت قد فعلت ، لما عجز ذهنك عن أن يجد من الأسباب ما يجعلك تتروى فى الأمر ، فلا تتحمس له بهذا الشكل . وما ينبغى لك أن تتصور اننا اذ تكلمنا عن زوجاتنا بكل هذه الصراحة والتحرر ، نراهن صنفا يغاير صنف زوجتك ، ولكننا ننظر الى طبيعة ميول النساء عامة . وأرجو أن تسمح لى بأن أناقشك قليلا فى هذا الموضوع . لقد كنت أعتقد دائما أن الرجل هو أنبل مخلوقات الله ، وان المرأة تأتى فى

الدرجة الثانية بعده ٠ وبما أن الرجل قد أتيح له أن يكون أقرب الى الكمال ، لذلك فمن الطبيعي أن يكون أكثر اتزانا واستقرارا ٠ أما النساء ، فهن دائما أكثر تذبذبا وتقلبا ، وفى وسعى أن أبرهن على ذلك بكثير من الأدلة ، ولكنى أدع هذا الآن جانبا ٠ واذا كان الرجل - الذى أتيح له نصيب أكبرمن الاستقرار - لا يملك أن ٠٠ لن أقول : أن يقاوم امرأة تغريه ، وانما أذهب الى أكثر من ذلك ، فأقول : اذا كان الرجل يشتهى ، ويبذل كل ما فى وسعه ليكون فى رفقة امرأة يميل اليها ، لا مرة واحدة فى كل شهر ، وانما ألف مرة فى اليوم - ان استطاع - فما ظنك بالمرأة ، وهى ضعيفة بفطرتها ؟ ٠٠ وكيف تراها تقوى على صد ألوان الاغراء ، والغزل ، والهدايا ، وآلاف الوسائل التى يحسن استعمالها العاشق الواسع الحيلة ؟ ٠٠ مهما تؤكد لى أنها تقوى على المقاومة ، فلن أصدقك! ٠٠ انك تقول ان زوجتك من لحم ودم ، فهى والحال هذه عرضة لكافة الشهوات التى تتعرض لها بقية النساء ٠ ومن ثم فهى - رغم عفتها - معرضة لأن تفعل ما تفعله النساء الأخريات٠ لذلك ، ما كان لك أن تنكر ما لطبيعة النساء من خواص بكل هذا التحمس والتأكيد ، وان تزعم العكس ! »

وهنا أجاب برنابو : « **اننى تاجر ، ولست فيلسوفا ، ومن ثم فسوف أرد عليك بمنطق بعيد عن الفلسفة ، فأقول أن ما ذكرته قد ينطبق على نساء قليلات الادراك ، لا يشعرن بالحياء ٠ أما العاقلات ، فيحترمن شرفهن ، ويتشبثن به فى صلابة لا تقل عن صلابة الرجال ٠٠ ومن هذا الصنف زوجتى !** »

فقال امبروجيولو : « قد يكون هذا حقا لو أن المرأة رزئت بقرن ينبت فى قمة رأسها كلما ارتكبت خطيئة ، ليشهد عليها! ولكن الأمر أبعد من هذا ٠ واذا كانت المرأة عاقلة ، فان هذا ادعى لأن يجعل اكتشاف خطيئتها عسيرا ! ٠٠ ولما كان العار والهوان لا يحدثان الا اذا انكشف السر ، لذلك فمن المؤكد ان

النساء لا يتورعن عما يمكن أن يظل سرا مكتوما ! ٠٠ فاذا تمنعن بعد ذلك ، فانما يتمنعن لأن نزواتهن تملى هذا التمنع ! ٠٠ ومن ثم ، فخذها قاعدة : ان المرأة لا تكون عفيفة الا لأن أحدا لم يراودها مطلقا ، أو لأنها هى التى راودت الرجل فأعرض عنها ! ٠٠ ومع أننى واثق من هذا الرأى على ضوء الطبيعة والمنطق ، الا انى ما كنت لأقدم على تأكيده لو لم أكن قد جربت نزوات وأهواء كثير من النساء المتباينات فى الخلق ٠ كذلك دعنى أنبئك بأنه اذا أتيحت لى صحبة زوجتك ـ التى تصورها على هذه الصورة الفاضلة ـ لما ساورنى شك فى أن بوسعى أن أنال منها ما نلت من غيرها !. »

وأثار هذا التحدى ثائرة برنابو ، فصاح : « ان الجدال لن ينتهى بنا الى نتيجة ، فأنت تؤكد وجهة نظرك ، وأنا أؤكدوجهة نظرى ، **ولكن ٠٠ اذا كنت مصرا على أن النساء قريبات المنال بهذا الشكل ، واذا كان هذا هو رأيك فى مدى قدرتك فى هذا الصدد ، فدعنى ـ لكى أقنعك ـ أراهنك على رأسى اذا أنت استطعت أن تستميل زوجتى ! ٠٠ ولن أشترط عليك أكثر من أن تنزل لى عن ألف جنيه فلورنسى ذهبى ، اذا أنت أخفقت فى استمالتها !** » ٠٠ فأجاب امبروجيولو فى تحمس عارم : « ما قيمة حياتك لدى اذا أنا ربحت ؟ ٠٠ اذا كنت مصرا على التجربة ، فضع خمسة آلاف جنيه فلورنسى ـ وهى أقل قيمة من حياتك ـ فى مقابل الألف التى أقدمها ! ٠٠ ولما كنت لم تحدد وقتا معينا للرهان ، فاننى سأسعى الى (جنوا) فورا ، وفى أقل من ثلاثة أشهر من يوم رحيلى ، سأفوز بزوجتك ، وسأحضر لك من الأدلة الغالية ما لن تملك ازاءه سوى الاعتراف بفوزى ٠٠ على شريطة أن تقسم لى بشرفك انك لن تذهب الى (جنوا) فى هذه الأثناء ، ولن تكتب لزوجتك عن هذه المسألة ! »

وأعرب « برنابو » عن قبوله الرهان ، ومع أن التجار

الآخرين بذلوا كل ما فى وسعهم كى يحولوا دون ذلك ـ ادراكا منهم لما يمكن أن يترتب عليه من شر ـ الا أن الرجلين كانا على درجة من الانفعال دفعتهما الى أن يبادرا بالتوقيع على ميثاق ، رغم كل ما بذله أصدقاؤهما . وهكذا ، بقى « برنـابو » فى باريس ، بينما رحل « امبروجيولو » الى (جنـوا) دون أن يضيع وقتا ، فمكث يوما أو اثنين يتقصى ـ وبكل حذر ممكن ـ اسم الشارع الذى كانت السيدة تقيم فيه ، ويتحـرى عن أخلاقها . وسرعان ما علم أن « برنابو » لم يقل غير الحق ، بل وسمع أكثر مما قال الرجل عن مدى تمسك زوجته بعفتهـا ، فأدرك أنه تورط فى مهمة طائشة . ولكنـه ما لبث ان التقى بامرأة بائسة كانت تتردد على الدار ، وكانت السيدة تغمرها بعطفها ، فعمل على استمالتها بأن أغدق عليها من المال ماجعلها تساعده على أن يلج الدار فى صندوق صنع طبقا لتعليماته !.. ولم يقتصر الأمر على دخوله الدار ، بل ان الصندوق حمل الى مخدع السيدة ـ زيادة فى الاطمئنان ـ اذ زعمت المرأة البائسة أنها راحلة ، وأنها أودعت هذا الصندوق متاعها ليكـون أمانة لدى السيدة !

* * *

• **وعندما** حل المساء ، وحدس الرجل أن السيدة قدنامت، فتح الصندوق بأداة خاصة كان قد حملها معه لهذا الغـرض ، ودلف بخفة فى الغرفة . وعلى ضوء شمعة كانت موقدة ، درس فى عناية شكل الغرفة وموقعها ، وما تضمه من لوحات ، وكل ما يسترعى الانتباه من معالم ، وحرص على أن يحتفظ بها فى ذاكرته . ثم اقترب من السرير ، فرأى السيدة والى جانبهـا فتاة صغيرة ، وقد استغرقت الاثنتـان فى النوم ،فنضا عن السيدة الغطاء ، وتبين أنها ـ وهى فى ثوب النوم ـ جميلة ، وكأنها ترتدى أبدع الثياب ! .. بيد أنه لم يلمح أية عـلامة



يستطيع أن يحملها معه ، اللهم الا شامة تحت الثدى الايسر ، تحيط بها شعيرات قلائل ذهبية اللون ، فاكتفى بها ٠ **ولما لم يجد من نفسه الجرأة – ازاء ما عرفه عن خلق السيدة – على أن يطيع شهواته ، وأن يمضي الى أبعد من هذا ، أعاد الغطاء الى موضعه ، ثم أخذ كيسا للنقود ، ووشاحا ، وخاتما ، وحزاما ، فوضعها جميعا فى صندوقه ، وعاد الى مكمنه بداخله ، ثم أوصده كما كان من قبل ، وبقى بداخله ليلتين ، دون أن تفطن السيدة الى شىء ٠ وفى اليوم الثالث أقبلت المرأة الفقيرة ، واستردت الصندوق ٠ وبعد أن أرضاها « امبروجيولو » كما وعدها ، أسرع عائدا الى باريس قبل انتهاء الفترة المتفق عليها ، حاملا معه أدلته ! ٠٠ وهناك ، جمع التجار الذين كانوا حضورا عند ما عقد الرهان ، وأعلن لبرنابو أنه ربح ، وانه أحضر القرائن التى وعده بها !**

وبدأ بوصف الغرفة وما فيها من صور ، ثم أظهر تلك الأشياء التى أخذها ، زاعما أن السيدة أعطته اياها ٠ واعترف « برنابو » بأن الغرفة كانت كما وصفها ، وتذكر أيضا أن تلك

الأشياء كانت من مقتنيات زوجته. ولكنه قال ان «امبروجيولو» كان يستطيع أن يحصل على أوصاف الغرفة وعلى تلك القرائن من بعض الخدم، ولهذا، فان ما وصل اليه لا يكفى مبررا لفوزه بالرهان، ما لم يكن لديه مزيد من الأدلة.

وقال «امبروجيولو» ردا على هذا: «الواقع ان ما قدمته خليق بأن يقنعك. أما وانت تدفعنى الى ان أقول أكثر من هذا، فاعلم اذن أن لمدام «زنيفرا» - زوجتك - شامة تحت الثدى الأيسر، تحيط بها شعيرات واهنة كأنها خيوط رفيعة من ذهب!».. وبهت «برنابو» حين سمع هذا، وأحس كأن خنجرا قد غاص فى قلبه، واربد وجهه بشكل اقنع الآخرين - رغم صمته - بأن «امبروجيولو» لم يقل غير الصدق!

وقال «برنابو» بعد برهة: «ان ما يقوله امبروجيولو هو الحق أيها السادة، وله - بعد أن خسرت الرهان - ان يأتينى متى يشاء، لأنقده المبلغ!»

وهكذا، دفع المبلغ فى اليوم التالى، ثم غادر (جنوا) وقد ثارت ضغينته ضد زوجته الى أبعد حد، فأوى الى بيت ريفى كان يمتلكه على بعد عشرين ميلا من المدينة، وأرسل خادما عهد اليه بجوادين ورسالة للزوجة ينبئها فيها بعودته، ويسألها أن توافيه مع الخادم.. ثم أوصى الخادم - فى الوقت ذاته - بأن يزهق أنفاسها بمجرد أن يصل معها الى مكان آمن من الطريق، ثم يؤوب اليه!

★ ★ ★

◆ **وحمل** الخادم الرسالة الى سيدته التى استقبلت النبأ بفرحة طاغية، وبادرت فى اليوم التالى الى الرحيل مع الخادم. وأخذا خلال الطريق يتبادلان الحديث، حتى بلغا بقعة منعزلة محوطة بالأشجار، حدس الخادم أنها صالحة لتنفيذ أوامر سيده، فشحذ سكينا، وأمسك بذراع الزوجة قائلا: «اسلمى

أمرك لله يا سيدتى ، لأنك ستلقين حتفك هنا ! » .. فذهلت واستحلفته أن ينبئها - قبل أن يقضى عليها - بما فعلته واستوجب هذا المصير . فقال الخادم : « انك لم تضرينى فى شىء يا سيدتى ، كما أننى لست أدرى ماذا أغضب زوجك منك . كل ما أملك أن أقوله هو انه أمرنى بأن أقتلك فى الطريق ، دون أن أشفق عليك ، وهددنى بأن يشنقنى اذا أنا لم أنفذ أمره ! .. وانك لتعلمين مدى سلطانه على ، فأنا لا أملك ان أعصى له أمرا ، وان الله ليعلم كم أنا آسف من أجلك ، ولكن لا حيلة لى فى الأمر ! »

وبكت السيدة قائلة : « واحسرتاه ! .. انك لن تقتلنى ارضاء لشخص آخر ، أنا التى لم أسىء يوما اليك ! .. **ان الله العليم بكل شىء ، ليشهد بأننى لم أرتكب ما يجعلنى أستحق هذا من زوجى . ولكن ، دعنا من هذا . بوسعك - اذا شئت - أن ترضى الله ، ومولاك ، وترضينى أنا ، على الوجه التالى : خذ ثيابى - و دع لى معطفك وقبعتك فقط - واحملها الى مولاى ومولاك ، وقل له انك قتلتنى . وأقسم لك بالحياة التى سأدين لك بها ، اننى سأذهب الى حيث لا يسمع عن أمرى ، لا مولاك ولا أنت ، ولا أى فرد فى هذه البلاد ! » .. واقتنع الخادم بسهولة ، اذ كان كارها للجريمة ، فترك لها معطفه وقبعته وما كانت تحمل من مال قليل ، واستحلفها ان لا تبقى فى تلك البلاد . ثم مضى فورا الى سيده ، وانبأه بانه قد صدع بأوامره ، وانه ترك جثتها نهبا للذئاب . وما لبث « برنابو » ان عاد الى (جنوا) ، بعد فترة من الزمن . وتعرض لكثير من اللوم ، عند ما اكتشف الأمر !**

* * *

◆ **أما** السيدة فقد بقيت وحيدة حتى هبط الليل ، ثم استخفت قدر ما وسعها الاستخفاء والتنكر ، و سعت الى قرية قريبة

حيث استأمنت امرأة عجوز على بعض سرها ورغبتها ٠ وقامت باصلاح المعطف ، وصنعت من قميصها سروالا (بنطلون) فضفاضا ، ثم قصت شعرها ، وتنكرت فى شكل بحار ٠ ويممت وجهها بعد ذلك صوب الشاطئ حيث التقت بسيد من (قطالونيا) يدعى السنيور « اينكارارك » كان قد هبط الى البر فى (آلبا) ، ففاتحته فى أن تعمل فى خدمته ، حتى اذا قبل، صعدت الى سفينته وقد اتخذت لنفسها اسم « سيكورانو دا فانالى » ٠٠ أى الناجى من حتفه ! ٠٠ وعلى السفينة ،حصلت على ثياب زادت من استخفائها ، وأثبتت براعة وذكاء فى خدمة سيدها ، حتى ظفرت برضاه !

وما لبث ذلك السيد ان ابحر الى (الاسكندرية) ، حاملا بعض الهدايا للسلطان ، الذى دعاه أكثر من مرة الى مائدته ، فلما رأى يقظة « سيكورانو » فى خدمة السيد ، سأله أن ينزل له عنها ، فقبل الرجل كارها ٠ وسرعان ما صارت مقربة من السلطان ، كما كانت مقربة من سيدها السابق !

وكان ثمة احتفال كبير يقام فى فترة معينة من العام ، فى مدينة (عكا) التى كانت تحت حكم السلطان ٠ وكان كثير من التجار المسيحيين والاتراك يفدون على المدينة فى هذه المناسبة، وقد اعتاد السلطان أن يوفد ـ الى جانب الضباط الذين يعهد اليهم بحماية أولئك التجار ـ مندوبا خاصا يمثله ٠ فلما اقترب موعد الاحتفال ، قرر أن يوفد « سيكورانو » لهذا الغرض ، لما كان يتقنه من لغات ٠ وهكذا وصلت السيدة الى (عكا) ، كقائد للشرطة المكلفين بحراسة التجار ٠ وهناك ، قامت بمهام منصبها بحذق ومهارة ، وكانت تختلط بالتجار الوافدين من صقلية ، و بيزا ، و جنوا ، و البندقية ، وغيرها من مدن ايطاليا ، وتسعى الى التعرف بهم !

وفيما كانت ذات يوم بحانوت تاجر من البندقية ، وقعت عيناها على كيس وحزام ـ بين التحف ـ عرفتهما فى الحال ٠

فقد كانا لها يوما . بيد أنها لم تبد شيئا مما ساورها ، وانما سألت عن صاحبهما ، وعما اذا كانا معروضين للبيع . وكانت المصادفة قد ساقت « امبروجيولو » مع من قدم من التجـار ، حاملا معه تجارة كبيرة . فلما سمع أن قائد الحرس سأل عن صاحب الكيس والحزام ، تقدم اليه وقال ضاحكا : « انهمـا لى يا سيدى ، وليسا معروضين للبيع . ولكنهما رهن اشارتك اذا كنت تريدهما ! »

وحين رأته « سيكورانو » يضحك ، ظنت أن فى أفعالها ما استوجب هذا الضحك ، فعبست وقالت : « أحسبك تضحك اذ ترانى - وأنا رجل السيف - أسأل عن تحف نسوية ! » ، فأجاب امبروجيولو : « لست أضحك لهذا يا سيدى ، وانمـا أضحك للطريقة التى حصلت أنا بها على هاتين التحفتين ! » .. فقالت : « اذا لم يكن ثمة ما يضايقك فى هذا يا سيدى ، فأرجو أن تروى لى كيف حصلت عليهما ؟ » .. فأجاب امبروجيولو : « لقد أعطتنيهما سيدة من (جنوا) تدعى « زنيفرا » ، ومتزوجة من رجل يدعى « برنابو لوميلين » ، فى ذات ليلـة بعد أن ضاجعتها ، ورغبت الى فى أن أستبقيهما تذكارا لهذه الليلة . ولكن الذى أضحكنى هو غباء زوجها . فقد راهننى على خمسة آلاف جنيه فلورينى ، فى مقابل ألف ، اذا استطعت أن أبلغ من زوجته مناى . وقد ظفرت بذلك ، وكسبت الرهان ، فى حين انه عاد الى جنوا فقتلها - على ما علمت - رغم انـه كان الاجدر بالعقاب لما أبداه من حماقة مزرية ! »

★ ★ ★

◆ **وتبينت** « سيكورانو » اذ ذاك سر تصرف « برنابو » وغضبه عليها . ولما رأت أن هـذا الرجل هو السبب الأوحد لذلك ، عولت على أن لا تفلته من العقاب ، ولـكنها تظاهرت بالاعجاب بقصته ، وعمدت الى توثيق صداقتها معه ، حتى اذا

انتهت الاحتفالات ، اصطحبته الى (الاسكندرية) ، وأغرته على ان يستأجر لنفسه حانوتا بها ، وأغدقت عليه من المال ما حبب اليه البقاء هناك !

وتولتها رغبة جامحة فى أن تثبت براءتها لزوجها ، فلم يهدأ لها بال حتى اتفقت مع بعض تجار (جنوا) على أن يستدرجوا « برنابو » الى (الاسكندرية) بحجة ما ٠ فلما جاء فى حالة يرثى لها ـ أثر مؤامرة لاستدراجه ـ عهدت به الى صديق لها كى يستبقيه فى داره ، حتى تحين الفرصة لتنفيذ غايتها ٠ وكانت قد حملت « امبروجيولو » على أن يروى للسلطان قصته ، فأعجب السلطان بالحادث ٠ وما ان وصل زوجها ، حتى عولت على أن لا تضيع وقتا ، ومن ثم تحينت فرصة مناسبة ، وأغرت السلطان على أن يستدعى «امبروجيولو» و « برنابو » ليمثلا بين يديه ، وآن يجبر الأول على أن يروى ـ أمام الثانى ـ حقيقة القصة ، ولو عمد الى القوة كى يدفعه الى ذلك ، اذا هو رفض !

وعلى هذا ، التقى الرجلان بين يدى السلطان ، الذى أمر « امبروجيولو » ـ وهو مقطب الأسارير ـ ان يروى الحقيقة امام عدد من الناس ٠٠ يروى حقيقة ما فعل كى يربح من « برنابو » الرهان ! ٠٠ وكانت « سيكورانو » حاضرة ـ فى رجولتها المنتحلة ـ فلجأ اليها « امبروجيولو » ، ولكنها أجابته والغضب يتطاير شررا من عينيها ، بأنه لن يفلت من السياط اذا أبى ان يروى الحقيقة ٠ وأرهبه ما لاقى من تجهم السلطان و«سيكورانو»، وما تبدى أمامه من بوادر الاكراه ، وتوقع ان لا يعدو عقابه ان يرد الى « برنابو » المبلغ الذى استولى عليه منه ، وان يعوضه عما سبب له من متاعب وآلام ، ومن ثم شرع يقص كل ما حدث بالتفصيل ٠ فلما فرغ ، التفتت « سيكورانو » الى « برنابو » ـ بوصفها من رجال السلطان المقربين ـ وسألته : « وما الذى فعلته يا سيدى تحت تأثير هذه الأكذوبة ؟ » ٠٠

فأجاب : « لقد أطاش الغضب عقلي لما فقـــدت من مال ، ولما تعرضت له من عار ، ولما ظننت أنه لحق بى من أذى على يدى زوجتى ، فأمرت أحد خـــدمى بقتلها ، وسرعان ما التهمت الذئاب جثتها ، كما أخبرنى ! »

ولم يكن السلطان ومن حضروا مجلســـه يدرون السبب فى افشاء كل ما قيل أمامهم ، لذلك تحولت « سيكورانو » الى السلطان ، قائلة : « لقد رأيت يا مولاى — من هذه القصة — ما أصاب المرأة المسكينة على أيدى العاشق والزوج : فلقدجردها أحدهما من سمعتها النقية بطائفة من الأكاذيب ، ودمر حياة زوجها فى الوقت ذاته .. بينما آمن الثانى بأكاذيب صاحبه ، أكثر من ايمانه بعفة زوجته — وكان ينبغى أن تكون المعاشرة الطويلة قد أكدت له طهرها ! — فقتلها ، وترك جثتها للذئاب ! .. هذه هى الذكرى التى حملاها لها ، وهما اليوم لا يدريان لها مصيرا . فاذا شئت أن تزداد فهما للقصـــة ، وأن تستجيب لالتماس أرفعه اليك بأن تعاقب المخادع ، وأن تعفو عن المخدوع ، فاسمح لتلك الضحية أن تظهر أمامك ، وأمامهما ! »

وكان السلطان على استعداد لأن يلبى أى طلب لسيكورانو ، ومن ثم وافق على دعوة السيدة الى مجلسه ، فذهل « برنابو » اذ كان يحسبها قد ماتت ، وبدأ « امبروجيولو » يـــدرك ما يوشك أن يحدث ، كما بدأ يشعر أن العقاب خليق بأن يتجاوز مجرد رد المال ! .. ولم يدر هل يخشى ظهور السيدة أويرجوه ، اذ استبدت به الحيرة من أمره ، واتجه بكل اهتمامه الى ترقب ظهورها

وحين اذن السلطان بدعوة السيدة ، ألقت « سيكورانو » بنفسها عند قدميه ، وتخلت لتوها عـــن نبرة الرجـــولة فى صوتها ، ولم تعد ترجو سوى أن تســـترد مظهرها الحقيقى ، وهتفت : « **أنا يا مولاى « زنيفرا » التعسة ، الشـــقية ، التى طافت بالعالم — خلال السنوات الست الماضية — متنكـرة فى هيئة الرجال ، بعد أن لاقت أحط أنواع الايذاء على يدي هـــذا**

الوغد « امبروجيولو » ، ويدى هذا الرجل القاسى ، الظالم ، الذى عهد بى الى خادم يقتلنى ويلقى بجثتى الى الذئاب ! »
.. وفتحت صدر معطفها فكشفت للجميع عن مظهر أنوثتها ، ثم التفتت الى « امبروجيولو » تسأله متى ضاجعها كما زعم من قبل ، ولكن الشعور بالخزى ألجمه ، اذ عرفها !

وكان السلطان قد أخذها - منذ ألحقها بخدمته - على أنها رجل ، لذلك بهت لما سمع ولما رأى ، حتى خال انه فى حلم . على انه لم يلبث ان تمالك نفسه ، فشهد أمام الملأ بحسن سيرتها ، وأعلن أن « زنيفرا » - التى كانت تعرف باسم « سيكورانو » - على قيد الحياة باقية ، وأمر لها بخلعةمن الثياب تليق بها ، وصفح عن « برنابو » برجاء منها . وكان الرجل أهلا للموت ، ولكنه جثا على ركبتيه يسألها أن تغفر له ، فصفحت عنه ، وشفعت له لدى السلطان ، رغم أنه لم يكن جديرا بالشفاعة ! .. **أما « امبروجيولو » ، فقد أمر السلطان بتعليقه فى أهم مكان بالمدينة ، وبطلاء جسده بالعسل ، حتى ينهشه الذباب والجوارح . فنفذ العقاب فيه فورا ! .. كما أمر بأن تؤول كل ممتلكات الوغد الى « زنيفرا »** . وأقام مأدبة حافلة لبرنابو - بوصفه زوجها - ولها ، بوصفها أجدر النساء بالتقدير . وأنعم عليها بوسام ، ومنحها مبلغا كبيرا من المال ، ثم أمر للزوجين بسفينة تظل تحت أمرهما لتقلهما آلى (جنوا) متى شاءا !

وما لبثا أن رحلا مغتبطين ، فاستقبلا فى (جنوا) بأجلى مظاهر الاحترام ، لا سيما « زنيفرا » ، التى ظن القوم أنها ماتت ، والتى ظلت عفتها ترفعها الى أرقى مكانة طيلة حياتها !

أما « امبروجيولو » ، فقد نهشت الجوارح والذباب لحمه ،فلم تبق غير عظامه ، التى ربط بعضها آلى بعض ، وظلت معلقة زمنا ، تشهد بخسته ونذالته !

وهكذا قدر للمخادع أن يقع تحت رحمة المخدوع !

اليوم الثالث

فى مخدع الملكة !

قالت « بامبينيا » :

من الناس من لا يبدون فطنة او رزانة فى معرفة ما لم يكن يجمل بهم معرفته ، حتى ليخالوا انهم اذ يكشفون عيون الغير ، انما يخففون من وطأة عارهم ، فى حين أنهم لا يزيدون هذا العار الا رسوخا . وهذه الحقيقة سابينها بعكسها .. اذ ساروى لكم كيف استطاع شخص عادى أن يخدع ملكا واسع العقل كبير المقام :

◆ **اتخذ** « أجيلولف » - ملك اللومبارد - مدينة (بافيا) عاصمة له ، كما فعل سلفه ، وتزوج من « تويدلينجا » أرملة « فيترى » الذى كان هو الآخر ملكا للومبارد من قبل . وكانت الملكة جميلة ، عفيفة ، ولكنها لم تكن تدرك أن ثمة عشيقا يشقى بحبها ، اذ قدر لسائس من رجال حظائر خيلها أن يكلف بها فى غير اعتدال ! .. وكان رجلا وضيع المنبت ، ولكنه كان - بالنسبة لكافة الاعتبارات الأخرى - فوق المركز الذى خلع عليه ، اذ كان فى وسامة الملك وبهاء طلعته وقوامه . على أن ضعة قدره لم تمنعه من أن يرى ان العاطفة التى اضطرمت فى صدره ستودى به الى التهلكة ، ومن ثم فقد كان من رجاحة العقل بحيث قرر أن لا يكشف عن هذه العاطفة لأحد .. ولا للملكة ، خلال نظراته! ..فقد جعل من نفسه رقيبا على حواسه - لا سيما على عينيه - حتى لا تعكسا وجده !

ومع أن الرجل عاش دون أن يساوره أضأل أمل فى أن يبلغ مناه، الا أنه لم يكن يتمالك أن يتيه فخارا اذ ارتقى بهواه الى هذه السماء .. سماء الملكة ! .. ولما كان هواه قد استعبده ، فانه

كان يبذل فوق العناية العادية ـ التى كان يبديها زملاؤه من الخدم ـ فى أداء كل ما كان يخاله خليقا بارضاء آسرته ! ٠٠ ومن ثم كانت الملكة ـ اذا ما شاءت أن تخرج للنزهة على جواد ـ تمتطى الجواد الذى يؤثره على سواه برعايته ٠ وكان يرى فى هذا شرفا فذا له ، ولم يكن يتحول عن امساك الركاب للملكة ، فاذا مس ثوبها أصابعه أحس بأنه أسعد أهل الدنيا طرا !

ولكن الحب ـ كما نعرفه ـ يزداد عنفا كلما قلت احتمالات التوفيق فى ميدانه ! ٠٠ وهكذا كانت حال ذلك السائس ٠ فقد ناء الفتى أخيرا بهذا الحمل الثقيل ، وغلبته تباريح الهوى على أمره ٠ ولما كان فى اذاعة أمر هذا الحب هلاكه ودماره ، فقد اختار الفتى الموت العاجل وآثره على الحياة فى هوان وعذاب ٠ وبعد تفكير وتدبير ، رأى أن يختار لنفسه ميتة تعبر عن الغرض الذى فارق الحياة من أجله ـ وهو حب الملكة ـ وتتيح له فى الوقت نفسه فرصة نادرة يروى فيها شيئا من ظمأ نفسه المتلهفة

★ ★ ★

◆ **واستبعد** من خياله فكرة ألحت عليه فى أن يفاتح الملكة بحبه ، أو أن يبعث اليها برسالة يودعها عاطفته المتأججة ٠ فما كان للحديث أو الكتابة أى نفع ، ولم يبق اذن سوى أن يقابلها ، وأن تضمه معها جدران حجرة واحدة ٠٠ أو فراش واحد ! ٠ ولم يكن من سبيل الى الوصول الى مخدع الملكة ، الا اذا تنكر فى زى الملك ، فهو الوحيد بين الرجال الذى يملك الحق فى اجتياز باب المخدع

ومضى الرجل يتسلل الى القصر ليلة بعد ليلة ، فيكمن فى ركن من البهو الفاصل بين جناح الملك ومخدع الملكة ، ليرقب الملك وهو فى طريقه الى زوجته ٠ كان يراه يغادر جناحه متدثرا بعباءة بيضاء ، وقد حمل فى يمناه مشعلا مضاء ، وفى يسراه

عصا كالصولجان ٠٠ حتى اذا بلغ المخدع ، طرقه بالعصا مرة أو اثنتين ، فيفتح الباب ، وتمتد يد وصيفة تتناول منه المشعل ٠ ولاحظ أن الملك كان يعود بالطريقة ذاتها ، فعول على أن يحذو حذوه ٠ وحصل على عباءة كعباءة الملك ، ومشعل ، وزناد ٠ وعمد أولا الى الاستحمام ، فنظف جسده جيدا ، ليزيل عنه رائحة الحظائر ، كى لا تفضحه لدى الملكة ٠ ثم كمن فى مخبأه المعتاد ، حتى اذا نام الجميع ، رأى أن الوقت قد حان ، فاما أرضى رغباته ، واما جلب على نفسه ـ بجرأته ـ ذلك الموت الذى طالما اشتهاه !

وهكذا قدح الزناد ، فأوقد المشعل ، والتف جيدا فى العباءة، وسار الى الباب فقرعه مرتين بعصاه ٠ وفتحت له وصيفة يغالبها النعاس ، فتناولت المشعل و مضت الى أحد الأركان ٠ أما هو فقد دخل ، وخلع عنه عباءته ، واندس فى فراش الملكة ، فاحتواها بين ذراعيه وأبدى شيئا من التذمر يبرر به صمته ، اذ كان يعرف أن من طباع الملك أنه كان لا يتكلم أحيانا ، فلا يجرؤ أحد على أن يكلمه !

واشبع رغباته كل اشباع ! ٠٠ حتى اذا أحس أن بقاءه لم يعد مأمونا ، نهض وتسلل عائدا الى غرفته ٠ وما ان استقر فى فراشه ، حتى أقبل الملك على مخدع الملكة ، فحياها فى وجد ، الأمر الذى أدهشها وحملها على ان تقول له : « ما الذى جرى لك الليلة يا مولاى ؟ ٠٠ انك لم تبرحنى الا منذ لحظة ، وها أنت ذا تعود أشد من ذى قبل شوقا ٠٠ ألا رفقا بصحتك ! » ٠٠ وأدرك الملك لتوه ان شخصا خدعها وانتحل مظهره وتصرفاته ٠ **ولما كان رجلا عاقلا ـ اذ أدرك بثاقب فكره انها لم تفطن مطلقا الى ذلك ، كما ان أحدا لم يعلم به ـ فقد قرر ان يدعها على ما توهمته ، ولم يفعل ما كان يفعله الكثيرون في مثل موقفه ، فيقول : « ما جئتك الليلة قبل هذه المرة ، فمنذا الذى كان هنا ؟ ٠٠ وكيف جاء ؟ ٠٠ وكيف انصرف ؟ » ٠٠ كان**

هذا كفيلا بأن يثير السيدة العظيمة ، ويسبب لها قلقا وهموما ! ٠٠ أما الصمت الذى التزمه الملك ، فقد وقاه كل لوم !

ولكنه قال ونفسه أبعد ما تكون عن الهدوء الذى بدا على محياه : « كيف تعجبين يا مليكتى ؟ ٠٠ ألا ترين ان من الطبيعى ـ وقد نعمت بالزيارة الاولى ـ ان أكررها ؟ » ٠٠ فقالت الملكة : « بلى ، ولكنى مع ذلك اكرر رجائى بأن ترعى صحتك ! » ٠٠ فأجاب : « يروق لى ان أستجيب فى هذه المرة لنصحك ، ولذا سأنسحب ! »

وكان غضبه قد اشتد فى تلك الاثناء ، فجذب عباءته ، وغادر مخدعها وهو يتميزغيظا ، وقدوطد العزم على ان يكتشف ذلك العابث ما أمكنه ٠ فقد حدس انه ولا بد من أهل القصر ، اذ لم يكن ثمة منفذ لأحد من خارج القصر ، ولا الى خارجه !٠٠ لذلك تزود الملك بمصباح خافت ، ومضى الى قاعة طويلة تقع فوق حظائر الخيل ، وينام فيها الخدم جميعا ، كل فى سريره ٠ وكان فكره قد أوحى اليه بأن نبضات وخفقات قلب أى امرىء ، لا بد وان تظل فترة مضطربة بعد مغامرة كهذه ٠ ومن ثم شرع يفحص النيام ـ واحدا بعد آخر ـ من أول القاعة الى آخرها ٠ فاذا بهم جميعا مستغرقون فى النوم ، عدا الشخص الذى كان مع الملكة ، والذى لم يكد يرى الملك مقبلا ، حتى حدس ما جاء به ، فخشى ان يشى انفعاله بذنبه ، فيقطع الملك عنقه ٠ على انه اطمأن حين رأى ان الملك غير مسلح ، وقدر ان من الخير ان يتصنع النوم لينتظر ما سوف يفعله « اجيلولف » ٠ ومضى الملك يتحسس صدور خدمه ، حتى بلغ أخيرا ذلك الشخص ، فقال لنفسه : « هذا هو الرجل ! »

ولما كان حريصا على ان لا يعرف أحد ما اعتزمه ، فقد أمسك عن فعل أى شىء ، عدا انه قص خصلة من شعر الرجل بمقص كان فى جيبه ـ وكان رجال ذلك العهد يحتفظون بشعور طويلة ! ـ وقدر انه يستطيع بذلك ان يتعرف على الرجل

بسهولة فى الصباح التالى ، ومن ثم عاد الى مخدعه . بيد ان الرجل كان على قدر من الذكاء أوحى اليه بما انتوى الملك ، لذلك عمد لفوره الى مقص كانوا يستخدمونه فى قص شعور الخيل ، وقص خصلات من شعور عدد من الرجال ، بالطريقة التى اتبعها الملك . ثم اوى الى فراشه ثانية، دون ان يلمحه أحد !

ونهض الملك مبكرا فى الصباح ، فأمر بأن يمثل جميع خدمه بين يديه ، قبل ان تفتح أبواب القصر . وسرعان ما وقف



الجميع أمامه ، ورؤوسهم عارية . وما ان شرع يتأملهم واحدا بعد الآخر ، بحثا عن الشخص الذى ميزه ، حتى لاحظ ان معظمهم تنقصه خصلة من الشعر ، فعجب فى نفسه قائلا : « مهما يكن من ضعة هذا الشخص الذى أبحث عنه ، الا انه اوتى ذكاء غير عادى !» . وأدرك انه لن يستطيع معرفة الشخص دون ان يثير ضجة كبيرة . واذ كان زاهدا فى الزج

بنفسه فى فضيحة من أجل انتقام لن يروى غلته ، فقد رأى من الخير ان يكتفى بأن يجعل ذلك الشخص يعرف ـ بكلمة أو اثنتين ـ ان أمره قد كشف ، وانه تحت المراقبة ، والويل له فى المستقبل اذا فكر فى الاقدام ثانية على ما أقدم عليه !٠٠ لذلك التفت الى الخدم قائلا : « ليخلد هذا الشخص ـ ايا كان ـ الى الصمت ، ولا يعاود فعلته ! ٠٠ هيا الى أعمالكم ! »

ولو ان امرءا غيره كان فى مكانه ، لعذبهم جميعا حتى يعرف ما قد يكون من الأفضل ان يظل مكتوما ، اذ لن يوفيه أى انتقام جزاءه ، بل انه سيذكى الفضيحة ، ويلحق بالسيدة العار ٠ وعجب الخدم فى أنفسهم لكلمات الملك ، وأخذ كل منهم يسأل الآخر عن معناها ، ولكن أحدا منهم لم يفهمها ، اللهم الا ذلك الشخص الذى كان مقصودا بها ، والذى احتفظ بالسر فى حكمة ، وكتمه طيلة حياة الملك ، دون أن يجرؤ قط على خوض مثل ذلك الخطر مرة أخرى !

جواد .. مقابل امرأة !

قالت « اليسا » :

أوتى كثير من الناس قدرا كبيرا من المعرفة ، يوحى اليهم بأن سواهم لم يؤت منها شيئا على الاطلاق ! .. وهكذا ، نجد أن حجاهم يخونهم ، فى الوقت الذى تؤهلهم فيه معرفتهم لان يكونوا أعقل وأحصف من غيرهم . لهذا أراه غير عاقل ذلك الذى يستخف بذكاء الغير دون أن يكون قد لمسه !.. وقد تكونون جميعا على غير رأيى ، ومن ثم فسأروى لكم ما حدث لفارس « بيستويا » :

◆ **كان** يعيش فى مدينة (بيستويا) ـ منذ عهد غير بعيد ـ فارس يدعى « فرانشيسكو » ، من أسرة « فيرجيليزى » .وكان غنيا ، حكيما فى كل الأمور ، بيد أن جشعه كان يتجاوز كل حد . واذ قدر له أن يعين محافظا لمدينة (ميلانو) ، فقد تزود بكل ما يتطلبه هذا المنصب الكبير ، فيما عدا الجواد الأصيل الذى يليق بمحافظ . وقد أعياه العثور على جواد يروق له ويرضيه !

وكان يعيش فى المدينة ذاتها ، شاب يدعى « ريكاردو » ، لم ينحدر من أسرة عريقة ، ولكنه كان على جانب كبير من الثراء. وكان لفرط نظافته وأناقته ، وعنايته بمظهره ، يسمى بـ « الجميل » . وقد اشتد بهذا الشاب الاعجاب بزوجة « فرانشيسكو » ـ الفاتنة العفيفة ـ وان لم يجده طول ملاحقته اياها !

وتصادف أن كان يمتلك جوادا من أجمل جياد (توسكانيا)، يعتز به ، ويقدر له ثمنا باهظا . ولما كان اعجابه بزوجة « فرانشيسكو » معروفا للجميع ، فقد أوحى أحدهم الى

« فرانشيسكو » بأن الشاب خليق بأن يغتبط اذا هو طلب منه جواده ذاك ، فيقدمه له هدية ! .. وزين له الطمع أن يطلب الى « ريكاردو » أن يبيعه الجواد بالفعل ، وهو يرجو أن يأخذه كمجرد هدية !

واغتبط الآخر بالفرصة ايما اغتباط ، فقال لفرانشيسكو حين عرض عليه الأمر : « ان كل ما تملكه يا سيدى من متاع الدنيا لا يكفى ثمنا للجواد ، ولكنك تستطيع أن تحظى به بلا مقابل ، اذا أنت اذنت لى بأن أوجه بضع كلمات لزوجتك ، على مشهد منك ، ولكن على مبعدة من سمعك ! »

وتغلب على « فرانشيسكو » جشعه الغريزى ، وحسب أن بوسعه أن يهزأ بالآخر ، ومن ثم أجاب بأنه يرحب بتحقيق طلبه وقتما يشاء . ثم تركه ، وصعد الدرج الى زوجته لينبئها بالطريقة السهلة التى سينال بها جواد الرجل ، وليسألها أن تصغى الى ما لدى « الجميل » من حديث ، على أن لا تجيبه بشىء ، قل أو كثر ! .. ولامته السيدة على ذلك ، ولكنها — كزوجة مطيعة — أذعنت لأمر زوجها ، ونزلت معه الى الردهة لتستمع الى ما لدى الآخر . وقادها الشاب الى أقصى ركن فى الغرفة ، ثم راح يقول :

— لا شك عندى ، يا سيدتى الغالية ، فى أنك تلمسين منذ أمد طويل انى عبد لسلطان جمالك الذى يبز كثيرا جمال كل من شاهدت من النساء ! .. هذا فضلا عن خصالك ومواهبك التى تكفى لدحر أشد الرجال رزانة ، وأقلهم انسياقا للعواطف . لذلك فلا حاجة بى لأن أفضى اليك بأن حبى لك هو أحر حب يمكن أن يكنه رجل لامرأة ، ومن ثم فسيظل حيا ما ظلت الحياة تحرك أطرافى الواهنة ! .. بل انه سيبقى خالدا الى الأبد ، اذا ما قدر لنا أن نحب فى العالم الآخر ، كما نحب فى هذا العالم . وثقى أن ليس بين مقتنياتك ما هو أحق بأن تمتلكيه أكثر منى ومن مالى ! .. وحتى أثبت لك هذا ، سأعتبره فضلا

فريدا فى نوعه أن تأمريني بالقيام بأية خدمة فى مقدورى أن أقوم بها ! ٠٠ اننى أناشدك ٠٠ أنت يا من تمتلكيننى ، وتتوقف على كلمة منك سلامتى وسعادتى ٠٠ أناشدك وأهيب بك - راجيا بكل تواضع ، وأنا الجريح الى السويداء من فرط جمالك - أن لا تدعيني أهلك ! ٠٠ ثم هبى اننى هلكت ، وان الناس ألقوا عليك تبعة موتى ، فماذا يفيدك أن يكون ضميرك راضيا ؟! ٠٠ أما اذا كنت لا تتمالكين أن تقولى : « وآسفاه ، لماذا لم أظهر شيئا من العطف والاشفاق نحو « الجميل » المسكين ؟» ، فان هذا الندم سيظل مصدرا لقلق يقض هناءتك! ٠٠ ففكرى قبل أن يفوت الأوان ، لأن فى وسعك أن تجعليني : اما أسعد الناس ، واما أشقاهم على الأرض ! ٠٠ ومع ذلك فانى آمل أن لا يكون الهلاك جزاء الوجد المشبوب الذى أكنه لك ، وانما أطمع فى كلمة واحدة تنطقين بها مواسية ، فتقوين بها روحى المتهاوية ، التى توشك أن تفارقنى ٠ ها أنذا ماثل أمامك ٠٠ فقوليها ! »

وهنا اختتم حديثه والدموع تنهمر من عينيه ، والآهات تتصعد من أعماق صدره ، ثم جلس ينتظر جواب السيدة ٠ أما هى - التى ظلت الى ما قبل ذلك اليوم لا تتأثر بزفراته وآهاته ، وأغنياته العاشقة ، وغير ذلك من ألوان الغزل ! - فقد بدأ قلبها يرق لعباراته البالغة الحنان ، وبدأت تحس - لأول مرة - بعاطفة غريبة لا عهد لها بها من قبل ! ٠٠ وعلى الرغم من اخلادها للصمت ، اطاعة لأوامر زوجها ، فانها لم تقو على أن تتحاشى الافضاء ، بزفراتها وتنهداتها ، بما كانت تود أن تفصح عنه بالكلام !

وانتظر « الجميل » قليلا ، حتى اذا لم تجب ، تولاه العجب فى أول الأمر ، ثم ساوره الشك فى أن هناك خدعة من زوجها ، فأخذ يتفرس فيها جادا ، واذا به يفطن الى أنها كانت ترمقه

من آن لآخر ، وفى عينيها وميض · كما لمس بعض زفرات خفية تجاهد عبثا فى أن تكظمها وتخفيها ، ومن ثم بدأ يتشجع، ولجأ على الفور الى خطة جديدة ، هى أن يرد على نفسه بمثل ما كان يأمل أن تفعل لو أنها تكلمت بلسانها ، فما لبث أن قال :

ـ يا سيدى العزيز ·· لا شك فى اننى أشهد منذ زمن بعيد حبك العظيم الذى تكنه لى بين جوانحك · ولقد زدتنى الآن ايمانا بحبك ، بفضل كلماتك التى اقتنعت فى الواقع بصحتها · فاذا كان قد بدا لك منى انى مستاءة ، أو جافية ، فلا تحسب انى كارهة · فأنا فى الحقيقة قد أحببتك أكثر من أى انسان ، ولكن ذلك التصرف كان أمرا لا بد منه ، خوفا من ألسنة الناس ، وصونا لسمعتى · ولقد آن الأوان لأجزيك على حبك · فليطمئن قلبك ، ولتعلم أن زوجى سوف يرحل بعد أيام قلائل ليتولى منصبه الجديد فى (ميلانو) · **وبما أنك أعطيته جوادك الأثير ، فاننى أعدك وعدا قاطعا بأن أمنحك قلبى ، وبأن أتوج معك حبنا بالسعادة الكاملة ! ·· وخشية أن لا تتاح لى فرصة أخرى للتحدث اليك فى هذا الموضوع قبل أن يحين ذلك الوقت ، فانى أرجو أن تترقب فى انتباه ، حتى اذا رأيت منديلين يتدليان من نافذتى المطلة على الحديقة ، فاتخذ الحيطة كي لا يراك أحد ، ثم تعال الى خلال الحديقة · وسأكون فى انتظارك لنقضى الليل على أحب الوجوه !**

قال هذا على لسان السيدة ، ثم أردف مجيبا عن نفسه : «لقد انتشلتنى يا سيدتى العزيزة من قنوطى،فلست أملك ما يوفيك حقك من الشكر · وحتى لوأننى كنت أملك ما يوفيك هذا الحق، لما اتسعت الفرصة الآن لكي أؤديه على الصورة التى أتمناها ، والتى أترك لك تخيلها ، لأننى أجدها تعز على الوصف ! ·· ومع ذلك ، فثقى من أننى سأواظب على ارتقاب الفرصةالموعودة، وسأظل مقدرا جميلك · ولم يبق الآن ـ يا حبى الغالى ـ سوى أن أستودعك الله ! »

★ ★ ★

• **ولم** تنطق السيدة بكلمة واحدة ـ رغم كل ما قاله ـ فنهض « ريكاردو » ومضى الى زوجها الذى خف لاستقباله مبتسما ، وهو يقول : « والآن يا سيدى ٠٠ ترى هل وفيت لك بوعدى أم لا ؟ ! »

فأجابه الشاب : « لا ٠٠ لم تف به على الاطلاق ٠ فلقد وعدتنى بأن أتحدث الى زوجتك ، ولكنك جئتنى بتمثال أحدثه ! »

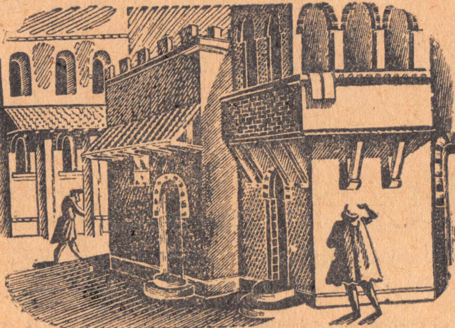
فاغتبط الفارس ٠ ولما كان حسن الظن بزوجته من قبل ، فقد تضاعفت ثقته فيها عندما سمع هذه الكلمات ، ثم قال : « أحسبك ستسمح لى الآن بالجواد ؟ »

فأجابه الشاب : « بكل تأكيد ٠٠ ولو كنت حسبت أن الصفقة لا يمكن أن تنتهى الى أفضل من هذه النتيجة ، لقدمته لك دون أى شرط ! ٠٠ ولكنك فى الواقع قد أخذته ٠٠ دو أن تدفع الثمن ! »

فضحك الفارس من أعماق قلبه ٠ واذ تزود بالجواد ، سافر ـ بعد أيام ـ الى (ميلانو) ، ليتولى منصبه الجديد ٠ وهكذا بدأت السيدة تنعم بحريتها ، وأخذت تفكر فى كلمات«الجميل» ونظراته ٠ وكانت ـ كلما شاهدته مارا بالقرب من منزلها ـ تقول فى نفسها : « **ماذا أنتظر ؟ ولماذا أضيع وقتى هباء ؟ ٠٠ ان زوجى فى (ميلانو) ، ولن يعود قبل ستة أشهر ، فكيف يقوى على سداد ما يتراكم لى عنده ـ خلال غيابه ـ من عواطف متأخرة ؟ ! ٠٠ أعندما أهرم ؟ ٠٠ ثم متى يقدر لى أن ألتقى بعاشق آخر كهذا العاشق ؟ ٠٠ لا أحد هنا أخشاه ٠٠ وحتى لو انكشف الأمر ، فان من الأفضل أن أقدم على المغامرة ثم أندم ، على أن لا أقدم ثم أندم ، اذا ما فوت على نفسى هذه الفرصة !!** »

واذ عولت على ذلك ، علقت منديلين خارج النـافذة كما أشار عليها « الجميل » من قبل ! ٠٠ ورآهمـا هو ، فغمـره الفرح ، ومضى فى نفس الليلة الى باب الحديقة، فوجده مفتوحا٠ وكـذلك كان البـاب المفضى الى داخل المنـزل ، حيث وجد السيدة فى انتظاره ٠ وسرعان ما نهضت توسعه قبلات حارة ، ثم قادته الى الطابق العلوى ، حيث كان مخدعها !

كان ذلك أول لقاء بينهما ، ولكنه لم يكن الأخير ٠ لأنهمـا وجدا ـ طوال الفترة التى قضاها الزوج فى (ميلانو) ، بل وبعد عودته ! ـ الوسيلة للاجتمـاع معا من حين لآخر فى سعادة متبادلة !



عشيق زوجته !

حان دور « نييفيله » للكلام ، وكانت قد توجت ملكة على عرش اليوم الثالث ٠ وجاء دورها « التاسعة» فى ترتيب المتكلمين فى ذلك اليوم، فقالت : « اننى لا أشك فى قدرتى على أن أبلغ مبلغ من سبقونى ٠ ومع ذلك ، فسأروى لكم قصة تلوح لى مناسبة لغايتنا وهدفنا :

◆ **كان** « ايسنار » ـ كونت دى رسيون ـ من نبلاء فرنسا المعدودين ، ولكنه منى بعلة أورثته سقما دائما ، واضطرته الى أن يتخذ لنفسه طبيبا خاصا ـ يدعى « جيرار دى ناربون » ـ أسكنه قصره ٠ ولم يكن للكونت سوى ابن واحد ، اسمه « برتران » ، نشأ بين أقران له من سنه ، بينهم ابنة للطبيب ـ اسمها « جيليت » ـ شغفت به شغفا بالغا ، يفوق ما هو مألوف فى مثل عمرها !

ومات « الكونت » ، بعد أن عهد بابنه الى رعاية الملك ، فاضطر « برتران » للنزوح الى (باريس) ٠ ومن ثم اشتد بالفتاة الحزن ٠ وما لبث أن مات أبوها ـ بدوره ـ فودت لو تطير الى باريس لترى « معبودها » ، لولا ان أعباء ما خلفه لها أبوها من ميراث قعدت بها عن تنفيذ غايتها ٠ وكانت قد بلغت سن الزواج ، فتقدم اليها شبان عديدون ، يخطبون ودها ، وما كان الأوصياء عليها ليترددوا فى قبول أى من هؤلاء الشبان زوجا لها ، لولا أنها رفضتهم جميعا دون أن تبدى سببا ، اذ كان حبها الأول يشتد حرارة وتبريحا ، يوما بعد يوم ، وهى تسمع الأنباء التى كانت تتواتر عن الشاب !

وتناهى الى «جيليت» أن ملك فرنسا أصيب بعلة فى صدره، نتيجة تورم لم يعالج حق علاجه ٠ واشتدت بالملك العلة ، دون

أن يهتدى الى طبيب يشفيه ، رغم كثرة من تقلبوا على علاجه ٠ ومن ثم أخذ الداء يستفحل ، حتى استولى اليأس على نفس الملك ٠

ورأت الفتاة فى هذه الأنباء فرصة ملائمة لها ، لا لزيارة باريس فحسب ، وانما داخلها الأمل فى أن تكون علة الملك وسيلة تمكنها من الفوز ببرتران زوجا ٠ فقد ذكرت أن أباها عالج فى حياته مثل هذا الداء بأدوية لم تغب عن ذاكرتها ، فأسرعت تمزج بعض عقاقير معينة ، ثم شدت الرحال الى (باريس) ٠ وكان أول ما فعلته ان سعت لرؤية « برتران » ، ثم سألته ان يتوسط لها كى تحظى برؤية الملك ، والتعرف على مرضه ٠ فلما تكرم الملك بالسماح لها ، تأكدت أن داءه هو عين ما حدست ، وأعربت عن رغبتها فى علاجه ، قائلة : « آمل يا مولاى ان أرد اليك صحتك فى ثمانية أيام ــ اذا سمحت لى ــ دون ان أكبدك ألما أو عناء ! » ، ولم يتمالك الملك ان سخر من قولها قائلا : « أترين ان فى وسع امرأة ان تفعل ما أعيا نطس أطباء الدنيا ؟ » ٠٠ وشكرها قائلا انه قد صمم على أن لا يجرب أية أدوية أو عقاقير أخرى ٠ فأجابت الفتاة : « لعلك تستخف ببراعتى يا مولاى ، لأننى امرأة ، ولأننى صغيرة السن ٠ ولكنى لا أزعم ان الشفاء يقوم على معرفتى ، وانما أعتمد على مساعدة الله، وعلى حكمة الطبيب جيرار دى ناربون ، الذى كان من أشهر أطباء عصره ،والذى كان ٠٠أبى ! » ٠ فقال الملك فى نفسه : « لعل الله أرسلها الى لتعيننى ، فلماذا لا أجربها ما دامت تؤكد انها قادرة على أن تبرئنى دون ما ألم ، فى مثل هذا الأمد الوجيز ؟ »

ثم تحول اليها قائلا : « ولكن ، هبى انك على خطأ فى زعمك، فما الذى تقدمينه لقاء تحولى عما كنت اعتزمت من انصراف عن العلاج ؟ » ٠٠ فقالت : « اذا شئت يا مولاى أقمت حارسا على ، فاذا لم تشف خلال ثمانية أيام ، فاحرقنى حية ! ٠٠ أما اذا

قدر لك الشفاء ، فأى جزاء تثيبنى به ؟ » ·· فأجاب الملك : « يلوح لى انك عذراء ، لذلك فسوف أزوجك من رجل عظيم الشأن ! »

وهنا قالت الفتاة : « اننى أقبل يا مولاى ما تعـد به من تزويجى ، على أن أختار الزوج الذى يروق لى ، ولا أستثنى من نطاق اختيارى سوى أفراد أسرتك المالكة ! » · ولم يتردد الملك فى أن يعدها بذلك ، فشرعت تمارس العلاج ، وان هى الا أيام ، حتى كان الملك قد حظى بالشفاء التام ، فقال لهـا : « لقد استحققت الزوج الذى تبغين عن جدارة ، أيتها العذراء الماهرة ! » · فأجابت : « **اذن ، فقد استحققت يا مولاى «الكونت دى روسيون » ، الذى أحببته مذ كنت صبية !** » ·· ورأى الملك انها قد غالت فى طلبها ، ولكنه كان قد وعدها ، فليس له أن ينكث فى وعده · لذلك أرسل الى الكونت ، وقال له : « لقد بلغت من السن ، يا برتران ، ما يؤهلك لأن تتولى حكم مقاطعتك ، ومن ثم أرى ان تعود الى هناك ، مصطحبا الزوجة التى أختارها لك ! »

وقال برتران متسائلا : «ومن تكون هذه السيدة يامولاى؟» ·· فأجاب الملك : « انها تلك التي شفيت بفضل دوائها ! » ·· وكان برتران يعرفها حق المعرفة ، ويميل اليها ، ولكنه كان يرى ان محتدها أقل شأنا من محتده بكثير ، لذلك قال فى شىء من الامتعاض : « اذن فجلالتكم ترون ان تكون زوجتى طبيبة ؟ ·· حاشا لله ! » ·· فأجاب الملك مشـفقا : « أتحب اذن أن أبدو بمظهر العاجز عن الوفاء بوعده ؟ ·· لقـد طلبتك هى زوجا ، وكنت قد وعدتها بأن أزوجها ممن تختار هى اذا تمكنت من شفائى ! » · فقـال برتران : « لك يا مولاى أن تأخـذ ما أملك ، أو ان تضيف اليه ان شئت ·· أما هذا الزواج ، فأؤكد لجلالتكم اننى لن أرتضيه ! » ·· ولكن الملـك مضى يزينه له قائلا : « لسوف يسرنى ان ترضى به ، لا سيما والفتاة شابة

عاقلة ، وجميلة ، وقد تنال معها من السعادة فوق ما يمكن أن تناله لو انك تزوجت من سيدة نبيلة المحتد ! »

ولم يجد « برتران » خيرا فى اغضاب الملك ، فراض نفسه على تقبل الواقع ٠ وسرعان ما أمر الملك باقامة حفلة فخمة لاعلان الخطبة ٠ حتى اذا حان يوم عقد القرآن ، أقدم عليه « برتران » وهو كاره !٠٠ وحضر الملك الحفل ، فلما انتهت الاجراءات ، استأذنه برتران فى الرحيل الى مقاطعته ، وكأنه اعتزم أن يكون الزفاف فى مسقط رأسه ٠ على انه لم يذهب الى هناك ، وانما اتجه وجهة أخرى أفضت به الى (توسكانى) ، حيث سمع عن قيام حرب بين أهل (فلورنسا) ، وأهل (سيينا) ، فانضم الى صفوف الأولين ، وأصبح ضابطا فى جيشهم لفترة من الزمن !

* * *

ومع ان العروس لم ترض عن مسلكه هذا ، الا انها رحلت الى (روسيون) ، طامعة فى ان تظفر بحبه اذا ما أبدت حكمة ومهارة فى ادارة أملاكه ، فاستقبلها أهل المقاطعة ، وارتضوها سيدة لهم ٠ ووجدت الاضطراب والاختلال يسودان كل شىء ، لطول غياب زوجها عن أملاكه ، فعمدت الى اصلاح الأمور بحذق وعناية ، ووفقت الى اكتساب حب القوم ، حتى انهم بدأوا يرون فى اهمال الكونت اياها أمرا معيبا يستحق اللوم ٠ واذ ذاك ، أوفدت « جيليت » الى الكونت فارسين من نبلاء المقاطعة ، يسألونه عما اذا كان بقاؤه بعيدا ، راجعا الى زواجه منها ، ويؤكدان له استعدادها لأن ترحل الى أى مكان يشاء ، ارضاء له ٠ ولكنه استقبلهما فى جفاء ، وقال ان لزوجته أن تصنع ما يحلو لها ٠٠ « **لأننى لن أعود الى مسقط رأسى ، الا اذا كان هذا الخاتم حول أصبعها ، وكان فى أحضانها ولد منى !** » ٠٠ وأشار الى خاتم حول اصبعه هو ، كان يعتز به ولا

يخلعه قط • ومن ثم ادرك الفارسان انه يطلب المستحيل بشرطيه هذين • حتى اذا عجزا عن ان يزحزحاه عن رأيه ، عادا الى السيدة ، وأفضيا اليها بجوابه !

واهتمت السيدة بالأمر ، وأخذت تدرسه من كل نواحيه، لتبحث عن سبيل الى تحقيق الشرطين ، والفوز بزوجها •ولم تلبث ان جمعت سادة المقاطعة ، وروت لهم فى لهجة رقيقة ، مؤثرة ، كل ما فعلته كى تكسب حب الكونت ، وما كان من رده • وقالت انها تأبى ان يظل بعيدا عن مقاطعته وبلاده من أجلها ، ومن ثم فقد قررت ان تقضى ما بقى من عمرها فى الحج الى الأراضى المقدسة ، وفى أعمال البر • ثم أسلمتهم مقاليد مقاطعتهم ، وعهدت اليهم بأن يعلنوا الكونت برحيلها وعزمها على ان لا تعود !•• وأخذها التأثر وهى تقول هذا ، فبكت ! •• وألح القوم عليها فى أن تعدل عن قرارها ، ولكنها أبت أن تتزحزح عنه !•• وانطلقت الى الحج ، غير مصطحبة سوى وصيفة وأحد الأقارب ، بعد ان تزودت بقدر كاف من المال والحلى والمجوهرات • ولم يتوقف الركب الا حين بلغوا (فلورنسا) ، وهناك قادتهم المصادفة الى فندق تمتلكه أرملة، فنزلت به السيدة ، ريثما تتنسم أخبار زوجها !

* * *

• **وتصادف** أن مر الكونت أمام الفندق ـ فى اليوم التالى ـ على رأس فصيلة من جنوده ، وقد امتطى صهوة جواد ، فتظاهرت بأنها لم تعرفه ، وسألت عنه صاحبة النزل ، فأجابتها هذه : « انه سيد أجنبى ـ يدعى الكونت روسيون ـ من أطيب الناس فى الدنيا ، ومن أكثر من فى هذه المدينة حظوة بالاحترام !•• وهو مدله فى هوى سيدة على شىء قليل من الثراء • ومع انها مليحة ، الا انها لم تتزوج بعد ، وتعيش مع أمها العجوز التقية •• ولولا هذه السيدة الحكيمة ، لكانت الفتاة قد رضخت

للكونت منذ زمن ! » •• وما ان سمعت « جيليت » هذا ، حتى ازدادت اهتماما بدراسة موقفها ، وتدبير خطتها • واستفسرت عن اسم الفتاة ، وعن مسكنها ، ثم ذهبت اليهـــا ذات يوم ، وخلت الى أمها العجـوز فى غرفة بالـــدار ، وقالت : « يبدو لى يا سيدتى ان الحظ لم يكن معك أكرم منه معى • عـــلى أن بوسعك الآن ان تؤدى معروفا لنفسك ولى !•• اننى أضـع حياتى بين يديك ، فاذا غدرت بى ، فسوف تسيئين الى نفسك كما تسيئين الى ! »

وقالت السيدة : « افضى بما لديك ، وستجدينني أمينــة مخلصة » •• وهنا روت « جيليت » كل قصتها ـ من البداية الى النهاية ـ ثم قالت : « الآن عرفت سر الشيئين اللذين لا سبيل الى استرداد زوجى بغيرهما !•• ليس فى الدنيــا من يستطيع ان يساعدنى سواك ، اذا صح ما سمعته من ان زوجى متيم بابنتك ! » •• فأجابت السيدة : « هنــاك بعض دلائل توحى بميل الكونت الى ابنتى يا سيدتى ، ولكنى لا أستطيع أن أجزم بقيام علاقة بينهما•ومع ذلك فما شأن هذا بقصتك؟» •• فقالت جيليت : « هذا ما سوف أحـدثك عنه فى الحال ، ولكننى أحب ان تسمعى أولا ما أعتزم ان أقدمه لقاء عونك • لقد عرفت ان لك ابنة فى سن الزواج ، وانـك لا تملكين آن تزوجيها ، لافتقارها الى « دوطة » • وانى أعدك بأن أقدم لـك من المال ما ترينه كافيا لتمكينها من ان تحظى بزيجة مشرفة !» •• وارتاحت السيدة العجوز الىهذا الاقتراح ، ولكنها ـ ككل سيدة تقية ـ أجابت : « صارحينى أولا بمــا تريدين منى ، فاذا كان شريفا ، لا غبار عليه ، فعلته عن طيب خاطر، وتركت لك أمر مكافأتى عنه ! »

عند ذاك قالت « الكونتة » : عليك أن توحى الى الكـونت ـ عن طريق شخص تثقين به وتأتمنينـــــه ـ بأن ابنتك على

استعداد لأن تنساق لهواه ، بمجرد أن يثبت لها صدق هذا الهوى ٠٠ **وأن لا سبيل الى ذلك ، الا بأن يرسل لها الخاتم الذى لا يفارق اصبعه عادة ، والذى يعتز به كل الاعتزاز ٠ فاذا أرسل لك هذا الخاتم ، فاسلمينيه ، ثم انبئيه بأن ابنتك فى خدمته ، وان في وسعه ان يخلو بها متى يشاء ٠ فاذا جاء ، فدعيني له فى فراشها بدلا منها ! ٠٠ ولعلنى بعد ذلك أحمل منه ، فقد يتاح لى اذا ما كان الخاتم حول أصبعى ، وابنه بين ذراعى ـ كما اشترط ـ ان أعيش معه كما تعيش كل زوجة مع زوجها ٠٠ ولعلك تكونين رسول السعادة بيننا اذ ذاك ! »**

وساور الشك السيدة فى البداية ، خشية أن تخيق بابنتها فضيحة ما ، ولكنها لم تلبث ـ بعد أن تروت فى الأمر ـ ان وعدت « الكونتة » الشابة بأن تساعدها ٠ ولم تنقض بضعة أيام ، حتى جاءتها بالخاتم ، الذى تخلى عنه الكونت وهو كاره ٠ ثم جاءت ليلة دعت فيها « جيليت » الى أن تحتل سرير ابنتها ٠ وشاءت السماء أن تحمل « جيليت » ـ فى هذا اللقاء الذى كان الكونت جد مشوق اليه ـ بجنينين ، كما ظهر حين آن لها أن تضع حملها ! ٠٠ على أن هذه الخلوات تكررت ، وكان الكونت يعتقد ـ فى كل مرة ـ انه ينام مع الحسناء ابنة صاحبة الدار ، ومن ثم أخذ يغرق العجوز بالهدايا والحلى !

واذ وجدت « جيليت » انها حامل ، أشفقت من ان تكبد السيدة العجوز مزيدا من العناء ، فقالت لها : « لقد بلغت غايتى يا سيدتى ، ولم يعد لى هم سوى ان أرضيك ! » ، فقالت السيدة : « يكفينى أن تكونى أنت راضية ، فما طمعت من وراء خدمتك فى جزاء ، وانما بدا لى اننى أصنع خيرا اذ أعاونك ! » ٠ ولكن « الكونتة » عادت تلح عليها قائلة : « اننى جد مغتبطة بما وصلت اليه من نتائج يا سيدتى ، وانى لأصر على أن أقدم لك مكافأة تعادل صنيعك معى ! » ٠٠ واذ ذاك طلبت السيدة مائة جنيه ، تخصصها لابنتها ، ولكن « الكونتة » لم تأخذ

بهذا التواضع ، فمنحتها خمسمائة جنيه ، وجـواهر تعادل قيمتها هذا المبلغ ٠ واذ أدركت السيدة أن « الكونتـة » لن تعـود اليهـا مرة أخرى ، حملت المبلغ والمجوهرات وما كان لديها من متاع ، ورحلت مع ابنتها الى الريف ، بعيدا عن أنظار الكونت !

* * *

◆ **وبعد** زمن ما ، عرف « برتران » أن زوجتـه رحلت عن المقاطعة ، فعاد اليهـا نزولا على الحـاح أهل المقاطعة ٠ أما « الكونتة » فقد ظلت فى (فلورنسا) حتى اسـتوفى الحمل مدته ، ثم وضعت توأمين شديدى الشبه بأبيهما ٠ وما لبثت ان نزحت الى (مونبلييه) فى صمت وتكتم ، حيث مكثت فترة لتستجم ولتتقصى أنباء زوجها ٠ واذ علمت أنه سيقيم وليمـة كبيرة فى (روسيون) يوم عيد القديسين ، سعت الى هناك فى نفس الثياب التى كانت ترتديها يوم خرجت للحج ! وعندما سار الضيوف الى قاعة المائدة ، شقت لنفسها طريقـا وسط الجمع ، من سادة وسيدات ، وقد حملت طفليها بين ذراعيها ، حتى اذا بلغت مكان الكونت ، ألقت بنفسها عند قدميه ، قائلة ودموعها تنساب مدرارة : « اننى زوجتك التعسة يا مولاى ٠٠ بين الطفلين وبينه ، فهتف أخيرا : « كيف تسنى هذا ؟! » ٠٠ اذ ذاك روت قصتها أمام الجمع ، فتبين من حديثهـا أنها كانت صادقة ، وفطن الى ذكائها ، وحسن تصرفها ، و سعة حيلتها ، زوجتك التى قامت بحج طويل ، لتمكنك من أن تعودالى موطنك ودارك ٠٠ **اننى أستحلفك بالله أن تفى بوعدك بعد ان وفيت أنا بشرطيك اللذين أعلنتنى بهما على لسانى الفارسين ، فبدلا من أن آتيك بابن ، جئتك باثنين ٠٠ ثم هاك خاتمك ! ٠٠ لقد آن لك أن تتقبلنى زوجة ! »**

وألجمت الدهشة لسان الكونت حين رأى الخاتم ، وتبين الشبه



وما فعلته لكى ترضيه وتفوز به زوجا ٠ وازاء تقيده بوعده ، وبتأثير عبارات الرجاء التى انبعثت من الجمع ، مسح عن قلبه ما كان قد أصابه من غل وغضب ، فأمسك بيد زوجته ينهضها، وحياها مرحبا بها ، بوصفها زوجته وشريكة حياته ، معترفا ببنوة الطفلين !

وساد الفرح قصره ومقاطعته ، ولم تقتصر المأدبة على ذلك اليوم ، بل ظلت الاحتفالات أياما عديدة ٠ وحرص الكونت منذ ذلك الحين على أن يبدى لجيليت كل احترام وتبجيل ٠ وعاش الاثنان فى سعادة وهناءة !

اليوم الرابع

قلب الحبيب ٠٠ فى كأس من ذهب !

اختير « فيلوستراتو » ملكا لليوم الرابع ، فرأى أن يحصر موضوع قصص ذلك اليوم فى نطاق المآسى الغرامية ٠ وقدر لفياميتا ان تكون صاحبة القصة الأولى ، فشرعت تقول :

ما أبغض الموضوع الذى اختاره ملكنا لحديث اليوم ،اذكيف يتسنى لنا ـ نحن الذين اجتمعنا للترفيه عن أنفسنا ـ ان نتحول الى الحديث عن دموع الغير ، الأمر الذى لا نملك ازاءه ، سواء الرواة منا او المنصتون ، الا ان نتألم اشفاقا ٠ ولعله ما فرض هذا الا ليخفف من غبطة الأيام الثلاثة الماضية بعض الشىء !٠٠ ولكن ، مهما يكن غرضه ، فلا مفر من أن تكون ارادته قانونا لا سبيل للخروج عنه ، ومن ثم فسأروى لكم قصة تثير الأسى ، لا ، بل تثير أشد الحزن ٠ وعلى هذا ، لكم ان تبكوا من أجلها كيفما شئتم :

◆ **كان** « تانكريدى » ـ ملك (ساليرنو) ـ رجلا نبيلا ، ساميا فى كرمه ومشاعره الانسانية ، وان كان قد لوث يديه ـ فى شيخوخته ـ بدماء عاشق من العشاق ٠ ذلك ان هذا العاهل لم يرزق فى حياته الطويلة بغير ابنة واحدة ، كان خليقا بأن يظل ناعم البال لو انه لم ينجبها ! ٠٠ مع انه لم يقدر لطفلة ان تلقى من والدها مثل ما لقيته هذه الفتاة من اعزاز ، حتى لقد كره الملك ان يفرق بينه وبينها شىء ما ٠٠ حتى لو كان هذا الشىء هو الزواج !٠٠ ومن ثم استبقاها الى ما بعد سن الزواج بسنوات عديدة ، ثم زفها فى النهاية الى ابن لدوق (كابوا) ، لم تعش معه سوى فترة وجيزة ، ثم مات ، فعادت الى أبيها ثانية !

وكانت الأميرة على قدر من الجمال والذكاء يفـوق كثيرا ما لبنات جنسها • فلما عادت الى كنف أبيها المشوق الى العيش معها دائما ، لاحظت انه لا يعنى بأن يزوجها مرة أخرى•ورأت ان الخفر والحياء - اللذين فطرت عليهما - يحـولان دون ان تسأله ذلك ، فعولت فى النهاية على ان تتخذ لها عشـيقا فى السر ، اذا هي استطاعت ان تهتدى الى شخص جدير بذلك • وسرعان ما وقـع اختيارها على شاب من الحاشـية يدعى « جسكاردو » ، من أسرة وضيعة ، ولكنه أوتي صفات نبيلة ، فاغرمت به غراما مشبوبا ، وراحت تكثر من لقائه ، وتطـرى مناقبه وأخلاقه ، حتى فطن الى هواها ، فكرس حياته لخدمتها• واشتد بكل منهما الوجد - دون ان يبوح به - حتى لم يعـد لهما من أمنية سوى ان يجتمعا معا •

ولما كانت الفتاة لا تجرؤ على أن تأتمن انسانا على سرها ، فقد دبرت حيلة جديدة كى تطلع الشاب على الوسيلة التى تيسر لهما اللقاء • وعلى هذا كتبت له رسالة بما ينبغى ان يفعله فى اليوم التالى ، ثم دستها فى عصا مجوفة ، قدمتها اليـه وهى تقول متبسطة : « تستطيع ان تتخذ من هذه منفاخا يذكى به خادمك النار ، فى هذا المساء ! »

وتقبل منها العصا ، وقد أيقن أن لقولها معنى خاصا • فلما بلغ مسكنه ، تبين ان العصـا مجوفة ، وعثر بداخلها عـلى الرسالة ، فأمعن فى تدبر كل عبارة حوتها، حتى اذا استوعب ما ينبغى ان يفعله ، استخفه الفرح ، وشرع يعد نفسه ليلبى ارادتها ، بالطريقة التى أرشدته اليها

★ ★ ★

• **وكان** ثمة كهف تحت جبل يقوم الى جانب من القصر ، وقد حفر فى عهد لا تلم به الذاكرة ، فى جوف الصخر الصوان، ثم طال العهد به وهو مهمل ، مهجور، فلم يعد ينفذ اليه الضوء

الا من خلال ثغرة صغيرة نمت حولها الأعشـــاب الفطرية والنباتات الشوكية ، حتى غطتها . وكان ثمة سرداب يفضى الى هذا الكهف بسلم خاص أقيم فى ركن من غـــرفة الأميرة فى فجوة أغلقت بباب متين ، منيع . وكان هـــذا السرداب أبعد من أن يخطر ببال انسان ، لطول عدم استخدامه ، حتى ان احدا لم يكن يتذكر عنه شيئا ، وان كان الحب ـ الذى لا يفوته شىء ! ـ قد ابتعثه من جديد فى رأس العاشـــقة التى جهدت أياما فى سبيل فتح الباب المنيع ، لكى تبقى غرامها فى طوايا الكتمان . فلما نفذت خلاله الى الســـلم ، وهبطت الى الكهف ، تبينت تلك الثغرة ، وسبرت ارتفاعها عن القـــاع ، ومن ثم انبأت محبوبها بالأمر

وما لبث « جسكاردو » ان تزود بسلم من الحبال ولف نفسه جيدا بلباس من الجلد يحميه من الأشواك ، ثم ثبت أحد طرفى السلم حول جذع شجرة قريبة ، وانزلق الى الداخل مستعينا بهذا السلم فى الهبوط الى القاع ، حيث أخذ ينتظر محبوبته . أما هى ، فقد أقصت وصيفاتها فى اليوم التالى ، بدعوى انها ستأوى الى فراشها عقب العشاء مباشرة ، ثم أغلقت على نفسها باب مخدعها ، لتبـــادر من فورها الى الكهف ، حيث التقى العاشقان وتحققت أمنيتهما المتبادلة ! .. ومن ثم دلت الفتاة عشيقها على الطريق الى مخدعها ، حيث قضيا معا الشـــطر الأكبر من الليل !

وبعد أن اتخذا التدابير اللازمة للمستقبل ، انصرف الشاب خلال الكهف ، وتكرر الشىء ذاته فى الليلة التالية

★ ★ ★

◆ **وسار** الأمر على هذا المنوال ردحا من الزمان ، الى أن رأى القدر ـ وكأنما نفس عليهما سعادتهما الغامرة ـ أن قـــد آن له أن يبدل أفراحهما حزنا واتراحا ! .. فقـــد كان من عادة

الملك « تانكريدى » ان يدلف الى مخدع أبنته وحيدا فى بعض الأحيان ، فيقضى معها شطرا من الوقت · وفى ذات يوم ، حضر الملك - بعد العشاء - فاذا الأميرة فى الحديقة مع وصيفاتها · فلما اطمأن الى آن أحدا لم يره ، واشفق من ان ينتزع الأميرة - وكان اسمها « جسموندا » - من لهوها فى الحديقة ، آثر أن ينتظرها · وكانت النوافذ مغلقة ، والستائر مسدلة حتى نهاية الفراش ، فغاص فى مقعد كبير فى ركن من الحجرة ، واسند رأسه الى حافة السرير ، وجذب الستار أمامه ، وكأنه يتوارى ليفاجىء ابنته ·· ولكن المصادفة ساقت النعاس الى جفنيه !

وفى تلك الأثناء ، تركت «جسموندا» وصيفاتها فى الحديقة عائدة للقاء عشيقها فى الموعد المضروب فى الكهف ، ودخلت غرفتها - دون أن تفطن الى وجود أحد فيها - ثم مضت الى « جسكاردو » الذى كان ينتظرها فى الكهف ، لتعود به الى مخدعها !·· واستيقظ والدها ليكون شاهدا على لقائهما الغرامى ، فكان ذلك شر ما ابتلى به ، حتى لقد هم بان يصرخ ويقيم الدنيا ويقعدها ، ولكنه تمالك نفسه ، وقلب وجوه التفكير ، ثم عول على أن يبقى الأمر سرا ما استطاع ،ليتمكن من تنفيذ ما قرره بطريقة أسلم وأقل مجلبة للخزى والعار !·· وقضى العاشقان معا زمنهما المعتاد ، دون أن يفطنا الى وجود « تانكريدى » الذى وثب من النافذة الى الحديقة - رغم شيخوخته - بمجرد افتراقهما ، ثم مضى الى مخدعه دون ان يلمحه أحد ، وقد اشتد به الحزن والأسى !

وبأمر من الملك ، قبض رجلان فى الليلة التالية على « جسكاردو » وهو يبرح الكهف ، فحملاه فى ازاره الجلدى الى مولاهما ، الذى بادره - اذ رآه - قائلا وقد فاض الدمع من عينيه : « ما أسوأ ما جازيتنى به يا « جسكاردو » ، اذ قابلت

ما أسبغت عليك من عطف ، بأن انتهكت حرمتى ، وألحقت بى العار ، على النحو الذى شهدته بعينى ! » ٠٠ ولم يجب الشاب بغير قوله : « ان للحب يا مولاى سلطانا أقوى منك ومنى ! » ٠٠ واذ ذاك ، أمر « تانكريدى » بحبسه واقامة حراسةشديدة عليه

وفى اليوم التالى ، مضى الملك الى حجرة ابنته كعادته ـ ولم تكن قد ألمت بشىء مما حدث ـ فأغلق الباب ليخلو اليها ، ثم قال باكيا : « لقد كان لى يا ابنتى فى خفرك وعفتك رأى يحول دون أن أصدق يوما أنك تجرؤين على انتهاكهما بمجرد الفكر، فما بالك بالجسد !٠٠ حتى رأيتك بعينى رأسى تهبين نفسك لرجل غريب ٠ ان مجرد التفكير فى هذا سيجعل من البقية الباقية من حياتى حزنا قاسيا مقيما !٠٠ ليتك ـ عندما عولت على هذا العمل ـ قد اخترت شخصا يليق بمقامك ٠٠ أما هذا ال « جسكاردو » ، فهو من أحقر رجال حاشيتى !٠٠ لقد أورثتنى تصرفك من الهم ما لا أكاد اعرف معه ما ينبغى أن أفعل ! ٠٠ اننى ـ فيما يتعلق بالرجل ـ قد أمرت باعتقالهفى الليلة الماضية ، وقد طرح فى السجن ، واستقر رأيى على القضاء عليه ٠ أما بالنسبة لك ، فأرانى موزعا بين عاملين متباينين : أحدهما يتمشى مع أرحم عاطفة يحملها أب لابنته ، والثانى يتفق مع أعدل قصاص يستوجبه طيشك الأرعن !٠٠ أحدهما يترافع مرافعة بليغة لمصلحتك ، والثانى يحفزنى على تصرف يتنافى مع طبيعتى ٠ على اننى أود ـ قبل أن أبت فى الأمر ـ ان أسمع ما لديك من ايضاح ! » ٠٠ وما ان قال هذا ، حتى نكس رأسه ، وراح ينشج بالبكاء كطفل ألهبته السياط !

* * *

٠ **واعترى** الأميرة ـ اذ سمعت هذا ـ هم يفوق كل ما

يخطر بالخيال . فقد أدركت ان غرامها لم يفتضح فحسب ، وانما كان عشيقها ملقى فى غياهب السجن ايضا . وهمت بأن تولول فى أسى ، كما هو شأن النساء اذا ألمت بهن كارثة .. بيد انها تغلبت على ذلك الضعف ، وتبدى عليها العزم ، اذ حسبت ان «جسكاردو» قد لاقى حتفه ، فقررت - فى نفسها - ان لا تكون لها من بعده حياة . وقالت ، بكل ما يمكن تصوره من رباطة جأش : « ليس فى نيتى يا مولاى ان أنكر ما فعلت ، أو أن ألتمس منك فضلا ! .. ذلك لأنه اذا كان الانكار لا يجدينى شيئا ، فانى أرى ان التوسل لن يكون عظيم النفع لى .. ومن ثم فلن أستغل حبك وحنانك ، ولكنى سأحاول - بالاعتراف الصريح - أن أبرر مسلكى ، ثم أفعل ما توحيه الى كرامة نفسى ! .. الحق ، كل الحق ، أننى أحببت « جسكاردو » ، وما زلت أحبه ، وسأظل مقيمة على حبه ما حييت ، وان كان أمد حياتى لن يطول ! .. **واذا صح ان الحب يدوم الى ما بعد الموت، فلن يقضى الموت على حبى ، لأنه لم يكن منبعثا عن ضعف الأنوثة ، بقدر ما كان نابعا من تقديرى لذلك الشاب ، ومن قلة اهتمامك بان تزوجنى مرة أخرى ! .. وجدير بك يا أبى ان تعرف ان ابنتك مثلك ، من لحم ودم ، وليست جمادا من حجر ! .. ولابد انك تذكر - حتى فى هذه السن - ما لعواطف الشباب من قوة ، وفى وسعك ان تحدس ، وان لم تهمل رياضتك كجندى ، ما للترف والدعة من أثر ! .. ومن ثم فلست أكثر من آدمية .** ولما كنت لا أزال شابة ، فاننى لم أتحرر بعد من شهوات الجسد ! .. وقد تعلمت - فى حياة زوجى - ان استمرىء هذه الملذات ، حتى غدت ضرورة لازمة بالنسبة لى . وحرصت دائما - فى ارضاء شهواتى - على ان أتفادى كل ما يجلب اللوم لى ولك . وقد ابتسم لى الحظ ، فهدانى الى سرداب ينيلنى ما أشتهى ! .. وبهذا ترى انى لا أنكر شيئا ، بل

انني أحب ان أقول ـ مهما يكن ما رأيت او ما سمعت ـ انني ما اخترت « جسكاردو » الا بعد روية وتفكير ، وليس بمجرد المصادفة ، أو بوحي النزوة ، كما تفعل غيري من النساء ..

« ولعلني منساقة لفكرة خاطئة لا تمت الى الحقيقة فى شيء ، اذ يلوح لى انك كنت خليقا بأن تلتمس لى العذر لو ان عشيقى كان من السادة ، وأنك لا تنقم على غلطتى ، وانما تثيرك غلطة القدر الذى كثيرا ما يرفع أقل الناس جدارة بالسمو ، ويغفل من هم أولى به وأحق !.. اننا جميعا مخلوقون من مواد واحدة ، وقد صاغتنا يد واحدة . والفضيلة هى أول ما فرق بين البشر ، فجعلت النبل من حق ذوى الفضيلة ، دون الآخرين !.. واذا كان هذا القانون قد توارى بفعل عادة مناقضة له ، الا ان الطبيعة والخلق لم يتنكرا له أو ينبذاه . فاذا تأملت بطانتك فى ضوء الفضيلة والقيم الخلقية وحدها ، ووزنت ما لجسكاردو منها ، لوجدته النبيل الوحيد بين أفراد الحاشية ، فى حين ان الآخرين ليسوا سوى طغمة من الأدنياء ! ..وعلى ضوء خصاله وشجاعته ، أسألك : من ذا الذى قدر ـ ذات يوم ـ انسانا لفضائله المحمودة ، كما قدرت انت جسكاردو ؟.. ولقد كنت ـ فى رأيى ـ عادلا ، محقا .. فاذا كنت مخدوعة ، فانما انسقت للخداع متأثرة برأيك أنت !.. واذا قلت لى بعد ذلك اننى ارتبطت بشخص وضيع ، نكرة ، فاننى أنكر هذا . أما اذا قلت انه فقير ، فانه لمما يشينك ان تكون قد تركت مثل هذه الجدارة بغير جزاء !.. وعلى كل حال ، فان الفقر قد يجردنا من المال ، ولكنه لا يستطيع ان يجردنا من الشرف ..

أما عن الحيرة التى تساورك ، وأعنى حيرتك فى معاملتى.. فافعل ما يروق لك . ولو انك جنحت الى عمل من أعمال القسوة ، فلن أقول شيئا يحولك عن مثل هذا القرار . على اننى أنبهك الى أنك اذا لم تفعل بى ما فعلت ـ أو ما تعتزم ان

تفعله ـ بجسكاردو ، فسوف أتولى ذلك بيـــدى !٠٠ فدع الدموع اذن للنساء ٠ ولو كنت ترمى الى القسوة ، فقطـــع جسدينا معا ، اذا رأيت اننا نستحق هذا ! »

★ ★ ★

● **وكان** الملـــك يدرك قـوة عزمها ، ولكنه لم يستطع أن يصدق انها اعتزمت تنفيذ وعيدها بالفعل ، فغادرها وقـــد أضمر أن يترفق بها ، وان يفطم حبها ـ فى الوقت ذاته ـ بان يقضى على عشيقها !٠٠ ومن ثم أمر الحارسين اللذين أقامهمـا عليه ، بأن يخنقاه سرا فى جنح الظلام ، ثم ينتزعا قلبـه من صدره ، ويأتياه به !٠٠ واذ صدع الحارسان بما أمرهما به ، طلب الملك فى اليوم التالى كأسا ذهبية وضع فيها القلب ، ثم أرسله مع خادم امين الى ابنته ، وكلفه أن يبلغها هذه الرسالة: **« ان أباك يبعث اليك بهذه الهدية ، ليثلج صـدرك بما كان أعز شىء لديك ، كما اثلجت صدره بما كان أعز شىء لديه ! »**

وكانت الأميرة قد فارقت أباها دون أن تتزحزح عن عزمها، ومن ثم اعتصرت بعض النباتات الســامة ، ومزجتها بالماء ، تأهبا لحدوث ما كانت تخشاه ٠ فلما أسلمها الخادم هدية الملك، وادى الرسالة وفقا لأمره ، تناولت الكأس بعزم ثابت ، حتى اذا رأت القلب فيهـــا ، وأدركت من كلمات أبيهـــا انه قلب « جسكاردو » ، رمقت الخادم فى جلد ، وقالت : « لقد تصرف أبى بحكمة بالغة ، اذ لا يستحق هذا القلب أقـل من لحد من ذهب ! » ٠٠ ورفعت الكأس الى فمها فقبلتها ، ثم قالت : «لقد حظيت من أبى طيلة حياتى ـ حتى فى هذه الفترة الأخيرة ـ بأوفر الحب ٠٠ ولكنى أرى حبه اليوم أكثر وفرة من ذى قبل ٠ فارفع اليه باسمى آخر آيات الشكر التى أملك ان أقدمها ، لقاء هدية كهذه ! »

وتأملت القلب فى الكأس التى كانت تمسكها بيد ثابتة ،



وقالت : « واحسرتاه ، يا أعز هدف ، ويا مناط آمالى !٠٠ تبا لقسوة ذاك الذى جعل عينى تتأملانك الآن ، وانت الذى طالما شاهدتك وعرفتك بعينى روحى !٠٠ لقد انتهى مطافك على الوجه الذى رآه القدر لائقا بك !٠٠ **لقد وصلت الى الغاية التى نسعى اليها جميعا ، فخلفت تعاسات هذه الدنيا وراءك ، وظفرت من عدوك اللدود باللحد الذى تستحقه ، ولم يبق ما**

تستكمل به مأتمك سوى دموع من كنت تعزها فى حياتك كل الاعزاز !٠٠ لقد ألهمت السماء أبى - العديم الرحمـــة - ان يرسلك الى ٠٠ فهاك دموعى ، بعد ان كنت اعتزم المـوت غير متأثرة ، ولا باكية ٠٠ ولن ألبث - اذا ما نضب دمعى - أن ألحق روحى بروحك ، فليس من ملاذ آوى اليه ، أفضل وآمن من تلك العوالم المجهولة ! ٠٠ وما أرتاب فى أن روحك لا تزال تحوم على مقربة من مسرح مباهجنا ، فى ارتقاب روحى ! »

ولما انتهت من حديثها ، راحت تذرف فيضا من الدموع ، وتقبل قلب حبيبها الف مرة ، والوصيفات المحيطات بهـــا لا يعلمن أى قلب هذا ، ولا الى من كانت توجه كلماتها ؟! غير أن رثاءها اذاب قلوبهن ، فالتففن حولها باكيات ، متوسـلات ان تطلعهن على سبب حزنها ، باذلات قصـــارى وسعهن للترفيه عنها

وبعد أن بكت الأميرة ما شاء لها البكاء ، رفعت رأســـها ومسحت عينيها ثم قالت : « أيها القلب الذى أحببته كل الحب ٠٠ لقد أديت واجبى كاملا نحوك ، ولم يبق سوى ان ترافق روحى روحك ! » ٠٠ ثم أمرت باحضار الاناء الذى كانت قد أعدته فى اليوم السابق ، فسكبت ما به فى الكأس التى حوت القلب الذى غسلته بدموعها ، ثم شربت المزيج حتى آخـــر قطرة ، وألقت بنفسها على الفراش وهى مازالت تمسك بالكأس ٠ واسترخت ما وسعها الاسترخاء وهى تضم اليها قلب عشيقها الراحل ٠ فلما شاهدت الوصيفات ذلك - دون أن يعرفن ما شربت - أبلغن « تانكريدى » ، الذى حدس ما وقع ، فهرع الى حيث رقدت ابنته ، ليجد أنه قد وصل بعـــد فوات الأوان ، فراح يبكى بكاء مرا ٠ واذ ذاك قالت له ابنته : « وفر الدموع يا مولاى لمأساة اسوأ من هذه ، فاننى فى غنى عنها !٠٠ ثم من غيرك يحزن على شىء فعلته يداك ؟ واذا كانت قد بقيت لى

فى قلبك بقية من الحب الذى كنت تكنه لى يوما ، فان آخر ما ألتمسه منك ، هو أن تسمح بدفن جسدينا معا ، امام الملأ ، ما دمت لم تطق ان تجمع شملنا السعادة فى حياتنا ! »

ومنعه الحزن العاصف من ان يجيب . وما لبثت الاميرة أن ضمت القلب بشدة الى صدرها ، وقد أحست بمنيتها تدنو ، وتمتمت : « ألا استقبلينا ايتها السماء ، فاننى أموت ! » .. ثم أغمضت عينيها ، وفارقها كل شعور .. وما لبثت ان فارقت هذه الحياة التعسة !

وبهذا انتهى غرام « جسكاردو » و « جيسموندا » كما سمعتم . **وأمر الملك – وهو نادم على قسوته ، بعد فوات الأوان – ان يدفنا فى قبر واحد ، يشيعا اليه فى اعظم احتفال اقيم فى عهده ، فى غمرة الحزن الشامل الذى ساد اهل (ساليرنو) !**

اليوم الخامس

الحب .. يصنع المعجزات !

رمقت ملكة اليوم الخامس « بامفيلو » وهى تبتسم ، ثم سألته أن يبدأ قصص الحظ الحسن ، فلبى « بامفيلو » طلب الملكة فى اغتباط ، وشرع يقول :

«ما أكثر القصص التى تخطر لى - يا سيداتى الحسناوات - كى أرويها وأنا أستهل قصص يوم حافل بالسرور ! .. على ان واحدة منها تفوق سواها الحاحا على ذهنى ، لا لأنها من القصص ذات النهايات السعيدة - التى طلبت منا اليوم - فحسب ، وانما لأنها تمكنكم جميعا من أن تدركوا مدى ما للحب من قداسة ، وسلطان ، وامتاع ، وان سفهه بعض الذين لا يعقلون ، وأساءوا اليه بغير حق ! »

◆ **حدث** - على ما قرأنا فى تواريخ القبرصيين القديمة - ان كان يعيش فى جزيرة (قبرص) ، فى بعض الأزمان ، رجل عظيم الجاه والقدر ، يدعى « اريستيبوس » . وكان غنيا ، رزق وفرة من كل متاع الدنيا ، تفوق كل ما أوتيه بنو بلده ، كما انه كان خليقا بأن يعتبر نفسه فريدا فيما أصاب من محاباة الطالع ، لولا عيب واحد كتبه الحظ من نصيبه .. وكان ذلك العيب ، ان أجمل أبنائه صورة ، وأوفاهم نموا ، كان على درجة من العته والبلاهة لا سبيل الى علاجها ! .. وكان اسمه الحقيقى « جاليسو » ، ولكن الناس اصطلحوا على أن ينادوه ، فيما بينهم ، باسم «سيمون» - ومعناه فى لغتهم : «الحيوان البرى»! - لأن جهود معلميه وحذقهم ، ونصائح أبيه وتوجيهاته ، لم تفلح جميعها فى أن تثبت فى ذهنه حرفا واحدا ، أو معرفة بأى شئ من الاشياء . ومن ثم نشأ وفى حديثه خشونة وجفاء !

وظل الوالد يتعهده طويلا باهتمام مفرط ، حتى اذا تبددت كل آماله فيه ، أمر باقصائه من أمامه ، حتى لا يكون منظره مبعث حزن مستمر له ! ٠٠ وبالفعل ، أبعد هذا الابن الى قصر أبيه الريفى ، ليعيش هناك بين المشتغلين فى أراضيه ٠ وكان هذا الاقصاء أحب شىء الى قلب « سيمون » ، اذ كان أهل الريف وأمثالهم قريبين الى نفسه وعقله !

وهكذا عاش الفتى فى الريف ، يمارس كل الحماقات التى تمت الى ذلك اللون من الحياة ٠ الى أن حدث ذات يوم أن كان ماضيا ـ حوالى الظهيرة ـ متنقلا من مزرعة الى أخرى ، وعصاه فوق كتفه ، حين اجتاز دغلا ظليلا هادئا ٠ وكان الشهر شهر مايو ، والمروج تمتد مزهرة ، موردة ٠ وقاده حظه بعد ذلك الى مرج يحيط به سياج من أشجار سامقة ، وقد انبثق فى ركن منه نبع نمير ، استلقت بجواره ـ على الحشائش ـ حسناء بارعة الجمال ، ناعسة ، وقد ارتدت ثيابا فخمة ، رقيقة ، لا تكاد تستر جسدها البض ، اللهم الا فيما تحت الخصر حيث كان الجزء الأسفل من الثوب منسوجا من حرير رفيع ! ٠٠ وتحت قدمى الحسناء ، نام كذلك خادم ووصيفتان

وما أن وقعت عينا «سيمون» على الحسناء، حتى اتكأ على عصاه ، وأخذ يحملق فى الفتاة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وقد استبدت به الدهشة ، وكأنه لم ير من قبل وجه امرأة ! ٠٠ وفيما هو كذلك ، انبعثت فجأة فى ذهنه الخشن الذى لم ترهفه الحضارة ، والذى عجز من قبل عن استيعاب أتفه مبادىء حسن السلوك والخلق ٠٠ انبعثت فجأة فى هذا الذهن فكرة بدا انها أوحت الى فهمه الغليظ ، وادراكه الضحل ، ان المنظر الذى كان أمامه هو أبدع المناظر التى رآها فى حياته ! ٠٠ ومن ثم شرع يتأمل الحسناء فى مزيد من الامعان ، وأخذ يطرى ـ فى نفسه ـ خصل شعرها الذهبى ، ووجهها ، ونحرها ، وذراعيها ،

وصدرها الناهد الرقيق ، وتحول اذ ذاك من المعتوه - الذى كانه - الى خبير فى أنواع الجمال ! ٠٠ واشتدت به الرغبة فى أن يرى عينيها ، فأوشك لهذا أن يوقظها فى أكثر من مرة ، ولكنه خشى أن لا تكون من البشر ، اذ كانت تفوق كل من سبق له أن رأى من نساء ! ٠٠ وحمله هذا الظن على أن ينتظر ليرى ماذا كانت ستستيقظ من تلقاء نفسها ٠ ومع ان النتيجة بدت له غير جديرة بكل هذا الارتقاب ، الا ان اعجابه بالحسناء جعله لا يقوى على مبارحتها !

واستيقظت الفتاة - وكان اسمها « ايفيجينيا » - بعد فترة طويلة ٠ فما أن رفعت رأسها ، حتى رأت «سيمون» يقف متكئا على عصاه ، فتولتها الدهشة ، وهتفت : « سيمون ! ٠٠ ما الذى تفعله هنا فى مثل هذا الوقت من النهار ؟! » ٠٠ وكان الشاب معروفا فى الريف بأسره ، نظرا لغبائه ، ولجاه أبيه وعظم ثرائه !

ولم يجب « سيمون » ، بل ظل يحدق فى وجهها الذى خيل اليه انه يفيض بعذوبة كانت تملأ نفسه بنوع من الغبطة لم يعرفه من قبل ٠ أما الفتاة ، فلم تطمئن ، اذ كانت تخشى أن يقدم على حماقة من حماقاته ، ومن ثم نادت وصيفتيها ، ثم قالت: « انصرف لشأنك يا سيمون ! » ، ولكنه قال : « بل سأمضى معك ! » ٠٠ ومع انها كانت خائفة ، تؤثر أن تتحاشى صحبته ، الا أنه أبى أن يفارقها حتى بلغ بها دارها ٠ ثم تحول صوب قصر أبيه ، حيث أعلن انه لا يعتزم العودة الى الريف ، فقابل الأهل ذلك بامتعاض ، ولكنهم آثروا أن يدعوه وشأنه ، ارتقابا لما قد يسفر عنه هذا التطور فى طباعه !

* * *

◆ **وهكذا** اخترق الحب قلبه الذى لم يقدر لشىء من قبل أن ينفذ اليه ٠ ولم تمض سوى فترة وجيزة ، حتى تطور تفكيره

ومسلكه تطورا بعيدا أسلم أباه وأهله - بل وكل شخص عرفه - الى دهشة طاغية . فقد كان أول ما فعله أن طلب الى أبيه ثيابا ومتاعا ككل ما كان يصيبه اخوته .. فوافق الأب فى طواعية ورضى . **كذلك لم ينقض طويل وقت ، حتى استطاع باختلاطه بشباب الطبقة الراقية - ومراقبة تصرفاتهم ومسلك العشاق منهم ، بوجه خاص ! - أن يتغلب على بداوته الأولى ، وعلى استعصاء العلم على ذهنه ، فما لبث أن ألم الماما كبيرا بالفلسفة! .. وبفضل حبه لايفيجينيا - فقط - تحول حديثه الخشن الغليظ ، الى أسلوب رقيق ، عذب . وبرز فى الموسيقى والفروسية ، وأصبح خبيرا بالفنون العسكرية - البرية والبحرية على السواء - وبطلا من أبسل الابطال .** ولن يسعنا أن نستعرض كل نواحى تفوقه ، ولكنا نجتزىء فنقول انه أصبح - قبل أن ينتهى العام الرابع على وقوعه فى الحب !- أبدع شباب الجزيرة فى كل شىء ، بل أبدع شاب تزهو به الجزيرة !

وتفسير ذلك - يا سيداتى الجليلات - أمر بسيط ، فهو بالتأكيد لا يتجاوز هذا التبرير : ذلك ان جميع الخصال الحميدة ، والميزات النبيلة ، التى بثتها الطبيعة فى الفتى ، ظلت حبيسة فى قلبه ، مكبوتة فى نفسه ، وكأن عليها مائة قفل ورتاج .. حتى جاء الحب - وهو اله أعظم قدرا من الحظ ! - فبدد سلطان النعاس ، ودفع بكل قواه تلك المواهب الحبيسة الى خارج سجنها الذى طال التزامها اياه ، فتبدد الغباء والخمول بسحر ساحر !

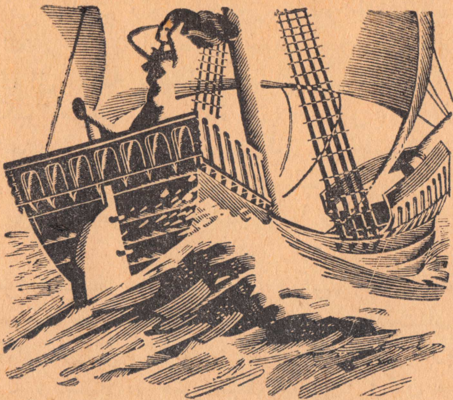
وكان من المعقول أن تكون لسيمون جولاته فى الهوى ، ككل الشباب ، لا سيما وان « اريستيبوس » - أباه - شجعه على المضى وراء مسراته ، حين أدرك ان حب « سيمون » لايفيجينيا هو الذى جعل منه مثل هذا الرجل ! .. على ان « سيمون »

ـ الذى أبى أن يعـود الى اسم « جاليســو » لأن « ايفيجينيا » اسمته « سيمون » ! ـ شاء أن يقود غرامه الى نهاية سعيدة ، فطلب يد حبيبته مرارا من أبيها « سايبسيوس » ، لكن هـذا كان يجيبه بأنه وعد بأن يزوجها من شاب يدعى «باسيموندا» ، من نبلاء (رودس) ، وانه لن ينكث بوعده !

★ ★ ★

• **وما لبث** أن حان الموعد الذى كان محددا لاعلان الخطبـة ثم الزواج ، فأرسل الشـاب الرودسى يطلب يد « ايفيجينيا » رسميا ، فقال « سيمون » فى نفسه : « **أواه ، يا ايفيجينيا . لقد جاء الوقت الذى أبرهن فيه على مدى حبى لك . لقد صرت انسانا بسببك ، ولو اننى ظفرت بك ، لغـدوت فى أقصى قمم المجد والسعادة ، كالآلهة نفسها ! .. لســوف أحظى بك أو أموت !** »

وجمع نفرا من وجهاء الشباب ، من أصـدقائه ، فأهاب بهم أن يعاونوه ، فأعدوا ـ فى السر ـ سفينة حـربية مزودة بكل معدات القتال ، ثم خرجوا الى عرض البحر فى ارتقاب السفينة التى كانت تقلّ « ايفيجينيا » الى (رودس) ، بلد زوجها ! .. فلما انتهت الاجراءات أخيرا ، وصعدت «ايفيجينيا» الى السفينة التى أقلعت بها ، اتخذ « سيمون » أهبته ، وانطلق بسـفينته وراءها ، حتى اقترب من السفينة الأولى ، فوقف عند مقدمة سفينته ، وصاح فيمن كانوا يرافقون « ايفيجينيا » : « قفوا .. انزلوا الأشرعة ، أو فارتقبوا هزيمة تودى بكم الى قاع البحر ! » .. فلما رأى « الأعداء » يحملون أسلحتهم الى سطح السفينة ، ويتأهبون للقتال ، اتبع قوله بالفعل ، فألقى خطافا كبيرا عـلى سفينة الرودسيين ، وشدها الى سفينته ، ثم قفز كالأسد ـ غير عابىء بشىء ـ الى السفينة الرودسية ، وقد ألهب الهوى عزيمته ، فشهر سيفه فى يده ، واندفع بقوة جبارة بين الاعداء ، وأطاح



فيهم بالسيف ذات اليمين ، وذات الشمال ، وذبحهم كالنعاج ! ٠٠ وبهت الرودسيون الباقون لفورته وهياجه ، فأعلنوا التسليم ، وارتضوا أن يكونوا أسرى ٠ واذ ذاك ، صاح سيمون : « ايها البواسل ، ما خرجت من قبرص لاهاجمكم فى عرض البحار بالسلاح ، بغية سلب ، ولا اثارة لعداء ، وانما دعانى اليكم الشوق الى تلك التى أعتبر الظفر بها من أعظم الأمور ٠٠ فان حبى لايفيجينيا يفوق كل حب ! ٠٠ واذا كنت لم أوفق الى نيلها من أبيها بسلام ومودة ، فان الحب قد دفعنى الى أن أنتزعها منكم بهذه الطريقة الباسلة ، وبقوة السلاح ٠٠ فأسلمونى اياها ، وامضوا فى طريقكم ترافقكم السلامة ! »

وبالفعل ، أسلمه الرودسيون «ايفيجينيا» بدافع من الخوف، وليس بدافع من الكرم٠وما أن لاحظ «سيمون» أن وجهها مبلل بالدموع ، حتى هتف بها : « لا تأسى يا سيدتى النبيلة ، فها أنذا «سيمون» ملك يديك ، وفى خدمتك ! » ٠٠ ونقلها الى ظهر سفينته ، ثم أمر الرودسيون بالانطلاق فى طريقهم ، دون أن

يمس شيئا من متاعهم • وجعله فوزه بهذه الجائزة الغالية أسعد انسان فى العالم • وما أن طمأن خوفها ، وسرى عنها أساها ، حتى تحول الى رفاقه يتبادل معهم الرأى ، فانتهوا الى أن من الخير أن يتنكبوا طريق العودة الى (قبرص) ، وأن يتجهوا لفورهم الى جزيرة (كريت) حيث كان لهم جميعا من الاصدقاء والأهل من يستطيعون الركون اليهم ليكفلوا لهم – ولسيمون وايفيجينيا بوجه خاص – أسباب الأمن والسلامة !

★ ★ ★

◆ **ويمموا** شطر (كريت) ، ولكن الحظ المتقلب ، الذى وهب « سيمون » حبيبته بعد نصر مجيد ، لم يلبث أن قلب فرح العاشق الشاب الى ترح وأسى • اذ لم تكد تمضى أربع ساعات على فراقهم للرودسيين ، حتى هبط الليل • وكان « سيمون » أكثر أهل السفينة شوقا الى مقدمه ، بعد أن صارت حبيبته على مقربة منه • ولكن الليل جاء مقترنا بعاصفة من أعتى العواصف ، فلم يعد القوم يبصرون شيئا ، أو يعرفون مكانهم ، ولم يعودوا قادرين على تسيير السفينة !

وفى وسعكم أن تتصوروا مدى جزع « سيمون » فى هذه الظروف • فقد خيل اليه ان السماء لم تنله أمنيته الا لتجعل الموت أمر مذاقا فى فمه من ذى قبل ، حين كان لا يقيم له كبير وزن ! •• كذلك وجم زملاؤه • ولكن « ايفيجينيا » كانت أكثر الجميع فزعا ، اذ راحت ترتجف عند كل رجة تهز السفينة • **ولم تكن قد أقرت بعد تهور «سيمون» ، فراحت تقول ان العاصفة انما انقضت من السماء لغير ما غرض سوى الحاق الخيبة به ، لأنه أقدم على انتزاعها ضد ارادة الآلهة ، وان لن يحيق به عقاب أشد من أن يراها تسبقه الى الموت ، فاذا جاء دوره ، كان أتعس منها حالا !!**

ووسط هذه المحنة ، كانت الرياح تشتد عنفا ، والبحارة

لا حول لهم ولا حيلة ، والأمواج تتقاذف السفينة ، حتى ألقت بها فى النهاية على مقربة من جزيرة (رودس)٠ولم يكن الشبان ليعرفوا أين رسوا ، وانما كان كل همهم أن يبلغوا البر بكل وسيلة ممكنة ، حفظا لسلامتهم ٠ واستطاعوا أخيرا أن يقتربوا من الساحل ، وأن ينفذوا الى خليج صغير ، كانت قد سبقتهم اليه مباشرة، تلك السفينة التى اختطفوا من فوقها «ايفيجينيا»٠ غير انهم لم يفطنوا اليها ، ولا انتبهوا الى انهم فى (رودس) الا عندما انبثق ضوء الصباح التالى ، فرأوا ـ على قاب قوسين منهم ـ تلك السفينة التى التحموا معها فى اليوم السابق ٠ واضطرب « سيمون » للأمر أشد الاضطراب ، وخشى ما قد يترتب على ذلك من عواقب ، فأمر زملاءه بأن ينطلقوا بسفينتهم الى عرض البحر ، وأن يسلموا أنفسهم الى القدر ، فلن يكونوا معرضين فى أى مكان لخطر يفوق ذلك الذى كان يتهددهم فى الخليج !

وراحوا يبذلون قصارى ما فى وسعهم للخروج بالسفينة ، ولكن دون جدوى ٠ فقد كانت الريح تهب بشدة فى اتجاه مغاير لاتجاههم ، فتدفعهم الى الشاطىء رغم كل الجهود التى بذلت لتفادى ذلك٠وسرعان ما تعرف ملاحو السفينة الأخرى عليهم ، فجرى واحد منهم الى المدينة المجاورة ، وأنبأ سادته ـ الذين كانوا قد ذهبوا اليها بمجرد وصولهم الى البر ـ ان سفينة « سيمون » قد ألقت بها الريح الى البر ٠ وما أن سمع القوم ذلك ، حتى اصطحبوا حشدا كبيرا الى الشاطىء ، واعتقلوا « سيمون » ورفاقه ، و « ايفيجينيا » ، وساقوهم جميعا الى المدينة٠

وعندما بلغت هذه الأنباء مسمع « باسيموندا » ـ خطيب « ايفيجينيا » ـ رفع أمره الى مجلس الشيوخ ، الذى أوفد « ليسيماخس » ، الموكل بالأمن فى ذلك العام ، مع فريق من

الشرطة ، ليلقوا بالاسرى فى غياهب السجن · وهكذا فقد « سيمون » التعس حبيبته بمجرد أن ظفر بها ، دون أن يفوز بأكثر من قبلة ، جزاء ما خاض من عناء ! · · أما « ايفيجينيا » ، فقد أسلمت الى عدد من السيدات والسادة – من علية القوم – فرفهوا عنها ما تجشمت فى أسر « سيمون » ، وفى غمرة العاصفة ، وبقيت بينهم حتى يوم زفافها !

وعلى الرغم من كل ما بذل « باسيموندا » ، فقد استطاع « سيمون » وزملاؤه أن ينجوا بحياتهم ، لقاء ما أظهروا من رحمة بالرودسيين عندما هاجموا سفينتهم · واكتفى القضاء بالسجن المؤبد لهم ، فبقوا فى الأغلال يرسفون ، وليس من أمل لهم فى الحرية !

* * *

• **وفى** تلك الاثناء ، كان « باسيموندا » منهمكا فى اعداد التدابير لزفافه · وكأنما ندم القدر على ما أنزله بسيمون من ضرر ، فخلق ظروفا جديدة لخلاصه · فقد كان لباسيموندا أخ يصغره فى السن ، ولكنه يزيد عنه فى الفضائل ، ويدعى « اوريمسدا » · وكانت الشائعات تردد انه يوشك أن يتزوج من سيدة حسنا فى المدينة تدعى «كساندرا» ،كان «ليسيماخس» – الموكل بالامن – مولعا بها أيضا ، وقد قامت أحداث غير سعيدة حالت دون زواجه منها منذ أمد · فلما تقرر أن تقام احتفالات هائلة ، ومآدب فخمة لزواج « باسيموندا » ، رؤى ان عقد زواج أخيه فى الوقت ذاته يؤدى الى اقتصاد قدر كبير فى النفقات ! · · ومن ثم عمد « اوريمسدا » الى اقناع « كساندرا » بقبول الزواج منه ، وتم الاتفاق على أن يعقد زواج «باسيموندا» من « ايفيجينيا » ، و « اوريمسدا » من « كساندرا » فى وقت واحد · **وكان هذا مبعث غم كبير لليسيماخس الذى رأى نفسه وقد جرد من آخر أمل فى الزواج من الحسناء · ولكنه كان من**

الحكمة بحيث أخفى ما فى نفسه ، وشرع يسعى لافساد الزواج المشترك ، فلم يجد أمامه من وسيلة سوى اختطاف حبيبته عنوة . ولكنه رأى ان هذا لا يتفق ومنصبه . وبعد نقاش طويل بينه وبين نفسه ، تراجع المنصب أمام الحب ، وانتهى الى وجوب اختطاف « كساندرا » !

ومن ثم عكف على اختيار الأنصار الذين يساعدونه فى مهمته ، والوسيلة التى ينتهجها . وسرعان ما تذكر « سيمون » الذى كان وزملاؤه فى السجن تحت اشرافه ، فلم ير خيرا من زملاء كهؤلاء ، ولا وجد من يأتمنه ويثق فى وفائه سوى « سيمون » ، ومن ثم بادر باستدعائه الى مكتبه سرا ، وتحدث اليه على هذا النحو :

« يا سيمون .. لما كانت الآلهة خير من يهب البشر جميع النعم ، فانها كذلك أقدر من يحكم على فضائلنا ومواهبنا ! .. وكما انها تبدى حزما فى كافة الأمور ، فانها تخلق كذلك الظروف للاقدام على جلائل الأعمال . وقد رأت الآلهة أن تتيح لك فرصة لتثبت جرأتك واقدامك ، تفوق كل الفرص التى أتيحت لك فى دار أبيك ، الذى أعلم انه واسع الثراء والجاه . فلقد بلغنى أن الآلهة — بقوة الحب الحافزة — جعلت منك انسانا ، ثم أرادت — بتقلب الحظ ، وبما ترديت فيه من سجن تعس — أن تختبر ما اذا كانت المحن قادرة على أن تغير من نفسك وروحك . واذا كان فى وسعك أن تظل قوى العزم ، فان الآلهة لن تجزيك بأكثر من الفرصة التى أعرضها عليك الآن ، لتبدى بسالتك وجدارتك . لقد استبد الفرح بباسيموندا ، على حساب شقائك .. فهو يسعى دائبا للتعجيل بموتك ، كما انه يوشك أن يزف الى حبيبتك « ايفيجينيا » ، مستغلا تقلبات الحظ والقدر . ولن يدرك أثر ذلك عليك سواى ، لأننى معرض لمثله بالنسبة لحبيبتى « كساندرا » التى تقرر أن تزف الى « اوريمسدا » ،

شقيق غريمك • ولست أرى من علاج لحالك وحالى ، سوى أن نوحد قوانا وعزائمنا ، اذ لابد لنا من أن نشق طريقنا الى غايتينا بحد السيف ، فتفوز أنت بحبيبتك للمرة الثانية ، وأظفر أنا بحبيبتى للمرة الأولى • فاذا كنت تعتز بحريتك •• لا ، فليس لهذه من قيمة بغير حبيبتك ! •• اذا كنت تعتز بحبيبتك ، فليس عليك سوى أن تتبعنى ، فتجد الحظ فى ركابك ! »

وفعلت هذه الكلمات فعلها فى بعث روح « سيمون » من تخاذلها وقنوطها ، فبادر قائلا : « ما كنت يا ليسيماخس لتظفر بصديق أشد عزما ، ولا أجدر بالثقة منى ، كى يزاملك فى مشروع كهذا لو صح انه كما وصفته • وليس عليك سوى أن تحدد موعدا ، لتجدنى مبادرا الى تنفيذ أمرك ! » •• فأجاب ليسيماخس : « ستنقل السيدتان الى دار الزوجين المنتظرين بعد ثلاثة أيام • ففى مساء اليوم المعين للزفاف ، سنذهب جميعا — أنت وزملاؤك ، وأنا وبعض من أثق فيهم وأركن اليهم — ونقتحم الدار بقوة السلاح ، والقوم فى غمرة أفراحهم ، فنستولى على السيدتين ، ثم نحملهما الى سفينة أعددتها فى الخفاء ، بعد أن نقتل كل من تحدثه نفسه بالوقوف فى طريقنا ! »

وارتاح « سيمون » للخطة ، فأقرها ، ومن ثم تربص فى انتظار ساعة العمل • فلما حان يوم الزفاف ، وامتلأت أرجاء البيت بمظاهر الفرح والاحتفالات ، قسم « ليسيماخس » و « سيمون » زملاءهما الى ثلاث فرق • وبعد أن رسم لهم ليسيماخس خطة التنكر ، أوفد الفرقة الى المرفأ لتؤمن نجاة الجميع ، وسعى الى دار « باسيموندا » مع الفرقتين الاخريين ، فأقام احداهما لدى الباب الخارجى لتحول دون فرار أى شخص ، وتحصر الجميع داخل البيت ، بينما مضى و « سيمون » فصعدا الى الطابق الأعلى لتنفيذ بقية الخطة • وما أن بلغا قاعة الطعام ،

حيث كانت العروسان تجلسان الى المائدة مع كثير من السيدات، حتى اقتحما المكان ، فقلبا الموائد ، وأمسك كل منهما بحبيبته ، فأسلمها الى أعوانه ، وأمرهم بأن يحملوها الى السفينة • وولولت العروسان والسيدات والخدم فى جلبة سرعان ما أثارت ضجيجا فى المكان ، فشهر « سيمون » و « ليسيماخس » وأعوانهما سيوفهم ، وهبطوا من الدار دون أن يقوى أحد على اعتراض طريقهم ، حتى التقوا فى الطابق الأسفل بباسيموندا ، وقد أمسك فى يده بهراوة ضخمة ، وأقبل على أصوات الصراخ• وبضربة واحدة من سيفه ، ألقاه « سيمون » قتيلا عند قدميه ، فلما أقبل « اوريمسدا » لنجدة أخيه ، ألحقه « سيمون » به • ودار عراك مات فيه من مات ، وجرح من جرح ، من أعوان الشقيقين

وهكذا نفذ « سيمون » و « ليسيماخس » من الدار التى سادتها الفوضى وتناثرت فى أرجائها الدماء ، فلحقا بأعوانهما، وأسرعوا جميعا لفورهم الى سفينتهم ، حاملين « غنيمتيهما » ، دون أن يصادفوا أتفه مقاومة • وما أن نقلوا السيدتين الى سطح السفينة ، ولحقوا بهما جميعا ، حتى كان الشاطىء قد ازدحم بجماعات من الناس المسلحين ، ولكن السفينة انطلقت لفورها تشق طريقها مظفرة الى (كريت) • وهناك ، استقبلها ــ بالفرح والابتهاج ــ أصدقاء ركابها وأهلوهم• وسرعان ما زف «سيمون» و « ليسيماخس » الى عروسيهما فى احتفال رائع

وأثار هذا الحادث معارك كثيرة بين جزيرتى (قبرص) و (رودس) •• الى آن تدخل أصدقاء الجزيرتين ، فانتهت السخائم نهاية ودية ، وما لبث « سيمون » أن عاد مع « ايفيجينيا » الى قبرص ، ورجع كذلك « ليسيماخس » و « كساندرا » الى رودس • وعاش الجميع فى سعادة وهناءة ما بقى لهم من أعمار فى الحياة !

البلبل ٠٠ فى القفص !

٠٠ وحان دور « فيلوستراتو » ، فقال :
« اننى اذ أرانى مضطرا لأن أروى لكم قصة تضحككم ، سأقص عليكم نبأ غرام لم يلبث ـ بعد أن خالطته بضع زفرات آسية ، ونوبات محزنة ، وفضيحة مخزية ـ ان انتهى الى خاتمة سعيدة ٠ ومعذرة لقصر القصة ! »

◆ **عاش** فى روما ـ منذ عهد غير بعيد ـ فارس جليل القدر والمقام ، يدعى « ليزيو دافالبونا » ٠ وقد أنجبت له زوجته « مادونا جياكومينا » ـ فى شيخوخته ـ ابنة ، لم تلبث ان اعتبرت أجمل فتيات البلاد ، حين أدركت سن الشباب ٠ ولما كانت وحيدة أبويها ، فقد أسرف الوالدان فى اغداق رعايتهما عليها ، عسى أن يصلا عن طريقها الى مصاهرة رفيعة !

وكان يكثر من التردد عليهما سيد يدعى « ريكاردو » ، ينتمى الى أسرة «مانارديدا بريتينورو»٠ وكان شابا بالغ اللطف ودماثة الخلق ، فلم يشعر « ليزيو » وزوجته نحوه باكثر من شعور الوالدين نحو ابن لهما ٠ ولكن كثرة التقائه بالفتاة جعلته يفتتن بشخصها وخلقها ، فما لبث أن تدله فى هواها دون ان يتمكن من الجهر بوجده ٠ على أن الفتاة فطنت الى شعور الشاب نحوها ، فبادلته اياه ، مما أسعد الشاب الذى كان يتحرق شوقا الى مناجاتها ، دون ان تواتيه الجرأة ٠ ولكن مبادلة الفتاة اياه فى هواه زودته بالجرأة الكافية ، فلما سنحت له الفرصة ، قال لها : « أتوسل اليك يا كاترينا أن لا تدعينى أموت وجدا!» ، فأجابته قائلة : « بل اننى أتمنى على السماء ان تلهمك كى توليني ما تنشده مني ، من اشفاق ! »

وأطربه هذا ، فعاد يقول : «لسوف أتلمس ارادتك وهناءتك في كل شيء ! ٠٠ ألا تعرفين وسيلة نسعد بها معا ؟ » ٠ فأجابته : « **انك لترى يا ريكاردو كيف يراقبونني ، ولذلك فليس في وسعي أن أهيئ سبيلا لاتصالنا ٠ أما اذا استطعت أنت أن تفكر في طريقة لذلك – دون أن تعرضني للوم والمؤاخذة – فأخبرني بها ، لأن في هذا كل السعادة لى !** » ٠٠ وأطال « ريكاردو » التفكير ، ثم قال : « لست أرى يا كاترينا العزيزة سوى وسيلة واحدة ، وهى أن تستأذنى فى النوم بالبهو الملاصق لحديقة والدك ، فاذا علمت أنك تقضين الليل فيه ، لم أخفق فى الوصول اليك هناك ، مهما يبلغ ارتفاعه عن الأرض ! » ٠٠ قالت : « أظننى قادرة على تدبير الأمر لأتخذ هناك مرقدى ، اذا كنت تصر على هذا »

فوعدها بأن يوافيها ، ثم تعانقا على عجل خشية أن يراهما أحد ٠ وما لبث الشاب أن استأذن فى الانصراف

وفى اليوم التالى – وكان من الأيام الأخيرة فى شهر مايو – شكت الفتاة الى والدتها أنها لم يغمض لها جفن فى الليلة الماضية ، لاشتداد حرارة الطقس ، فأجابتها الأم : « ماذا تعنين يا طفلتى ؟ هل الطقس حار حقيقة ؟! ٠٠ انه على العكس تماما ! » ٠٠ ولكن الفتاة قالت : « خليق بك أن تشاورى أبى فى هذا الأمر يا أماه ٠ ومهما يكن رأيه ، يجب أن تتذكرى أن الشباب أكثر تأثرا بالطقس ممن يكبرونهم سنا ! » ٠٠فأجابت الأم : « هذا حق لا مرية فيه ، ولكنى لا أملك التحكم فى الطقس الحار أو البارد وفق مزاجك ، ولذا ينبغى أن نأخذ هذه الأشياء على علاتها حسب فصول السنة ٠ وربما تجيء الليلة التالية أقرب الى البرودة فتحظين فيها بما لم تحظى به فى الليلة السابقة من نوم ! »

قالت كاترينا : « لتسمع منك السماء ، ولكننا لم نعتد أن نرى الحرارة تهبط كلما تقدم الصيف ! » ٠٠ فسألتها الأم :

«فما الذى تبغين اذن ؟ » ٠٠ وهنا أجابتها الفتاة : « ليت والدى يوافق ـ بعد رضائك ـ على أن يقام لى سرير صغير فى البهو القريب من حجرته المشرفة على الحديقة ، حيث أستطيع أن أنام ، وأن أصغى الى البلبل ، وأستنشق الهواء العليل ، فأنعم براحة تفوق ما يتاح لى في حجرتنا ! » ٠٠ فقالت أمها : « آه ٠٠ حسنا ٠٠ كفى ! ٠٠ سوف أتحدث الى والدك ، فالرأى له ! »

واذ كان « ليزيو » طاعنافى السن ، سريع الغضب والانفعال، فقد صاح عندما حدثته زوجته فى الأمر : « **أى بلبل هذا الذى تريد أن يجلب النوم الى عينيها ؟ ! لسوف أجعلها تنام على صوت الصراصير !** »

★ ★ ★

◆ **واذ** عرفت « كاترينا » برأى أبيها ، هجر النوم عينيها طوال ليلتها بتأثير الأسى ، أكثر مما هو بسبب حرارة الطقس ٠٠ وأقضت مضجع أمها بشكواها المتصلة ، مما جعل الزوجة تبادر الى السيد ليزيو فى الصباح التالى ، قائلة : « انك لا تمنح ابنتك فى الواقع غير عناية ضئيلة ، والا فلماذا لا تدعها تنام فى البهو ؟ ٠٠ لقد أمضتها حرارة الجو ، حتى جافاها النوم طوال الليل ! ٠٠ ثم لماذا تعجب للهفتها على أن تنصت الى البلبل ؟ انها لا تعدو أن تكون طفلة ، والأطفال تسرهم هذه التفاهات الصبيانية ! » ٠٠ فأجابها ليزيو : « حسنا ، فلينصب لها سرير هناك ان رأت ذلك ، وليحط بستائر سميكة ٠٠ عسى أن تنام وتنصت الى البلبل ، كما يروق لها ! »

وعندما أنهت الأم هذا الخبر السار الى « كاترينا » ، بادرت هذه تشرف بنفسها على اعداد السرير الذى تقرر ان يقام بالبهو فى الليلة التالية ، وما لبثت ـ باشارة متفق عليها من قبل ـ أن أنهت الخبر الى « ريكاردو » ، الذى كان قد درس ما ينبغى عمله بعد ذلك ! ٠٠ فلما رقدت الابنة لتستريح ، أغلق السيد « ليزيو » الباب المفضى الى البهو ثم نام بدوره

وما ان استوثق « ريكاردو » من أن الهدوء قد شمل البيت ، حتى تسلق أحد الجدران مستعينا بسلم · ثم تشبث بنتوء فى الجدار ، ووثب منه على جدار آخر ، حتى بلغ البهو ، غير حافل بالأخطار · وهناك استقبلته الشابة فى حذر تخالطه غبطة بالغة · وبعد قبلات محمومة ، ارتدا الى الفراش ، فقضيا الليل فى سعادة وهناءة ، وغرد البلبل مرات ومرات !!

ولما كان الليل فى هذا الفصل من السنة قصير العمر ، فقد هبط الفجر عندما غلبتهما الحاجة الى الراحة والاسترخاء ، فاستغرقا فى النوم · وبسبب حرارة الهواء ، أزاحا جانبا كل غطاء ، ورقدت الفتاة وهى تطوق عشيقها بذراعها

وفيما كانا راقدين وهما على هذا الوضع ، استيقظ السيد « ليزيو » · وتذكر لهفة ابنته على النوم ، ففتح الباب وهو يحدث نفسه : « لنر كيف جعل البلبل كاترينا تستسلم للنوم ! » ·· وتقدم فأزاح ستائر السرير ليراها مع «ريكاردو» فى ذلك الوضع · واذ تعرف على الشاب ، أسرع الى مخدع زوجته ، فناداها بأعلى صوته قائلا :

ــ انهضى أيتها الزوجة ·· تعالى وانظرى لماذا كانت ابنتك تتلهف كل اللهفة على « البلبل » ! سترين الآن كيف أمسكته وتشبثت به !

فقالت الزوجة : « أحق ما تقول ؟ أممكن هذا ؟ ·· فقال : « لسوف ترين بنفسك اذا ما أسرعت » ·· وعندئذ بادرت السيدة الى ارتداء ملابسها ثم تبعت زوجها ·· ولما أزيحت الستائر ، شاهدت بوضوح كيف صادت ابنتها «البلبل» الذى راق لها شدوه ، فلم تفلته من يديها ! ·· واستنكرت العجوز خداع ريكاردو ، فودت لو تصيح فى وجهه ، لولا أن « ليزيو » خاطبها قائلا : « **اذا كنت تحبيننى يا امرأة فحذار أن تتحدثى عن هذا بكلمة واحدة ، اذ يجب أن تطمئنى الى أن هذا البلبل**

سيظل لها ما دامت قد صادته ٠٠ ان ريكاردو ينحدر من أسرة كريمة ، مثرية ، يجمل أن نصاهرها !٠٠ وعليه ـ اذا أراد أن ينجو بجلده ـ أن يتزوج من الفتاة أولا ، ليطمئن الى أن البلبل قد أودع فى القفص الذى خلق من أجله ، دون سواه ! »

وارتاحت الزوجة لذلك ، لا سيما حين رأت زوجها وقد هدأت ثائرته ، فلم تشأ أن تنبس بحرف واحد ، بعد أن قضت ابنتها الليل على أحسن حال ، وقد ارتاحت نفسها اذ ظفرت ببلبلها ! ٠٠ وما لبث « ريكاردو » أن استيقظ ٠ورأى النهار فى رائعته ، فأدرك أنه قد كتب عليه الهلاك !٠٠ والتفت الى كاترينا قائلا : « وا أسفاه يا عزيزتى ! ٠٠ لقد باغتنا ضياء النهار فماذا نصنع ؟! »

وهنا تقدم السيد « ليزيو » ـ الذى كان واقفا متربصا ـ فجذب الستائر وهو يقول : « سنصنع كل خير ! » ٠٠ فلما رآه الشاب ، اشتد به الذهول ٠٠ ثم نهض من الفراش صائحا : « بالله اصفح عنى يا سيدى ٠٠ أنا أعترف لك بأننى أجرمت فى حقك ، وقمت بدور الخائن الغادر ، وبأننى خليق بالموت جزاء ما اقترفت ، فاصنع بى ما تشاء ، ولكنى أضرع اليك أن تبقى على حياتى ! »

فأجابه ليزيو : « **ان الحب الذى كنت أكنه لك يا ريكاردو ، والثقة التى أوليتك اياها ، ما كانا يستحقان أن يقابلا منك بهذا الجزاء ! ٠٠ أما والأمر كذلك ، وقد حملتك نزوات الشباب الطائشة الى هذا المدى ، فاذا كنت ترغب فى تجنب الموت ـ رغبتى فى تحاشيه ـ فعليك قبل أن تغادر هذا المكان أن تتخذ « كاترينا » حليلة شرعية لك ، كى تظل لك طوال العمر بمثل ما كانت لك فى هذه الليلة ! ٠٠ بهذا وحده تظفر بحبى وبحياتك ٠ أما اذا لم ترض بهذا الحل ، فأسلم روحك لخالقها ! »**

وفيما كانت هـــذه الكلمات تتوالى ، استردت « كاترينا » جأشها ، فأخذت فى البكاء ، وهى تضرع الى والدها أن يصفح عن عشيقها ، ثم تضرع مرة أخرى الى عشيقها أن يذعن لرغبة أبيها ! .. وما كان الأمر يستدعى كثير ضراعة . فالى جانب الخزى الذى تملك الشاب ، لما ارتكب من خطيئة — لم ير ما يمنع من اصلاحها — كانت هناك رغبة فى الافلات من موت عاجل ! .. أضف الى ذلك حبا مشبوبا ورغبة فى استمرار الحظـــوة بالحبيبة ... كل هذا حمل الشاب على أن يجهر ، وبلا تحفظ ، بأنه سيترضى والدها بكل وسيلة . وعندئذ ، استعار السـيد « ليزيو » من زوجته أحد خواتمها ، ولم يغادر أحد مكانه ،حتى كان « ريكاردو » قد تزوج من «كاترينا» رسميا ! .. واذ ذاك، انصرف العجوزان وهما يقولان : « استريحا الآن فربما كانت الراحة هى كل ما تحتاجان اليه ! »

واذ تركاهما على انفراد ، ضم العاشق فتاته الى صدره ، ثم أضافا أغنيتين أخريين الى أغانى البلبل قبل أن يغادرا الفراش!! وبذلك انتهى اليوم الأول . أما بعـــد ذلك ، فقد تشـــاور « ريكاردو » و « ليزيو » فى الأمر — على وجه أوســع — فرأيا ضرورة اعداد خطبة جديدة — علنيـــة — يحضرها الأقـــارب والأصدقاء ، صونا لمركزيهما

وهكذا انتقلت العروس الى منزل حبيبهـــا ليلة الزفاف ، فى أبهة واحتفال كبيرين

ولطالما غنى البلبل بعد ذلك ليل نهار بما ضاعف من سعادة كلا الزوج والزوجة !



اليوم السادس

منطق « امرأة » !

توجت « ايليسا » ملكة لليوم السادس ، فاختارت لقصص ذلك اليوم موضوع سعة الحيلة ، وحضور البديهة ، وكيف ينقذان صاحبهما من المخاطر والمهالك . فلما حان دور « فيلوستراتو » ، قال :

« من أفضل النعم ، يا أكرم السيدات ، ان يؤتى المرء القدرة على تنميق الكلام ، لكى يبلغ مأربه . ولكنى أرى هذه الموهبة أفضل ما تكون ، اذا عرف المرء كيف يستغلها عندما تدعو الحاجة اليها ، كما فعلت سيدة سأروى لكن قصتها . فقد نجت من موت تلطخه الفضيحة والعار ، بفضل هذه الموهبة ! »

◆ **فرض** على الأراضى التابعة لمدينة (براتو) ، فيما مضى ، قانون صارم – لا مبرر له ! – يقضى بأن تحرق كل امرأة يكتشف زوجها انها على علاقة آثمة برجل آخر ، مسويا بذلك بينها وبين البغى التى كانت تبيع نفسها بالمال !

وحدث عندما كان هذا القانون ساريا ، ان دهم زوج يدعى « رينالدو دى بوليزى » ، زوجته الشابة الحسناء « فيليبا » ، وقد استسلمت فى مخدعها لأحضان عشيق شاب من علية

القوم فى المدينة ، يدعى « لازاريو دى جاتساليوترى » ، أحبته الزوجة حبها لنفسها !٠٠ فثار الزوج ثورة عاتية ، وأوشك أن يفتك بهما ، لولا ان أعتزازه بحياته أوحى اليه بأن يدع للقانون تحقيق ما لا يملك هو – آمنا ! – تحقيقه ! ٠٠ ومن ثم جمع من الأدلة ما يكفى لاثبات الواقعة ، وتقدم الى المحكمة يطلب استدعاء زوجته

وكانت السيدة جريئة القلب ، ككل امرأة تحب عن عاطفة صادقة ، فعولت على الظهور بنفسها أمام القضاء – رغم نصائح صديقاتها – اذ كانت تؤثر ان تموت بعد اعتراف ثابت ، دامغ ، على أن تعيش ذليلة ، بعيدة عن وطنها ، اذا حاولت الهرب من الفضيحة ، أو ان تعيش فى وطنها مهينة ، منبوذة ، اذا هى أنكرت الحقيقة وتنكرت لحب الرجل الذى وجدت بين ذراعيه !

فلما استدعيت الى المحكمة ، لم تتردد فى الذهاب ٠٠ ورافقها عدد كبير من الصديقات ، رحن طوال الطريق يغرينها عبثا بانكار الاتهام الموجه اليها ٠ وما ان مثلت أمام القاضى ، حتى سألته بأسارير هادئة ، ساكنة ، عما لديه من قول يبغى توجيهه اليها ٠ وأخذ القاضى بما فى جلدها من سمو النفس وعظمة الروح ، فبدأ يرثى لها ويعطف عليها ، وأشفق من أن تعترف بما قد يدفعه الى ادانتها ، اداء لواجبه ٠ على انها لم تكف عن سؤاله عما أراد من وراء دعوتها ، فقال : « ان زوجك رينالدو ، الموجود هنا ، يؤكد أنه فاجأك متلبسة بجريمة الزنا ، ومن ثم فهو يصر على طلب اعدامك تطبيقا للقانون الخاص بهذه الجريمة ٠ على اننى لا أملك ان أصدر حكما بهذا ، ما لم تعترفى ٠ ولهذا ، أرجو ان تكونى على حذر فيما ستدلين به من اجابة ، وآخبرينى : أصحيح هذا الاتهام ؟ »

وأجابت السيدة دون ان يطرف لها جفن ، أو يتبدى عليها قلق : « لقد فاجأنى زوجى رينالدو حقا يا سيدى ، وأنا بين

ذراعى لازاريو ، فى الليلة الماضية !٠٠ وما كانت هذه أول مرة يدفعنى فيها حبى الملتهب ، المستعر ، الى هذا العمل !٠٠ لا ، لن أنكر هذا !٠٠ **ولكننى أرى - عن يقين - ان قوانين أى بلد يجب أن تكون عادلة ، منصفة ، وان تكون صادرة عن رضاء عام من اولئك الذين وضعت لتطبق عليهم ، وهذا ما لم يحدث على الاطلاق بالنسبة للقانون الذى تحاكمنى بمقتضاه ! ٠٠ فمع ان صرامته لا تنصب الا على النساء البائسات ، وهن أقدر من الرجال على ارضاء الكثيرين ، الا انه لم يسن برضاء النساء ، بل ان رأيهن لم يؤخذ فى وضعه ٠ ومن ثم فهو خليق بأن يوصم بأنه قانون جائر** !٠٠ فاذا أردت تنفيذه ضدى ، بوحى من ضميرك ، فلتكن لك مشيئتك ٠ على اننى أسألك قبل أن تصدر حكمك ، ان تمنحنى فضلا ضئيلا ، فتسمح لى بأن اسأل زوجى : هل حدث مرة أن اشتهى الاستمتاع بى فلم أمتثل له راضية ؟! »

وهنا أجاب « رينالدو » - دون أن ينتظر ريثما يسأله القاضى - بأن زوجته لم تعارض قط رغباته ، فى هذه الناحية !

وعادت السيدة تستأنف حديثها قائلة : « اذن ، فدعنى أسألك يا سيدى القاضى وقد رأيت انه كان ينال منى دائما ما يشتهى وما يرجو : **ما الذى أفعله بما يتبقى من عواطفى ؟ ٠٠ أألقى بها الى الكلاب ؟٠٠ أليس من المعقول أن أرضى بها رجلا يحبنى فوق ما يحب حياته ، بدلا من أن أتركها تفسد وتذهب هباء ؟!** »

وكانت قاعة المحاكمة قد اكتظت بجمهور كبير من سكان المدينة ، اجتذبتهم أهمية القضية ، وما كان للسيدة المتهمة من مركز وشهرة ٠ فما ان سمع الحاضرون جوابها الذكى ، الأريب ، حتى انفجروا ضاحكين ، وصاحوا فى صوت واحد انها أصابت - بقولها - كبد الحقيقة وعين الصواب !

وقبل أن يغادروا المحكمة، كان القانون قد تعرض للتعديل، بناء على مشورة القاضى ، فاقتصرت عقوبته على الموت للزوجات اللائى « يظلمن » أزواجهن جريا وراء المال !

وبارح «رينالدو» قاعة المحاكمة وهو بادى الاستياء والحنق، يجرر أذيال الخيبة ، بينما نجت زوجتـه من الحرق ، وعادت مظفرة الى دارها !

ذو الساق الواحدة !

تلقت « نيبفيله » اذن الملكة ، فشرعت تقول :

« على رسلكن ايتها السيدات ذوات القلوب النابضة بالحب !٠٠ فان البديهة الحاضرة ، وسعة الحيلة ، والابتكار ، لا تلهم - بالكلمات المناسبة للظروف المتباينة - ذوى اللباقة والبلاغة فحسب ، وانمـا يخف الحظ أحيانا لمساعدة ذوى العى ، فيثير على أطراف ألسنتهم - فجأة - مـن الاجابات البارعة ، ما تعجز عنه حيلة أبرع ذوى الدهاء ٠٠ كما سترون من القصة التى أرويها فيما يلى » :

◆ **كان** « كورادو جيانفيلياتسى » - كما تعرفون جميعـا - مشهورا بالشهامة والاسـتقامة ، وهواية الصيد بالصـقور والكلاب ، فضلا عن مواهبه الرائعة الأخرى ، التى لا مجـال لذكرها فى قصتنا الراهنة

وحدث أن خرج يوما للقنص، على مقربة من قرية (بيريتولا)، فاصطاد طائرا من نوع « آلغرنوق » أو « الكركى » ، الذى اعتاد ان يقف على ساق واحدة ، اذا ما نام أو أخلد للاستجمام ! ٠٠ ورأى « كورادو » ان الطائر صغير السن، سمين الجسم، فأرسله الى داره ، وأمر طاهيه - وكان رجلا من أبنـاء البندقية يدعى « كيكيبيو » - ان يعده على أشهى وجه ، للعشاء !

وكان الطاهى ساذجا ، محدود التفكير ، فذبح الطـائر ، وأزال ريشه ، ثم نثر عليه التوابل ، وقام بشيه ٠ وتصادف - عندما بدأت رائحة الشواء فى التصاعد - ان أقبلت على المطبخ امرأة من الجيران تدعى « برونيتا » ، كان الطاهى مفتونا بها ٠ واذ أثارت رائحة الشواء شهيتها ، راحت تسأل الطاهى فى الحاف ان يهبها ساقا من الطائر ، فكان جوابه ان راح يترنم

قائلا : « لا ساق لك عندى يا دونا برونيتا ! »

وأغاظها هذا الجواب ، فقالت : « اذا لم تهبنى ساقا ، فأقسم ان لا أدعك ـ ما حييت ـ ترجو منى أى صنيع أو معروف ! » ٠٠ **وطال الجدال بينهما ، ثم احتدم فانقلب الى خصام ، لم يجد « كيكيبيو » حيلة ازاءه سوى أن يعطى المرأة احدى ساقى الطائر لاسترضائها** ٠ وهكذا ، قدم الطائر على مائدة العشاء بساق واحدة ، مما حدا بصديق لكورادو ـ كان قد دعاه الى العشاء ـ الى ان يبدى دهشته ٠ ومن ثم استدعى « كورادو » طاهيه ، وسأله عما أصاب الساق الأخرى

وكان البندقى بطبعه كذوبا ، فبادر مجيبا : « ليس للغرنوق يا سيدى سوى ساق واحدة ! » ٠٠ وأغاظ جوابه « كورادو »، فصاح مغضبا : « ما الذى يعنيه هذا الرجل ، بحق الشيطان ؟ ٠٠ ليس للغرنوق سوى ساق واحدة ؟٠٠ أظننت أيها الوغد اننى لم أر من قبل غرنوقا، على الاطلاق؟ » ٠٠ فأصر «كيكيبيو» على زعمه قائلا : « **ألا صدق ما أقول يا سيدى ، وسوف أقنعك متى شئت ، فأريك غرانيق حية بساق واحدة !** »

ولم يشأ « كورادو » أن يمضى فى اللجاج ، مراعاة لوجود صديقه ، فاكتفى بأن أضاف الى ما سبق : « أما وقد تعهدت بان ترينى ما لم أره قط فى حياتى ، فانى أرتضى أن يكون هذا صباح غد ٠٠ ولكنى أقسم أننى سأجعلك تذكر هذا الحادث الى آخر يوم فى حياتك ، اذا وجدت الواقع يكذب زعمك ! »

★ ★ ★

• **وانتهى** الأمر عند هذا الحد فى تلك الليلة ٠ على أن الغيظ أقض مضجع « كورادو » ، فنهض من فراشه مبكرا فى الصباح التالى ، وأمر باعداد جوادين من جياده ، ثم اصطحب « كيكيبيو » فى اتجاه النهر ، حيث كانت تحلق أسراب من الغرانيق فى الصباح الباكر عادة ٠ وقال السيد لطاهيه ، وهما

فى الطريق : « لن نلبث ان نتبين اينا كان الصادق فى الليلة الماضية ! »

وادرك الطاهى ان غضب سيده لم ينفثىء بعد ، وان عليه أن يثبت ما أكده فى أمسه ، دون ان يدرى سبيلا الى ذلك الاثبات! ٠٠ على أنه لم يملك سوى أن يمضى فى المقدمة ، والخوف يملأ جوانحه ٠ ولكم ود لو انه لاذ بالهرب ، ولكنه لم يجد لذلك سبيلا ٠ وراح يتلفت حوله خلال الطريق ، متوقعا ان يرى الغرانيق بساقين

على انه ـ حين اقتربا من النهر ـ لمح قبل سيده سربا من الغرانيق ، وقد وقف كل منها على ساق واحدة ، كعادته حين ينام ، فأسرع يلفت نظر سيده الى المنظر ، وهو يقول : « ها أنت ذا يا سيدى ترى بعينيك اننى لم أقل غير الحق ، حين قلت أمس ان ليس للغرنوق سوى ساق واحدة !٠٠ هلا تكرمت برؤية هذا السرب ؟! » ٠٠ وأبصر « كورادو » الغرانيق، ولكنه قال : « آه ، حقا يا سيدى !٠٠ ألا انتظر لحظة ، وسوف أريك ان لكل منها ساقين ! » ٠٠ ثم لكز جواده مقتربا من الطيور ، وصاح فيها : « هش !٠٠ هش ! » ، فأزعجها صياحه ، وانزلت ساقها الأخرى ٠ وبعد ان خطت خطوة أو اثنتين ، انطلقت طائرة

إذ ذاك ، التفت « كورادو » الى طاهيه قائلا : « حسنا ، أيها الوغد الكذوب !٠٠ هل اقتنعت بأن لها ساقين ؟ » ٠٠ وطار صواب « كيكيبيو » ، فلم يدر بماذا يجيب ٠٠ بل انه لم يفطن الى معنى كلماته ، حين انطلق لسانه فجأة مجيبا : « **أجل يا سيدى ، ولكنك لم تصح فى الغرنوق الذى كان على المائدة ليلة أمس ، كما صحت الآن فى هذه الطيور ٠٠ ولو انك هششته كما فعلت الآن ، لأبرز ساقه الأخرى ، على نحو ما فعلت هذه الآن !!** »

وصادف هذا الجواب هوى فى نفس « كورادو » ، فاذا غضبه ينقلب الى ضحك . ولم يتمالك ان قال مازحا : « أصبت يا كيكيبيو !.. كان خليقا بى أن أهش الطائر بالفعل ! »

وبفضل هذا الجواب المضحك ، نجا « كيكيبيو » من نقمة مولاه ، ونال رضاه !

اليوم السابع

« البــــرميل » !

اختار « ديونيو « - عندما نصّب ملكا لليوم السابع - موضوعا يتعلق بما تبديه المرأة من دهاء وحيلة فى سبيل الحب ، وخـــداع الأزواج ، والخلاص من المآزق !

وعندما حان دور « فيلوستراتو » ، قال :

« يا أعز السيدات عندى ٠٠ ان الحيل التى تتعرض لها من الرجال ، لا سيما أزواجكن ،تفوق الحصر ٠ و من ثم فاذا حدث ان كانت بين النساء من تحذق اللجوء الى الحيلة مع الرجال ، فلا ينبغى ان تبتهجن بالسماع عنها فحسب ، وانما يجب ان تعملن بأنفسكن عـــلى نشر حيلها فى كل مكان ، ليدرك الرجال ان لديكن مثل ما لديهم من عقل وذكاء !٠٠ وهذا من شأنه ان يترك أجمل الأثر ، اذ يغرى الناس على التزام الحذر ! ٠٠ فمن ذا الذى لا يرى أن حديث اليوم كفيل بأن يكبح غـــرور الرجال أو ثقتهم ، حين يجدونكن تعاملنهم : خداعا بخداع ، ومكرا بمكـــر ؟ ٠٠ ولســـوف أروى لكن ما الذى فعلته امرأة بزوجهـــا ذات مرة ، ضمانا لسلامتها ! » :

◆ **حدث** منذ زمن غير بعيد ، ان تزوج رجل فقير - من أهـــل نابولى - من شابة حسناء تدعى « بيرونيللا » ٠ وكان الرجل من البنائين ، فاعتادت زوجته أن تغزل بعض المنســـوجات كل يوم ، لتعاونه فى الحصول على ما يكفل لهما عيشا مناسبا

وشاء القدر لشاب من الجيران ان يقع فى هوى « بيرونيللا » ، وان يستطيع - بحرارة توسلاته - ان يجعلها تستجيب فى النهاية لرغبته ٠ ولما كان الزوج يبرح داره مبكرا الى عمله فى كل صباح، فقد اتفق العاشقان على ان يكمن الشاب فى مكان يرقب منه الزوج عند خروجه ، حتى اذا اطمأن آلى رحيله ، تسلل الى المنزل ، الذى

كان يقع فى شارع منعزل ٠ وبهذه الطريقة ، تردد العاشق على دار حبيبته أكثر من مرة !

★ ★ ★

◆ **ووافاها** ذات صباح ، بعد ان رحل زوجها الطيب ٠ وفيما كان « جانيلو سترينياريو » ـ وهو اسم ذلك العاشق ـ يمارس عبثه مع معشوقته كالمعتاد ، اذا بالزوج يعود ، ولما تمض على رحيله فترة طويلة ، مع انه اعتاد ان لا يرجع قبل هبوط الليل ٠ فلما وجد الباب مغلقا بالمزلاج من الداخل ، قرعه وهو يقول لنفسه : « شكرا للسماء ، فان لى زوجة شريفة ، رغم فقرى !٠٠ فلا أكاد أبرح الدار ، حتى تبادر هى الى اتخاذ الحيطة ، حتى لا ينفذ الى البيت ـ أثناء غيابى ـ انسان ينالنا منه أذى ! »

وعرفت « بيرونيللا » طرقات زوجها على الباب ، فقالت لعشيقها : « والهفتاه يا جانيلو !٠٠ اننى هالكة لا محالة !٠٠ فقد رجع زوجى ـ عليه اللعنة ! ـ ولا أكاد أتصور لعودته سببا ، اللهم الا أن يكون قد رآك وأنت تدخل الى البيت ٠ ومهما يكن الأمر ، فانى أستحلفك بالله أن تدخل فى هذا البرميل ، بينما أذهب أنا لأفتح الباب ٠ ولسوف نرى بعد ذلك ما وراء عودته المفاجئة هذه ! »

وبادر الرجل بالدخول فى البرميل ، بينما فتحت المرأة الباب لزوجها ، وهى مقطبة عابسة ، وبادرته قائلة : « أية نزوة تلك التى حدت بك الى العودة مبكرا اليوم ؟!٠٠ بل اننى أفهم ـ اذ أرى أدواتك معك ـ انك قد اعتزمت الكف عن العمل ، فعلى أى شىء نعيش ؟٠٠ أتظننى سأدعك ترهن ثوبى ، على قلة ملابسى ؟٠٠ اننى لا اكف عن الغزل ليل نهار ، حتى كادت أناملى تبلى ، ومع ذلك فان كل هذا الجهد لا يكاد يكفى لامدادنا بزيت للمصباح !٠٠ أيها الزوج ٠٠ أيها الزوج ٠٠ ما من واحدة من الجيران الا وهى تعجب منى وتضحك ساخرة مما أنوء به من

عمل ٠٠ ومع ذلك ، فها أنت ذا تعود ويداك فى جيبيك ، وكان يجب أن تكون الآن منهمكا فى عملك ! »

وراحت تبكى وتولول ، وتندب حظها قائلة : « ما أشقانى ، وما أنحس الساعة التى ولدت فيها ، وما أتعس اليوم الذى التقيت بك فيه ! ٠٠ لقد كنت موشكة على الزواج من شاب يعرف كيف يعولنى ، ولكنى رفضت يده من أجل مخلوق مثلك لا يعرف قيمة الزوجة الصالحة ! ٠٠ **ان غيرى من النساء يعشن فى سعادة مع العشاق ، بل ان لبعضهن من العشاق اثنين أو ثلاثة ، ومع ذلك ، فلو ان الواحدة منهن قالت ان القمر مصنوع من الجبن الأخضر ، لآمن زوجها بقولها !٠٠ أما أنا ، فامرأة ساذجة ، لا أكترث لما تفعله سواى ، وبسبب وفائى هذا ألاقى اسوأ معاملة !٠٠ لست أدرى ما يدعونى الى أن لا يكون لى عشاق مثل غيرى من النساء ؟! ٠٠ ألا فاعرف اننى تلقيت عروضا من المال ، والثياب الجميلة ، والمجوهرات ، قدمها لى كثير من الشبان النبلاء ، ولكن ما من شىء من هذا استمالنى ٠ لا ، فما رأيت أمى تفعل هذا حتى أفعله !٠٠ ومع هذا كله ، ها أنت ذا تأتى الى المنزل فى وقت كان يجب أن تكون فيه منصرفا الى عملك ! »**

وعندئذ أجابها زوجها : « لا تشغلى بالك يا عزيزتى ، فلست جاهلا لفضائلك ، وخاصة بعد أن وجدت دليلا آخر عليها فى هذا الصباح ٠ ولقد خرجت بالفعل لأشتغل ، ولكن أحدا منا لم يفطن الى ان اليوم هو عيد القديس « جاليون » الذى يجب الاحتفال به ، ولهذا عدت ٠ ومع ذلك ، فقد وجدت الوسيلة الى امدادنا بالخبز لمدة شهر ، اذ بعت البرميل الذى تعرفين كيف يعوق طريقنا منذ زمن طويل ٠٠ بعته بخمسة دراهم الى رجل أحضرته معى ! »

فقالت الزوجة : « هذا يزيد الأمر سوءا، لأنك وأنت الرجل الذى يمضى فى معترك الحياة ، والذى يجب ان يفوقنى علما بقيم الأشياء ، تبيع بخمسة دراهم ما بعته أنا منذ برهة ـ وأنا المرأة

الجاهلة المسكينة رهينة البيت ! ـ بستة دراهم ، تخلصا منه ، لما يشغله من فراغ كبير في الدار !٠٠ لقد بعته لرجل طيبدخله في اللحظة التى أقبلت أنت فيها على الباب ، كى يتحقق من أنه سليم ! »

فلما سمع الزوج ذلك ، استبد به السرور ، وقال للرجل الذى جاء به : « يمكنك يا صديقي أن تنصرف لحالك ، فها أنت ذا تسمع كيف بيع البرميل بستة دراهم ، بينما رفضت أنت أن تدفع أكثر من خمسة !»

وما ان انصرف الرجل ، حتي قالت « بيرونيللا » لزوجها : « ولكن ٠٠ ما دمت أنت هنا الآن ، فتول الاتفاق مع الرجل بنفسك ! »

وكان « جانيللو » ينصت بانتباه لما يجرى بين الزوجين ، فلما سمع كلمات المرأة الأخيرة ، خرج من البرميل ، متظاهرا بانه لا يعرف شيئا عن الزوج ، وصاح : « أين أنت أيتها السيدة الصالحة ؟ » ٠٠ فتقدم الزوج وأجاب : « هأنذا ٠٠ ماذا تريد ؟» ٠٠ فتساءل جانيللا : « ومن تكون أنت ؟٠٠ اننى أريد المرأة التى باعتنى آلبرميل ! » ٠٠ واذ ذاك قال الزوج الساذج : « فى وسعك يا صاحبى أن تعقد معى الصفقة لأننى زوجها ! »

وقال جانيللو : « ان البرميل يبدو سليما ، ولكنكم ـ على ما يبدو ـ كنتم تضعون فيه مادة تركت رواسب متيبسة فى الداخل ، لم أقو على انتزاعها بأظافرى ٠ ولهذا لن أقبله الا اذا نظفتموه ! » ٠٠ فقالت بيرونيللا : « هذا لن يبطل الصفقة ، اذ أن زوجى سيتولى تنظيفه لك فى الحال ! »

فقال الزوج : «نعم ٠٠ نعم !» ٠٠ وأنزل أدواته الحديديةعن ظهره ، وخلع قميصه ، وطلب شمعة مشتعلة ومكشطا ، ثم هبط الى جوف البرميل ، حيث توافر على العمل !٠٠ وأطلت « بيرونيللا » برأسها وأدلت احدى ذراعيها فى فم البرميل الضيق ، متظاهرة بأنها تشاهد ما يفعله زوجها بداخله، وأخذت

تصيح : « اكشط هنا ٠٠ حك هنا ٠٠ ألا ترى تلك البقعة ؟٠٠ وهذه ؟ »

وبينما كانت توجهه هكذا فى مهمته ، قـرر « جانيللو » أن يعوض مافاته من متعة فى الصباح ، فأخذ يضم عشيقته ، وهى تطل من آن لآخر على زوجها لتوجهه !٠٠ وأخيرا ، خرج الزوج من البرميل ، وعندئذ قالت « بيرونيللا » لعشيقها : « خذ هذه الشمعة ، أيها الرجل الطيب ، وانظر ما اذا كان البرميل قـد نظف كما تحب ! »

فألقى العشيق نظرة على البرميل ، ثم قال انه راض عنه كل الرضى ٠ ودفع الثمن، ثم أمر بنقل البرميل الى منزله!٠٠وهكذا نجا العاشقان بفضل ٠٠ برميل !!



كيد ٠٠ وأى كيد ؟!

تحول الملك الى « لوريتا » عندما حان دورها ، فشرعت تقول دون تلكؤ :

« اواه ، أيها الحب ! ٠٠ ما أعظم تأثيرك الطاغى ! ٠٠ وما أكثر تباين وسائلك وحيلك ! ٠٠ أى فنان ، بل أى فيلسوف يستطيع أن يبتكر مثل تلك الحيل والمخارج التى تعلمها فى لحظة لأولئك الذين يسلكون دروبك ؟! ٠٠ كل وسائل التعليم الأخرى بطيئة اذا هى قورنت بأساليبك ٠٠ كما رأينا فيما سبق من قصص سأضيف اليها - يا سيداتى الكريمات - حيلة امرأة ساذجة ، أقدمت على تصرف لا يملى مثله سوى الحب ! » :

◆ **كان** يعيش فى (اريتسو) يوما ، رجل غنى يدعى « توفانو » ، حظى بزوجة رائعة الجمال ، تدعى « مونا جيتا » ٠ ولكنه لم يلبث أن أصبح شديد الغيرة عليها فجأة ، ولغير مبرر ، الأمر الذى كدر خاطرها أشد الكدر ، فمضت تسأله ، وتلح فى السؤال ، عن دواعى هذا الشك ٠٠ حتى اذا عجز عن ابداء سبب معين واحد ، وأعياه تحديد ما يدعو الى غيرته ، عولت على أن تنغص عليه عيشه ، متوسلة فى ذلك بنفس الذنب الذى كان خليقا بأن يثير الشك والغيرة ، والذى لم يخطر قط ببالها من قبل !

وكانت قد لاحظت أن ثمة شابا من علية القوم ، يوليها اهتماما خاصا ، فعمدت الى تشجيعه ، حتى لم يبق أمامهما سوى أن تسنح الفرصة المناسبة لتنفيذ خطتهما ٠ ولما كانت « مونا جيتا » قد لمست بين خصال زوجها القبيحة ، سرعة انتشائه بالخمر ، وشدة ابتهاجه باحتسائها ، فانها لم تكتف بأن شجعته على الاقبال عليها ، وانما راحت تغريه على الافراط فيها ! ٠٠ وبلغ من رضاء الزوج عن مسلكها هذا ، ان انساق

لها ، بحيث أصبح فى وسعها أن تحمله على تناول الخمر متى راق لها ، ثم تحمله ـ بعد ذلك ـ الى فراشه حملا !

وهكذا سنحت لها أول فرصة للاجتماع بعشيقها • ثم أخذا يلتقيان دائما ، بنفس الطريقة ، وقد اعتمدت الزوجة كل الاعتماد على ما لزوجها من ميل الى احتساء الخمر • ثم أخذت تبالغ فى هذا الاعتماد ، حتى انها لم تعد تقنع باحضار عشيقها الى المنزل ، بل كانت تذهب كذلك الى مسكنه ـ الذى لم يكن جد بعيد عن دارها ـ فتقضى الشطر الأكبر من الليل فى رفقته !

واستمر ثلاثتهم ـ الزوج ، والزوجة ، والعشيق ـ يعيشون على هذا المنوال ، الى أن بدأ الزوج يلاحظ أن زوجته كانت تشجعه على الاسراف فى تناول الخمر ، وهى لا تكاد تتذوقها • ومن هنا بدأ يرتاب فى أنها انما تحمله على الشراب بغية تحقيق أغراض خاصة لها ، خلال نومه • ولكى يتأكد مما ساوره من ريب ، تظاهر ذات مرة بأنه فاق فى العربدة كل مخلوق • فلما رأت الزوجة منه ذلك ، ظنت أنه تناول من الخمر قدرا كافيا لأن يشمله ، وانه لن يلبث أن ينام دون أن يقوى على تناول المزيد !

وما أن رأت عربدته تتحول الى اضطراب واسترخاء ، حتى حملته الى سريره ، فأسلمته اليه ، ثم أسرعت كعادتها الى منزل عشيقها ، فظلت هناك حتى منتصف الليل

★ ★ ★

• **وكان** « توفانو » فى تلك الأثناء قد نضا عنه تظاهره ، حتى اذا تبين ان زوجته لم تأو الى الفراش ، نهض فأغلق الباب بالمزلاج ، ثم جلس الى النافذة يرتقب عودتها ، ليشعرها بأنه قد اكتشف ما كانت تفعله ! •• وظل فى مربضه حتى عادت الزوجة أخيراً ، فلما وجدت الباب مغلقا من الداخل بالمزلاج ،

عصف بها القلق ، وحاولت أن تفتحه عنوة ، ولكن محاولاتها المتكررة لم تفلح ٠ ومكث « توفانو » صابرا بعض الوقت ، ثم قال لها : « **انك تتعبين نفسك بلا طائل - أيتها الزوجة - لأنك لن تدخلى هذا البيت ثانية ، فعودى الى حيث كنت تقضين وقتك ! ٠٠ انك لن تجتازى عتبة هذا الباب مرة أخرى ، قبل ان أريك - أمام أقاربك وجيرانك أجمعين - ما تفتقر اليه أساليبك من ادراك ودقة تدبير !** »

وراحت المرأة تتوسل اليه بحق السماء أن يفتح الباب ، مؤكدة له أنها لم تكن حيث توهم ، وانما حملها طول الليالى ، وعجزها عن النوم ، وضيقها بالوحدة ، على أن تذهب لزيارة امرأة من الجيران !

بيد أن محاولاتها ذهبت أدراج الرياح ، لأن الرجل كان قد عقد العزم على أن يشهد أهل المدينة كلها على العار الذى تجلبه عليهم زوجته بمسلكها ، وقدر أن أحدا لن يعرف شيئا من ذلك الأمر ، لو انه سمح لها بدخول الدار ! ٠٠ ولما وجدت أن توسلاتها لا تجدى ، عمدت الى التهديد والوعيد فقالت : « اما أن تفتح لى الباب أو أجعلك أتعس رجل ولدته أمه ! » ٠٠ فسألها توفانو : « وبأية وسيلة تفعلين هذا ؟ » ٠٠ فاسترسلت تقول وقد أرهف الحب ذكاءها :

- قبل أن أقاسي مثل هذا العار الذى ترمى الى أن تصمني به ظلما وعدوانا ، سألقي بنفسى فى هذه البئر ، حتى اذا عثروا على بعد ذلك ، استنتج كل انسان أنك أنت الذى فعلت بى ذلك ، فى احدى نوباتك المخمورة ، ولا محيص بعد ذلك من أن تضطر الى الهروب من بلدك ، مخلفا وراءك كل ممتلكاتك ، والا قضى عليك بالاعدام لقتلك زوجتك !!

ولما لم يؤثر فيه ذلك الوعيد ، قالت : « انني لا أستطيع أن أحتمل احتقارك لى أكثر من هذا ، فليغفر الله لك أنك كنت سببا فى موتى ! »

وكان الليل حالك الظلام بحيث لم يكن فى وسع أحدهما أن يرى الآخر دون عناء ، فجرت الزوجة نحو البئر ، ثم تناولت حجرا كبيرا كان ملقى بجانبها ، وصرخت بأعلى صوتها : « رب اغفر لى هذه الفعلة ! » .. ثم ألقت الحجر فى البئر !

وأحدث الحجر ضجة شديدة ، ما ان تناهت الى سمع « توفانو » ، حتى ظن أن زوجته ألقت بنفسها بالفعل فى البئر ، فتناول الحبل والدلو ثم جرى الى الخارج لينقذ زوجته .

وكانت « مونا جيتا » قد توارت بجوار الباب ، فلما رأته يتجه نحو البئر ، تسللت الى المنزل على عجل ، وأحكمت اغلاق الباب ، ثم وقفت في النافذة ، وراحت تخاطب زوجهاساخرة : « ما هذا يا زوجي ؟ .. انما ينبغى أن تستخدم الماء أثناء الشراب ، لا بعد أن تسكر ؟! »

فلما سمعها « توفانو » تهزأ به ، وتضحك منه ، عاد ليجد الباب موصدا فى وجهه بالمزلاج ، فأخذ يتوسل اليها كى تفتح له ، غير أنها غيرت نغمتها وأخذت تصيح فيه بأعلى صوتها : « أيها السكير العربيد المشاغب ! .. أقسم أنك لن تدخل الليلة : فقد بت لا أحتمل أفعالك الشريرة ، ولسوف أشهد العالم كله أى انسان أنت ، والى أية ساعة تستمر فى عبثك ! »

وأثار ذلك ثائرة « توفانو » ، فراح يسبها بكل بذىء فى اللغة ، وهو يقيم عاصفة هوجاء .. فما لبث الجيران أن نهضوا من مضاجعهم على تلك الثورة العاتية ، واتجهوا الى نوافذهم يتساءلون عما جرى ، فأخذت الزوجة تقول معولة : « **ان هذا الشرير يعود مخمورا فى كل ساعة من ساعات الليل .. وقد تحملته طويلا ، وعبثا حاولت أن أنصحه واهديه سواء السبيل .. لذلك لم يعد أمامى سوى أن أجرب آخر وسيلة ، فأفضح أمره - بأن أغلق الباب فى وجهه - عسى أن يرتدع ! »**

وأخذ « توفانو » - ازاء هذا - يروى لهم حقيقة ما جرى ، ويهدد زوجته بكل شدة وعنف ، فقالت تخاطب الجيران : « ها أنتم أولاء ترون أى صنف من الرجال هو ! بالله ماذا كنتم تقولون لو أننى كنت فى الشارع بدلا منه ، وكان هو الذى فى الداخل مكانى ؟ ٠٠ أما كنتم تظنونه على حق فيما يدعى ؟ ٠٠ اننى أضرع اليكم أن تشهدوا كم هو لئيم ، يزعم اننى فعلت ما قد فعله هو ، ظنا منه أنه أفزعنى عندما ألقى بشىء لا أدريه فى هذه البئر ، وليته كان قد ألقى بنفسه حقيقة ، ليعب من ماء البئر ، بنفس اللهفة التى يحتسى بها الخمر ! »

وانضم اليها الجيران جميعا ، فأنحوا على « توفانو » باللوم والتقريع ، وأجمعوا على ادانته ، ثم وجهوا اليه كلمات قارصة عديدة من أجل اساءته الى زوجته ! ٠٠ وشاع الحادث فى المدينة بسرعة ، حتى سمع به أقاربها، فجاءوا كتلة واحدة يستفسرون من الجيران عن جلية ما جرى ، ثم تكاثروا على « توفانو » فأوسعوه ضربا ، وذهبوا الى المنزل فحملوا معهم السيدة وكل ما تملك ، متوعدين الزوج بمزيد من العقاب !

واذ تبين « توفانو » ما كان لغيرته من آثار سيئة ، وكان لا يزال متعلقا بزوجته ، فقد طلب الى بعض الأصدقاء أن يتوسطوا لديها فى أن ترجع الى بيته مرة أخرى ، واعدا بأن لا يرتد الى غيرته بعد اليوم ، وبأن يتركها تفعل فى المستقبل ما تشاء ، على أن تخفى عنه ما تفعله!! ٠٠ وبهذا الثمن الباهظ، اشترى « الجلف » الساذج صلحه مع زوجته ، بعد كل الايذاء الذى لاقاه ! ٠٠ فازدهر يا حب ، ولتهلك الغيرة وأعوانها !

شجرة الكمثرى .. الساحرة !

عندما جاء دور «بامفيلو» ، قال :

« اعتقد أن ليس فى الدنيا خطر أو صعب ، لا يقدم العاشق على ركوبه فى سبيل هواه !.. وهو ما شهدناه فى عديد من القصص السابقة . ولكنى أرى أن هذه الحقيقة ستزداد وضوحا بهذه القصة التى سأرويها لكم ، والتى تدور حول سيدة أوتيت من الحظ أكثر مما وهبت من العقل . على اننى لا أنصح أحدا بأن ينهج نهجها ، لأن الحظ لا يواتى كل امرىء بهذا القدر ، ولأن كل الرجال ليسوا من العمى بالدرجة التى كان عليها زوجها » :

◆ كان يعيش فى (أرجوس) ـ احدى مدن «اكايا» القديمة التى اشتهرت بملوكها أكثر مما اشتهرت بأغنيائها ! ـ سيد نبيل يدعى « نيكوستراتوس » ، حاباه الحظ فى شيخوخته ، بزوجة كان حظها الوفير من الذكاء لا يقل عن نصيبها من الجمال ، وتدعى « ليديا » . وكان قد أصبح مالكا لضيعة مترامية الاطراف ، وسيدا لعدد كبير من الخدم ، كما كان يقتنى الكثير من الكلاب والصقور ، ويشغف بكل ما يتيحه الريف من أسباب اللهو

وكان بين خدمه شاب جميل يدعى « بيروس » ، على جانب موفور من الأخلاق الكريمة ، اصطفاه سيده دون بقية زملائه ، ليضع فيه ثقته . فما لبثت الزوجة أن أحبته ، وراح هواه يترعرع في فؤادها ، حتى أصبحت لا تعرف السعادة الا فى صحبته ! .. وسواء فطن الشاب الى هذا الحب ، أو انه شاء أن يتغافل عنه ، فانه لم يبد أى تجاوب له على الاطلاق ، مما أثر فى نفسها ، فعولت على أن تشعره بعواطفها ، ولذا دعت احدى خادماتها الأثيرات عندها ـ وتدعى « لوسكا » ـ وقالت لها :

ـ ان ما أغدقه عليك يا لوسكا من أفضال خليق بأن يجعلك

طيعة وأمينة معا ، ولهذا فحذار أن تفشى ما أفضى به اليك ، الا الى الشخص المقصود بالذات ! ٠٠ ها أنت ذى ترين أننى شابة جبلت على المرح ، موفورة الصحة والعافية ، وأملك من الثروة ما يهيىء لى الحصول على كل ما تحتاج اليه امرأة ! ٠٠ وبالايجاز ، هناك شىء واحد يحزننى ، وهو أن زوجى بلغ من العمر عتيا ، مما يحرمنى تلك الملذات التى من حقى أن أنعم بها ٠ ولما كان الأمر كذلك ، فقد اتجه رأيى منذ زمن بعيد الى أنه لا ينبغى أن أكون عدوة لنفسى !٠٠ واذا كان القدر قد قسا على بحيث منحنى زوجا فى خريف العمر ، فان من حقى أن أسعى للحصول على بعض العزاء ٠ ولكى أوفق فى هذا توفيقى فى غيره من الأمور ، فاننى ركزت اهتمامى فى « بيروس » ، باعتباره أجدر انسان بحبى ٠ والحق أننى لا أحس الراحة الا فى صحبته ، ولن أقوى على العيش بعد ذلك ، ما لم تتحقق أمنيتى فى التمتع برفقته ٠ فاذا كانت لى مكانة فى نفسك، فدعيه يعرف مقدار حبى له بأحسن أسلوب تستطيعينه ، وسليه باسمى أن يتفضل بمقابلتى هنا !

ووعدتها الفتاة بأن تساعدها ٠ ثم انتهزت أول فرصة لتنتحى ببيروس جانبا ، وتفضى اليه برسالة سيدتها ٠ وعجب الشاب لذلك أيما عجب ، اذ لم تكن تراوده أية فكرة عن مثل هذا الحب ٠ وخشى أن يكون المقصود من ذلك هو مجرد اختبار أمانته ، ولذا أجاب بغلظة : « لا يمكن يا لوسكا أن أتصور أن يقع ذلك من مولاتى ، فحذار مما تقولين ! واذا كان هذا ما قالته فعلا ، فمن المستحيل أن تكون قد أمرتك بافشاء سرها ! ٠٠ وحتى لو سلمت بذلك ، فان ما أكنه من اجلال لمولاى لا يدعنى أتطوع بانزال مثل هذا الاذى به ٠ ولهذا أمنعك من أن تسمعينى مزيدا عن هذا الأمر ! » ٠٠ فأجابته « لوسكا » دون أن ترتبك حياء من لهجته الجادة : « اننى يا بيروس سأردد دائما ما تأمرنى به سيدتى أن أقوله ، سواء أغضبك أم لم يغضبك ! ٠٠ أما أنت

فلست أكثر من حيوان لا قلب له !! »

ثم رجعت - وقد فاض وعاؤها بالغضب - الى حيث كانت سيدتها فى انتظارها ، فكادت هذه تصعق لدى سماعها ما جرى!

* * *

وبعد بضعة أيام عادت السيدة تقول لخادمتها : « أنت تعرفين يا لوسكا أن ضربة واحدة لا يمكن أبدا أن تسقط شجرة البلوط ، فاذهبى اذن مرة ثانية الى هذا الذى يدعى الوفاء على حسابى ، وابلغيه حبى له بطريقة تؤثر فيه ، فهو قد يقضى على حياتى، اذا ظل على عدم اكتراثه هذا ، فضلا عن أنه ربما يتوهم نفسه موضعا لخدعة أو دعابة ، فيعمد الى وسيلة خبيثة ينتقم بها لنفسه ! »

فطمأنتها الفتاة ، ومضت الى « بيروس » مرة أخرى . ولما وجدته بادى الانشراح ، قالت له : « لقد أخبرتك منذ أيام بما تكنه لك سيدتى من تقدير ، والآن جئت أؤكد لك أنك لو ظللت متمسكا بنفس قرارك ، فلن تطيق سيدتى الحياة . ولذا يجب أن تأخذ بما قلته لك ، والا عددتك أكبر مغفل فى العالم بأسره . يا له من شرف أن تظفر بحب مثل هذه السيدة ! .. ألا تأمل ما يحبوك به القدر ، اذ يهبك امرأة غاية فى الجمال ، تجنبك شر الحاجات! من ذا الذى يصبح أسعد منك اذا أنت غلبت عقلك و بصيرتك ؟ .. تصور ان كل ما قد يهفو اليه قلب طموح ، سوف تظفر به أنت !.. افتح عقلك اذن لكلماتى ، واذكر أن القدر من عادته أن يقبل علينا مرة واحدة فى العمر ، وهو مشرق الاسارير ، محمل بالنعم العديدة ، فاذا نحن أوليناه ظهورنا فى هذه المرة ، حق علينا أن نحمد الله اذا اقتصر الشر على أن نقضى بقية العمر فى بؤس وشقاء ! انك تتحدث عن الشرف والوفاء ، وهى دعوى لها قدرها بين الاصدقاء وحدهم ، أما بالنسبة للخدم فان عليهم - فى مثل هذه الظروف - أن يأتمروا بما يريدهم سادتهم ان يفعلوه ! .. **ثم هل تتصور - لو**

كانت لك زوجة أو ابنة أو أخت أغرم بها مولانا هذا - انه كان يتشبث بمثل هذه المصطلحات البراقة عن الواجب والوفاء ، كما تتشبث أنت الآن ، مع زوجته ؟! .. لا يمكن مطلقا أن تبلغ به الحماقة هذا الحد ، بل ينبغي أن تعتقد أنه سوف يعمد الى القوة ، اذا لم ينله الاغراء غايته . فلنعاملهم اذن بمثل مايعاملوننا به ، ولتستغل اذن ما يهيئه القدر لصالحك . وثق أنك اذا رفضت ، فسوف تندم حتى آخر يوم في حياتك .. هذا اذا غضضنا النظر عن موت السيدة كمدا وحسرة ! »

وكان « بيروس » قد انتهى - بعد تفكير طويل فيما قالته من قبل - الى أن يجيب اجابة مغايرة ، لو أنها جاءته مرة أخرى ، فلم يعد يستنكر هذه الدعوة ، بل رأى أن يستوثق أولا من أن السيدة جادة فى حبها ، فأجاب : « أعترف لك يا لوسكا بأن هذا حق ، ولكن مولاى بعيد النظر ، وقد عهد الى بتدبير كافة شئونه ، ولهذا أخشى أن تكون سيدتى قد فعلت هذا لتسبر غورى وتختبر أمانتى فقط . ولذا أحب أن تفعل أشياء ثلاثة ، كى تبدد كل شك يساورنى ، فان هى نفذت ما أطلبه ، كنت فى خدمتها بكليتى : **أولها ، أن تقتل أحب صقور مولاى اليه أمام عينيه ، وثانيها ، أن ترسل لى خصلة من لحيته ، وثالثها ، أن ترسل لى سنا من أسلم وأحسن أسنانه » !**

* * *

• **وخيل** للوسكا أن هذه الشروط غاية فى الصعوبة ، ولكنها بدت لسيدتها أصعب بكثير . على أن الحب الذى يعتبر خير من يمدنا بالعزاء ، ويزودنا بأحسن الآراء ، جعلها تبت فى الامر فى الحال . فوعدته - عن طريق نفس الرسول - بأنها ستحقق رغباته الثلاث بحذافيرها ، بل أكثر منها . اذ قالت انه ما دام مغرورا فى حكمة سيده ، فانها تتكفل بأن يؤكدا حبهما المتبادل بأجلى صورة في حضرة ذلك السيد ، بشكل

يجعله يكذب ما تشهد به حواسه نفسها !

وأخذ « بيروس » ينتظر ليرى أى طريق قررت أن تسلكه .. فلم تمض أيام قلائل ، حتى أولم « نيكوستراتوس » وليمة كبيرة للترفيه عن أصدقائه ، كعادته دائما بين وقت وآخر . ولم تكد الوليمة تنفض ، حتى دخلت الزوجة الى الردهة فى أبهى زينة ، وقد ارتدت ثوبا من الحرير الأخضر ، ثم مضت – فى حضرة زوجها وجميع ثلته – الى حيث يقبع الصقر ، فأطلقته من وثاقه ، كما لو كانت تهم بأن تتناوله فى يدها . ثم أمسكت به ودقت رأسه فى الحائط !

وصاح نيكوستراتوس : «وا أسفاه! ماذا فعلت يا عزيزتى؟» .. ولكنها لم تأبه لصياحه ، بل استدارت الى السادة الحاضرين تقول : « **ما كنت لأنتقم لنفسي من ملك يتعمد أن ينزل بي الضر ، اذا أعوزتنى الشجاعة الكافية لأن أقتص من صقر عديم القيمة ! لتعلموا أن هذا الطائر قد حرمنى كل ما تأمله الزوجات من أزواجهن من نعيم ، فان زوجي يستيقظ فى الفجر ثم يمتطى جواده جريا وراء هوايته الاثيرة عنده ، فى حين أنني أظل فى فراشي وحيدة ، منبوذة ! .. ولهذا السبب قررت منذ أمد بعيد ، أن أقدم على هذه الفعلة ، ولكننى كنت أنتظر الفرصة السانحة لتوفر مثل هذا العدد الكبير من القضاة المنصفين ، كما أتوسم فيكم !** »

وظن السادة الحاضرون أن ليس لدى « نيكوستراتوس » أسباب أخرى تدعوه الى التشاحن مع زوجته ، فضحكوا من قلوبهم ، ثم استداروا الى الزوج الذى تبدت عليه امارات الانزعاج الشديد ، وقالوا : « لقد أحسنت بالانتقام لنفسها من هذا الصقر ! »

وبعد قليل من الدعابة ، انسحبت الزوجة ، واذ ذاك تبدل كدر الزوج ، واستحال الى نوبة من الضحك . ولما شاهد «بيروس»

ذلك ، قال فى نفسه : « يا لها من بداية طيبة ، فلتمكنها السماء من المثابرة ! »

* * *

◆ ولم تنقض فترة طويلة ـ بعد قتل الصقر على هذه الصورة ـ حتى ساق القدر مصادفة هيأت للسيدة أن تنفذ ثانى شروط « بيروس » ، اذ بينما كانت تلاعب زوجها فى مخدعها ، أخذ الزوج يجذب شعرها فى رفق، مداعبا، فاستغلت الفرصة ، وأمسكت بخصلة صغيرة من لحيته ٠ وفيما كانت تضحك فى دلال ، جذبت الخصلة بشدة ففصلتها عن ذقنه ! ٠٠ واستاء الزوج لذلك أشد الاستياء ، حتى هم بأن يتشاجر معها ، لولا أن قالت له : « يحق لك الآن أن تعبس وتتجهم لمجرد انتزاع شعيرات من لحيتك ، لأنك لم تشعر بما قاسيته أنا من ألم شديد عندما جذبتنى من شعرى منذ قليل ! »

وبين كلمة وأخرى ـ من الكلمات التى تبادلاها فى مهاتراتهما ـ استطاعت أن تتحايل على اخفاء تلك الخصلة من لحية زوجها ، ريثما تمكنت من ارسالها فى اليوم ذاته الى محبوبها ! ٠٠ على أن الشرط الباقى ـ والأخير ـ أسلمها الى حيرة شديدة ٠٠ ولكن الهوى كان قد شحذ ذكاءها وأرهفه ، فسرعان ما اهتدت الى خطة تمكنها من غايتها ٠ اذ كان لنيكوستراتوس فى الدار وصيفان أسلمه اياهما والداهما ـ وكانا من علية القوم ـ ليربيهما أفضل تربية ، ويبصرهما بآداب المجتمع ٠ وكان احدهما يضطلع بتقطيع اللحم له أثناء الطعام ، فى حين كان الآخر يتولى صب الخمر فى كأسه ٠٠ فعمدت السيدة الى الايحاء لهما بما ألقى فى روعهما أن لأنفاسهما رائحة كريهة ، ونصحتهما بأن يديرا رأسيهما جانبا ، كلما قاما على خدمته ، وحذرتهما من أن يفاتحا أحدا ـ أيا كان ـ بهذا الامر ، حتى لا يعيرهما أو يعرض بهما ، فصدقها الوصيفان ، وفعلا كما نصحتهما !

وبعد أيام ، قالت السيدة لزوجها : « ألا تلاحظ مسلك وصيفيك وهما يقومان على خدمتك ؟ » . فأجابها : « أجل ، لاحظته ، وكثيرا ما فكرت فى أن أسألهما عنه ايضاحا » .. وعند ذاك قالت : « اذن فوفر على نفسك العناء ، لأن بوسعى أن أصارحك بما كتمته عنك طويلا ، خشية ازعاجك وتكدير خاطرك . على أننى لم أعد أملك ان أكتم الأمر عنك ، بعد أن لاحظه غيرى . فالواقع ان لأنفاسك رائحة نتنة لا أدرى لها سببا ، اذ انها لم تكن من قبل كذلك . وان بقاءها على ما هى عليه لأمر محرج ، وممض ، لأنك تجتمع بكثير من علية القوم، ولهذا سأجتهد فى تخليصك من هذا العيب بوسيلة أوبأخرى!» .. فقال نيكوستراتوس : « والام يرجع هذا ؟ .. هل من المحتمل ان تكون فى فمى سن تالفة ؟ » . فأجابت : « ربما كان الأمر كذلك ! »

واستدرجته الى النافذة ، فجعلته يفتح فمه . وبعد أن تفرست فيه بعناية ، قالت : « اواه يا عزيزى ! .. كيف صبرت على هذا طوال هذه المدة ؟ .. ها هى ذى سن لا تبدو نخرة فحسب ، وانما هى تالفة كل التلف ، ولو أنك أبقيت عليها فى فمك بعد ذلك ، فسوف تنقل عدواها الى كل الأسنان التى بهذا الجانب . لذلك أنصحك بخلعها قبل ان تسوء الحال ! » .. فقال الزوج الساذج : « اذا كان هذا رأيك، فانى أقرك عليه ، فارسلى فورا فى طلب طبيب يخلعها ! » .. ولكن السيدة قالت : « لا تحدثنى عن الأطباء ، فأنا لا أوافق على الاستعانة بهم . ثم ان هذه السن تبدو فى مكان يمكننى من ان أخلعها بيدى ! .. لقد بلغ الأطباء من الوحشية فى مثل هذه الأمور ، ما يجعل قلبى يشفق من تركك بين أيديهم ، لذلك سأحاول أن أتولى ذلك بنفسى ! .. واذا شعرت بألم شديد ، فسأخفف من قبضتى ، وهو ما لا يفعله أولئك الأطباء ! »

وجاءت بأداة لهذا الغرض ، وصرفت جميع من كانوا فى

الحجرة ـ عدا « لوسكا » ـ ثم أغلقت الباب ، وحملت زوجها على ان يستلقى على منضدة ، واختارت سنا من أسنانه · وبينما كانت الخادم تشد وثاقه ، راحت تذيقه ما لا يحتمل من الألم ، ثم خلعت السن أخيرا بكل عنف ، وأسرعت تخفيها خلسة ، وتقدم سنا أخرى كانت قد أخفتها فى قبضتها من قبل ، ثم قالت للرجل المسكين الذى كان شبه ميت : « ألا تأمل ما ظل فى فمك زمنا طويلا ! »

وفى غمرة العذاب الأليم الذى جعله يئن ، صدق ما قالته ، وشعر بارتياح كما لو كان قد شفى حقيقة ، بعد ان خلعت له السن · وما لبث ان تناول بعض المسكنات ، فخف عنه الألم ، وغادر الحجرة · وسرعان ما أرسلت السيدة السن الى عشيقها ، الذى اقتنع اذ ذاك بحبها ، وأبدى استعداده لتنفيذ كل أوامرها · ولكنها شاءت أن تمده بضمان جديد ، وهى تشعر ان كل ساعة تمر دون أن تجمعهما ، أطول من دهر كامل · ومن ثم تظاهرت بأنها أصيبت بمرض شديد · وذهب زوجها الى مخدعها يعودها ، ذات مساء ، وفى رفقته «بيروس» ، فأبدت رغبتها فى أن تهبط الى الحديقة لتسرى عن نفسها وطأة المرض · وكان لابد لتنفيذ رغبتها ، من ان تعتمد على اثنين يسندانها من الجانبين ، فأمسك « نيكوستراتوس » باحدى ذراعيها ، وأمسك « بيروس » بالأخرى ، وقاداها الى الحديقة ، حيث أجلساها فوق رقعة من الأرض تكسوها الحشائش ، وتقوم فيها شجرة من أشجار الكمثرى البديعة ··

★ ★ ★

◆ **وكانت** السيدة قد أوحت الى « بيروس» من قبل بخطتها ، فما ان جلس «نيكوستراتوس» الى جانبها ، حتى قالت لبيروس : « اننى أشعر برغبة شديدة الى الكمثرى ، فهل لك أن تتسلق الشجرة ، فتأتينى ببعض ثمار منها ! » ·· وبادر « بيروس »

الى تسلق الشجرة · وأخذ يقتطف بعض الثمار ويلقيها الى السيدة · وفجأة صاح : « **آه يا سيدى ، ما الذى تقصد اليه ؟ ·· وأنت يا سيدتى ، ألا تخجلين من أن تسمحي بهذا ؟ ·· أتظنانى أعمى ؟ ·· لقد كنت يا سيدتى فى أشد حالات المرض منذ برهة ، فمن أين لك بالقدرة على ما تفعلين ؟! ·· أتراك شفيت بمثل هذه السرعة العجيبة ؟ ·· اذا كان الحب قد استبد بكما الى هذا الحد ، فما أكثر الحجرات الخاصة لديكما ! ·· ما أجدركما بأن تنعما بلذتكما فيها ، بدلا من ان تمارساها علنا أمام عينى !** »

والتفتت السيدة الى زوجها قائلة : « علام يتحدث بيروس ؟ ·· انه يحلم بلا شك ! » ·· فصاح بيروس : « لا يا سيدتى ·· لست أحلم ·· أتظنان انى لا أستطيع أن أراكما ؟! » ·· ودهش «نيكوستراتوس» من أمر الخادم ، فصاح به : «انك ولا شك تهذى يا بيروس ! » ·· ولكن الشاب أجاب : « لا يا سيدى ·· ولا أنتما تهذيان ·· لو دب فى شجرة الكمثرى ما يدب فيكما الآن من انفعال عاطفى ، لتعرت أغصانها فى الحال ! » ·· فقالت السيدة : « ما معنى هذا ؟·· لو اننى فى كامل صحتى لصعدت الى الشجرة بنفسى ، لأشهد العجائب التى يزعم بيروس انه يراها من فوقها ! »

وعاد « بيروس » الى ترديد ما كان يقوله ، حتى رغب اليه « نيكوستراتوس » فى أن يهبط ، ثم سأله عما رأت عيناه ، فأجاب : « لعلكما تحسبانني أبله ، أو معتوها · أما وأنتما تجبراننى على الكلام ، فاسمحا لى بأن أصارحكما بأننى رأيت سيدتى وسيدى متلاصقين · ورأيت السيد ـ وأنا أهبط ـ يتحول ليجلس فى المكان الذى يقتعده الآن ! » ·· فقال نيكوستراتوس : « لقد اختبل عقل الرجل ولابد ، لأن أحدا منا لم يتحرك من مكانه الذى اتخذه منذ البداية ! »

على ان بيروس عاد يقول : « أؤكد لكما اننى رأيت المنظر

الذى وصفته ! » ٠٠ فاستبدت الدهشة بنيكوستراتوس وقال: « **اذا كان من يتسلق الشجرة يرى مثل هذه العجائب ، فلا بد انها مسحورة ٠٠ ولا بد ان أتسلقها لأتبين بنفسى !!** »

٠٠ وأسرع يتسلق الشجرة ٠ فما ان بلغ قمتها ، حتى أقبل « بيروس » والسيدة على مجونهما ، دون أن يضيعا وقتا ٠ وشاهد « نيكوستراتوس » من عل ما كانا يفعلان،فصاح بأعلى صوته : « ما الذى تفعلينه أيتها المرأة الخليعة ؟٠٠ ومع من ؟ ٠٠ مع بيروس الذى أوليته كل ثقتى ؟! » ٠٠ وتهيأ للنزول ، فواتاه صوت السيدة وعشيقها وهما يردان عليه : « اننا نجلس هنا ، لم نبارح مكانينا ! »

وفيما كان يهبط عن الشجرة ، عاد العشيقان الى مجلسيهما اللذين كانا فيهما من قبل ٠ وراح الزوج يؤنبهما فى عنف ،رغم أنه وجدهما بعيدين عما يريب ، بينما أخذ « بيروس » يقول : « **الآن فقط اقتنعت يا سيدى بأننى كنت واهما فيما رأيت من فوق الشجرة ٠٠ تماما كما صور لك الوهم ! ٠٠ اننى لا أجرؤ على ان أقول انك أخطأت ، ولكن كل ما أرجوه منك ، هو أن تراجع نفسك وتسألها : أيمكن ان تفكر زوجتك ـ وهى أعف النساء وأوفرهن عقلا ! ـ في أن تحاول الاقدام على مثل هذه الفعلة ٠٠ وعلى مرمى بصرك ؟! ٠٠ أما أنا ، فأوثر أن تمزق ضلوعى ، واحدا بعد الآخر ، قبل أن يساورنى هذا الأمر فى نطاق الفكر ، فما بالك بارتكابه فى حضرتك ؟ ٠٠ لابد اذن من ان الذنب في هذا المنظر الزائف يرجع الى الشجرة ذاتها ! ٠٠ وما كان العالم كله ليزحزحنى عن يقيني بأننى شاهدتك وسيدتى معا على تلك الحال التى خلتنا عليها ، لولا قولك الآن اننا تراءينا لك على هذه الصورة ذاتها !** »

واذ ذاك ، قالت الزوجة بصوت يفيض دفئا : « أتحسب اننى ـ مهما يبلغ بى الانحلال الخلقى ! ـ أكون من الحماقة والسفه ، بحيث أرتكب هذه الأمور أمام عينيك ؟ ٠٠ كلا ،كلا

٠٠ لو شئت ان أفعل مثل ذلك لفعلته فى حجرة خفية ، دون ان أدع لك سبيلا للعلم به ! »

وأخيرا ٠٠ صدق « نيكوستراتوس » ما قالاه ، فهدأت ثائرته هونا ما ، وراح يتحدث عن طرافة الحادث وغرابته ، بينما تظاهرت السيدة بالقلق لسوء الظن الذى استقر فى نفسه من ناحيتها ، فقالت : « يجب ان لا تكون هذه الشجرة سببا فى فضيحة أخرى تقع لى أو لأية امرأة أخرى ! ٠٠ اجر يا بيروس واحضر فأسا ، وانتقم لنا بقطع هذه الشجرة ، وان كنت أفضل ان تنزل هذه الفأس على رأس زوجى الضعيف، عقابا له على تصديق عينيه فيما لا يقره ذوق ولا يقبله عقل ! »

وفى الحال ، أحضر بيروس فأسا قطع بها الشجرة ٠وعندئذ قالت لنيكوستراتوس : « لقد تبدد غضبى الآن ، اذ رأيت خصيمة شرفى تجتث على هذه الصورة ! » ٠٠ فطلب اليها أن تصفح عنه ، ففعلت عن طيب خاطر ، ولكنها حذرته من أن يداخله مثل هذا الظن الآثم من ناحيتها فى المستقبل، وهى التى تحبه أكثر من حبها لحياتها !

وهكذا عاد الزوج المخدوع الى الدار ، مع زوجته و «بيروس» ٠ وفى تلك الدار ، كثيرا ما تهيأت للعاشقين فرص اللقاء ، فى جو ممتع يفوق الجو الذى اجتمعا فيه تحت شجرة الكمثرى !

الذنب .. ذنب الظلام !

طلبت الملكة قصة من « بامفيلو » ، فشرع هذا يمهد لها بقوله : « لقد خطرت ببالى ، أيتها السيدات الجليلات ، قصة تبين كيف ان حضور ذهن سيدة عاقلة حال دون وقوع فضيحة شنيعة .. وسأرويها لكن فيما يلى » :

• **كان** يعيش فى سهل (منيون) ـ منذ زمن غير بعيد ـ رجل طيب ، أمين ، يملك فندقا صغيرا أعده لراحة المسافرين والترفيه عنهم ، فكان يقدم لهم فيه اللحوم والشراب ، مقابل ما يقدمون له من مال . ولكنه كان نادرا ما يأوى أحدا منهم فى النزل ، أو يسمح له بالمبيت ، ما لم يكن يعرفه تمام المعرفة !

وكانت للرجل زوجة طيبة ، ذات حسن وملاحة ، أنجبت له طفلين ، كان أحدهما ـ عند بدء قصتنا ـ صغيرا ،لم يفطم بعد . أما ثانيهما ، فكان فتاة جميلة فى نحو الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمرها ، لم تتزوج بعد ، ولكنها أولعت بشاب من علية القوم فى مدينتنا ، كان كثير الترحال فى الطريق الذى يقع عليه الفندق . وكانت الفتاة مزهوة بهذا الحبيب ، تحاول برشاقتها وجمال قوامها ، أن تحتفظ بتقديره لها ، واعجابه بها . وما لبثا أن تبادلا الحب . وكان غرامهما هذا كفيلا بأن يؤتى عدة ثمار ، وأن يمتعهما بما كانا يشتهيان ، لولا ان « بينوكيو » ـ وهذا هو اسم الشاب النبيل ـ تحاشى جاهدا ذلك الاثمار ، حرصا منه على سمعة الفتاة وسمعته !.. على ان حبه كان يزداد ضراما ، يوما بعد يوم ، حتى عول فى النهاية على أن يقضى ليلة كاملة فى نزل والد الفتاة ، عساه ان يبلغ ما كان يكتوى من أجله ، وأن ينال وطره دون أن يكشف أحد سرهما !

وما لبث « بينوكيو » أن أفضى بسر قراره هذا الى صديق له يدعى «أدريانو» ، كان مطلعا على أمر غرامه . ومن ثم استأجر

الاثنان جوادين ـ ذات ليلة ـ وأردفا حقائبهما خلفهما ، بعد أن ملآها بأشياء عديمة القيمة ، وغادرا (فلورنسا) . وبعد جولة تعمدا القيام بها ، وصلا الى سهل (منيون) فى ساعة متأخرة من الليل . وهناك ، وجها جواديهما شطر الاتجاه الذى يوحى بأنهما قادمان من مقاطعة (رومانى) ، ثم تقدما الى الخان ، فقرعا بابه . وخف صاحبه مسرعا الى تلبية الطرقات ، اذ كان دائما متأهبا لخدمة نزلائه . وعندما فتح لهما الباب ، خاطبه « بينوكيو » قائلا : « نرانا مضطرين ، ايها الرجل الأمين ، الى أن ننشد عندك مأوى لليلتنا ، اذ اننا كنا نسعى للوصول الى (فلورنسا) ، ولكننا أخطأنا التقدير ، وقد تأخر الوقت كما ترى ! »

فأجاب الفندقى : «ما أحسبكما ، أيها السيدان، الا مدركين مدى عجزى عن توفير أسباب الراحة لنبيلين مثليكما . على انني لا أملك ـ وقد جئتما فى ساعة متأخرة ، والوقت لا ينفسح أمامكما لاستئناف الرحيل ـ سوى أن أبذل قصارى وسعى للترفيه عنكما ! »

واذ ذاك هبطا عن جواديهما ، فدخلا الخان . وكانا قد أحضرا معهما مؤونتهما ، فجلسا الى العشاء ، ودعوا مضيفهما الى أن يشاركهما . ولم يكن بالنزل سوى حجرة واحدة صغيرة ، أقيمت بها ثلاثة أسرة ، اثنان منها فى جانب ، والثالث فى الجانب المقابل . ولم يكن بين هذه الاسرة من الفراغ ما يكاد يكفى لمرور انسان بينها ، فأمر صاحب الخان بأن يعد للسيدين أقل الأسرة الثلاثة سوءا ، ثم ظل قائما على خدمتهما ، حتى أسلمهما الى الفراش

* * *

• **وتريث** الرجل فترة من الزمن ، ثم دعا ابنته الى أن تنام فى أحد السريرين الباقيين ، وأوى وزوجته الى السرير الآخر .

وأعدت الزوجة مهدا لطفلها الرضيع ، الى جوار سريرها • ولم يكن الشابان قد ناما بعد ، وان تظاهرا بالاستغراق فى النعاس!

•• وأخذ «بينوكيو» يرقب كل هذه التدابير فى عناية واهتمام، حتى اذا رأى ان الوقت ملائم ، وان الجميع قد استغرقوا فى النوم ، نهض بخفة الى فراش الفتاة ورقد الى جانبها ، فتلقته الفتاة مغتبطة ـ رغم شدة خوفها ـ وهكذا نعما ما شاءا بالوصال !

وحدث ـ فى تلك الاثناء ـ أن أوقعت احدى القطط شيئا فى المنزل ، فاستيقظت الزوجة • وخشيت أن يكون فى الأمر ما لا يدعو للاطمئنان ، فنهضت فى الظلام ، ومضت تستبين سبب هذه الضجة • ونهض «ادريانو» مصادفة فى ذلك الوقت ليقضى حاجة ، فلما عثر بالمهد فى طريقه ، أزاحه ـ دون قصد ـ الى مقربة من سريره • وبعد أن قضى ما نهض من أجله ، رجع الى فراشه مرة أخرى دون أن يرد المهد الى مكانه الاول

واذ اطمأنت المرأة الى ان ما سقط لم يكن ذا بال ، طردت القطة ، دون أن تتعب نفسها باضاءة عود ثقاب ، ثم عادت الى الفراش الذى ينام فيه زوجها • فلما لم تجد المهد ، قالت فى نفسها : « يا الهى ! •• كدت أرتكب غلطة شنيعة ، فأذهب الى سرير الضيفين ! » •• وتلمست طريقها فى الظلام حتى عثرت على المهد بجوار « أدريانو » ـ الذى حسبته زوجها ـ فصعدت الى الفراش ونامت بجانبه • وكان الشاب لا يزال مستيقظا ، فعاملها برفق ولطف ، دون أن ينطق طوال الوقت بحرف واحد ، حتى لا تنكشف الحقيقة للمرأة !!

وأخيرا •• خاف « بينوكيو » أن يستغرق فى النوم ، فيفاجأ مع عشيقته ، بعد أن أفاد من وقته معها على خير ما يشتهى ، فتركها ليعود الى فراشه ، واذ ذاك اعترض المهد طريقه ، فظن أن السرير المجاور له سرير المضيف ،وابتعد عنه قليلا ، ليندس بالفعل فى فراش المضيف ، الذى استيقظ فى الحال • وظنه

« بينوكيو » صديقه ، فقال له : « اؤكد لك ان لا شيء ألذ وأمتع من « نيكولوسا » ، وان رجلا لم يسعد بمثل ما سعدت به معها .. بل اؤكد لك انني ـ منذ تركتك ـ كنت في سلسلة من اللذاذات ! »

وسمع المضيف ذلك ، فلم يرتح الى الحديث ، وقال في نفسه أولا : « بحق الشيطان !.. ما الذى يعنيه هذا الرجل ؟ » .. حتى اذا تغلب انفعاله وغضبه على حكمته ، صاح : « انك لشر الاوغاد جميعا اذ تستغفلنى على هذه الصورة ، ولكنى أقسم بالله أن أقتص منك ! »

ولم يكن « بينوكيو » على درجة خارقة من الذكاء ، فلما تبين غلطته ، لم يفكر فيما يجب عليه أن يفعله لتدارك الأمر ، وانما أجاب : « تقتص منى ؟ وماذا فى وسعك أن تفعله ؟! » .. وهنا قالت الزوجة لادريانو ، وهى تعتقد انه زوجها : « واأسفاه ! .. ألا تسمع ما يقوله ضيفانا ؟ .. عم يتحدثان يا ترى ؟ » .. فأجابها هذا ضاحكا : « دعيهما يقولان ما يحلو لهما .. أو لينفلقا ! .. لعلهما أفرطا فى الشراب فى الليلة الماضية ! »

وهنا تبينت الزوجة الفرق بين الصوتين ، فلما سمعت « ادريانو » يحدثها ، أدركت فى الحال أين كانت تنام .. ومع من .. فبادرت دون أن تنطق بحرف واحد الى مغادرة الفراش فى حكمة وحذر بالغين ، ثم أزاحت المهد ـ برغم ظلام الحجرة ـ الى أقرب ما تستطيع من سرير ابنتها ، كما قدرت ، وتسللت الى جوار الفتاة . ثم تظاهرت بأنها قد استيقظت على صوت زوجها ، فنادته تسأله عما جرى بينه وبين السيد الضيف فأجابها : « ألا تسمعين ما يقول انه أتاه الليلة مع ابنتك ؟ » .. فردت قائلة : « انه يكذب فيما يدعيه ، لأنه لم يكن فى فراشها أبدا ، وانما أنا التى كنت نائمة معها ! .. وأؤكد لك اننى لم تغمض لى عين بحال ، بل انك لتكون أحمق الاغبياء ، اذا

ظننت غير ذلك ! كل ما هنـــاك انك أفرطت فى الشراب عند العشاء ، بحيث بت تهذى طوال الليل ، وتسير هنا وهناك دون أن تدرى شـيئا ، وان توهمت أنك تأتى بالعجائب ! وكم يؤسفنى ان لم تنقصم رقبتك جزاء افراطك فى الشراب ٠٠ ثم، ما الذى يفعله السيد « بينوكيو » فى سريرك ؟ ٠٠ لماذا لا ينام فى فراشه ؟ »

وأدرك « أدريانو » ـ من الجانب الآخر ـ أن المرأة الطيبـة وجدت وسيلة غاية فى المكر والدهاء ، لانقاذ نفسها وابنتها ، فقال من ناحيته : « ألم أقل لك يا بينوكيو مائةمرة ، ان ليس لك أن تنام خارج منزلك على الاطـلاق ، لأن عيبك الملعـون ـ سواء سيرك فى نومك أو رواية أحلامك على انهـا حقيقة ـ لابد ان يعود عليك بالوبال ، فى يوم من الايام !٠٠ تعال هنا ٠٠ من فضلك ! »

واذ ذاك ، نهض « بينوكيو » وهو يتظاهـــر بانه ما زال نعسان ، وذهب الى « ادريانو » ، فنام الى جواره !

وفى الصباح ، ضحك صاحب الخان من كل قلبه ، وأخـذ يمطر « بينوكيو » بالنكات ، ويتندر فى سخرية بأحـلامه ٠ وهكذا راحوا جميعا ينتقلون من موضوع مرح الى آخر ، بينما كان الجوادان يعدان للرحيل ، والحقائب تشد اليهما ٠ وشرب الشابان نخب الوداع مع صاحب الخان ، ثم امتطيا جواديهما ، ورحلا الى (فلورنسا) ، وسرورهما لما جرت به الامور ، لا يقل عن سرورهما بالطريقة التى قضيا بها لبانتهما !

ووجـد « بينوكيو » ـ بعـد ذلك ـ وسائل أخرى للقاء « نيكولوسا » ، التى ما زالت تؤكد لوالدتها انه كان يحلم فى نومه ، فى حين ان هذه ما زالت تذكر كيف نعمت مع «ادريانو» ٠٠ بل انها تعتقد انها المخلوق الوحيد الذى كان مستيقظا فى تلك الليلة !!

اليوم الثامن

زواج .. على المشاع !

اختارت « لوريتا » - ملكة اليوم الثامن - حيل النساء على الرجال ، وحيل الرجال على النساء ، وحيل الرجال على الرجال ، موضوعا لقصص ذلك اليوم . فلما حان دور « فياميتا » ، مهدت لقصتها قائلة :

« سأروى لكن ، أيتها السيدات الحسان ، قصة شاب تلقى الايذاء فى لطف يفوق لطف خلقه ، و رده فى اعتدال وترفق ! .. ومن هذا تتعلمن ان المرء خليق بأن يكون راضى النفس اذا هو عامل النـــاس بمثل ما يعاملونه به من خير ، وان يتورع عن الحقد والانتقام الذى لا مبرر له ، والذى يتجاوز ما قد يستحقه الايذاء الذى أصابه » :

• **كان** يعيش فى (سيينا) - على ما بلغنى - شابان مثريان، يدعى أحدهما « سبينلوتشيو تانينا » ، ويدعى الثانى « زيبا دى مينو » . وكانا جارين متقاربين، فى شارع يسمى (كاموليا)، وقد ربط بينهما ود توطد حتى فاقت صلاتهما صلات الاخوة الاشقاء . وكانا متزوجين ، وقد اوتى كل منهما زوجة جمة الحسن والجمال

وحدث ان أكثر « سبينلوتشيو » من التردد على دار «زيبا» ، فى وجود هذا وفى غيابه على السواء ، فما لبثت الالفة ان اشتدت - فى النهاية - بينه وبين زوجة صديقه . واستمر ودهما فترة طويلة ، دون ان يفطن اليه أحد . الى ان كان ذات يوم ، و «زيبا» فى المنزل ، دون ان تدرك زوجتـه ، واذا بسبينلوتشيو يفد للسؤال عنه ، فلما أنبأته الزوجة بأنه قد خرج ، دلف الشاب الى حيث كانت تجلس فى البهو وحدها ، وتبادلا القبـلات فى وجد وصبابة . فظل « زيبا » متربصا ، دون ان ينبس بكلمة واحدة ، فى ارتقاب ما قد يسفر عنـــه ذلك الموقف . واذا

الاثنان يأويان الى المخدع ، والهوى يستخفهما ، ثم يوصدان الباب خلفهما !

واستبد الحزن بالزوج ٠ بيد انه كان يعلم ان الضجة لن تخفف من الضر الذى لحق به شيئا ، وانما هى قد تضاعف من عاره وخزيه ٠ لذلك أنشأ يفكر فى وسيلة يثأر بها لنفسه الى الحد الذى يرضيه ، دون ان يثير صخبا خارج نطاق داره ٠ حتى اذا انتهى أخيرا الى رأى ، مضى الى المخدع ـ بعد ان انصرف صديقه ـ فلما وجد زوجته تسوى غطاء رأسها ، سألها : « ماذا تفعلين يا سيدتى ؟ » ٠٠ واذ أجابته : «ألست ترى ما أفعل ؟ » ٠٠ قال : « بلى ٠٠ الواقع اننى رأيت أكثر مما كنت أود ! »

وواجهها بالاتهام ، فلما وجدت ان الانكار لن يجدى ، أدلت اليه باعتراف صريح ، وراحت تبكى وتضرع اليه ان يغفر لها ٠ وعند ذاك قال لها : « أحسبك تدركين انك ارتكبت أشنع جريمة ، فاذا كنت تطمعين فى ان أغفرها لك ، وجب عليك ان تعقدى العزم على اداء ما سوف أطلب اليك اداءه ٠٠ وهو ان تسألى « سبينلوتشيو » أن يلتمس حجة يتعلل بها لتركى ، فى الساعة التاسعة من صباح غد ، ليأتى اليك ٠ **فاذا جئت أنا الى البيت بعد ذلك ، وبمجرد ان تسمعى ما ينبىء بحضورى ، فاحمليه على ان يدخل فى هذا الصندوق ، ثم اغلقيه عليه بالمفتاح ٠٠ وبعد ان تفعلى هذا ، سأطلعك على ما تبقى من خطتى ٠ على انك يجب ان لا تستسلمي للهواجس والشكوك بصدد ما تبقى ، اذ أعدك بأننى لن ألحق به أى أذى ! »**

وقبلت الزوجة ان تفعل ذلك ٠ فلما كان اليوم التالى ، جلس الصديقان معا فى الصباح ، فلما حان الموعد الذى كان « سبينلوتشيو » قد وعد السيدة بأن يوافيها فيه ، قال لزيبا : « اننى على موعد مع صديق وعدته بأن أزوره لأتناول الغداء معه ، ولست أحب ان يطول انتظاره لى ٠٠ فاستودعك الله ! » ٠٠ وقال زيبا : « ولكن ، ما زال هناك متسع من الوقت ، قبل

ان يحين موعد الغداء ! » ٠ فرد الآخر قائلا : « أجل ، ولكن لدينا عملا نريد ان نتحدث بصدده ، مما يقتضينى ان أكون هناك قبل موعد الغداء بوقت كاف ! »

★ ★ ★

◆ **وهكذا** غادر « سبينلوتشيو » صديقه ، فدار فى الطرقات دورة قصيرة ، ثم مضى الى السيدة ٠ وسرعان ما أغلق الاثنان على نفسيهما حجرة النوم ٠ ولكن « زيبا » ما لبث ان جاء ، واذ ذاك تظاهرت السيدة بالفزع الشديد ، وحملت عشيقها على ان يلج الصندوق ـ كما كلفها زوجها ـ ثم أغلقت هذا الصندوق بالمفتاح ٠ وخرجت بعد ذلك الى زوجها ، الذى بادرها متسائلا عما اذا كان الغداء قد أعد ٠ فأجابته : « سأعده حالا » ٠ وهنا قال لها : « حسنا ٠٠ لما كان سبينلوتشيو مزمعا ان يتناول الغداء لدى صديق له ، وقد خلف زوجته فى الدار وحدها ، فهلا ناديتها من النافذة، ودعوتها الى الحضور لتشاركنا الغداء؟»

وأطاعته لفورها ، خوفا على نفسها ٠ وما لبثت زوجة « سبينلوتشيو » أن أقبلت ، بعد الحاح شديد حسمه ان سمعت ان زوجها لن يتناول غداءه في البيت ٠ وأظهر « زيبا » لزوجة صديقه كل ما كان يمكن ان تتصوره من ود ولطف ، ثم أشار الى زوجته بأن تمضى الى المطبخ ٠ وما لبث أن أمسك بيد زوجة صديقه ، فقادها الى حجرة النوم ، وأغلق الباب خلفهما ٠ واذ رأت السيدة ذلك ، تحولت اليه قائلة : « واحسرتاه ! ٠٠ ما الذى تنتوى عمله يا سيدى ؟٠٠ أهذا ما دعوتنى اليه ؟ ٠٠ أهذا هو الوفاء الذى تكنه لصديقك ؟! »

واذ ذاك اقترب « زيبا » من الصندوق الذى احتبس فيه زوجها ، ثم عانقها وضمها اليه بشدة ، وهو يقول : « قبل ان تبدى أية شكاة أو تذمر يا سيدتى ، أرجو ان تنصتى الى ما سوف أخبرك به ٠ لقد أحببت زوجك كما لو كان أخا لى ، ولكننى اكتشفت أمس انه ـ وان لم يعرف بعد بافتضاح

الأمر ـ قد تمادى فى هذا الود ، الى حد انه بات يعامل زوجتى كما لو انها كانت أنت نفسك ! ٠٠ **وبما انني ما زلت أقدره كثيرا ، فقد عولت على ان لا أذهب في انتقامى الى أكثر مما يتناسب ونوع الاذى الذى ألحقه بى ٠٠ فاذا كان قد نال متعته من زوجتي ، فكذلك أعتزم ان أنال متعتى منك ! ٠٠ اما اذا لم ترضخي لهذا ، فثقى بأننى سأثأر لنفسى بطريقة تخلق لك وله سببا لندم شديد ! »**

فقالت السيدة : « اذن ، فلا بأس ! واذا كان ثأرك سيحيق بى وحدى ، فخليق بى ان أتقبله وأنصاع لك ٠ ولست أرجو سوى أن تعمل على ان تصلح بيني وبين زوجتك ، فتغفر لى هى ما سوف أقدم عليه ، بمثل ما أنا مستعدة لأن أغفر لها ما فعلت ! »

وتعهد « زيبا » بأن يحقق رجاءها ، كما وعد بأن يهديها جوهرة غالية ٠ وعلى ذلك ، حملها على ان تستلقى على الصندوق، وأخذ يثأر لنفسه ! ٠٠ وكان « سبينلوتشيو » يكاد ينشق غيظا ، وهو يصغى لما كان يجرى فوق رأسه ! ٠٠ ولو لم يمنعه الخوف من زيبا ، لثار على زوجته ثورة صاخبة ـ رغم انه كان حبيس الصندوق ـ ولأطلق عقيرته بسبها وتحقيرها ٠ **على انه ما لبث أن أعاد النظر فى الأمر ، فأدرك انه كان البادىء بالظلم والعدوان ، وان لزيبا الحق فيما كان يفعله ! ٠٠ بل سلم بأن « زيبا » عامله معاملة الصديق الودود ، ومن ثم رأى انه خليق بأن يضاعف من احترامه له !!**

وعندما فرغ « زيبا » والسيدة من فعلتهما ، نهضا ٠ وطلبت السيدة الجوهرة التى وعدها بها ، فنادى «زيبا» زوجته ، التى ألمت بالموقف لأول وهلة ، فلم تملك سوى ان تقول : « الآن أصبحنا يا عزيزتى سواء ٠٠ لا ظالم ولا مظلوم ! » ٠٠ وتهللت أساريرها بالابتسام ٠ واذ ذاك ، قال لها زيبا : « اذن ، فافتحى هذا الصندوق ! » ٠٠ ولبت الأمر لفورها ٠ وهنا ، دعا «زيبا»

زوجة « سبينلوتشيو » لترى زوجها ٠ ومن العسير ان نبين ـ هنا ـ أى الزوجين كان أشد كمدا وارتباكا : أهو الرجل اذ رأى صديقه ، وهو مدرك انه كان محقا فيما فعل ؟ ٠٠ أم هى المرأة اذ رأت زوجها ، وهى موقنة من انه ولا بد قد سمع ما جرى فوق رأسه ؟!

وما لبث «زيبا» ان استأنف الحديث قائلا للسيدة وهو يشير الى زوجها : « **هذه هى الجوهرة التى وعدتك بها ، وها أنذا أهديها اليك !** »

واذ ذاك ، خرج « سبينلوتشيو » من جوف الصندوق ، وقال لصاحبه : « لقد أصبحنا الآن متساويين يا زيبا ٠٠ وخير لنا ـ كما سمعتك تقول لزوجتى ـ ان نظل صديقين ! ٠٠ ولما كان لا يفرق بيننا سوى زوجتينا ، فاننى لا أرى من حل عادل سوى ان نجعلهما منذ اليوم ٠٠ « على المشاع » بيننا ! »

وقبل صديقه هذا الحل ، فتناول الاربعة غداءهم معا فى وئام ! ٠٠ ومنذ ذلك الحين ، أصبح لكل من الزوجتين زوجان ، ولكل من الزوجين زوجتان ، دون ما غيرة أو شحناء !!



اليوم التاسع

عاشق .. فى الأكفان !

بدأ تاسع « الأيام العشرة » تحت حكم « ايميليا » ، فتركت لكل من الرواة حرية اختيار الموضوع الذى يروق له أن ينسج قصته حوله . ورمقت الملكة « فيلومينا » بنظراتها ، ثم أمرتها أن تبدأ قصص اليوم .. فابتسمت هذه ، وبدأت تمهد لقصتها قائلة :

« اذا كان مما يروق لمولاتى أن أكون البادئة ، فيسرنى حقا أن القي بالسهم الاول فى هذا الميدان المترامى ، الذى لا حدود له .. ميدان القصص غير المعينة الموضوع . ولست أشك فى اننى اذا أحسنت ، فسوف يحذو من يعقبوننى حذوى ، أو يفوقوننى . لقد طالما تجلى فى قصصنا مدى قوة الحب وسلطانه القاهر ، ولكنى لا احسب أن هذا المورد ينضب ، ولو اقتصرنا على ارتياده وحده ، من أول العام الى آخره !.. ذلك لان الحب اعتاد أن يقود العشاق ، لا الى الاخطار المميتة فحسب ، وانما الى مساكن الموتى ذاتها ، أيضا . وانى لأعتزم أن أضيف الى ماسبقت روايته ، قصة نرى خلالها - الى جانب سلطان الحب - كيف استطاع دهاء احدى السيدات أن يمكنها من التخلص من عاشقين ، كانت قد سئمت غرامهما ! » :

◆ **عاشت** فى مدينة (بيستويا) - فى زمن مضى - أرملة من أجمل النساء ، تدله فى هواها اثنان من نزلاء المدينة ، يدعى أحدهما « رينوتشيو باليرمينى » ، والآخر «اليساندرو كيارمونتيزى » . وكانا قد وفدا على (بيستويا) منفيين من (فلورنسا) . وافتتن كل منهما بالارملة الحسناء ، دون أن يدرى شيئا عن افتتان الآخر بها ، ودون أن يطلعه على حاله معها !

وضاقت الأرملة ، وكانت تدعى «فرانشيسكادى لاتسارى» ، بملاحقاتهما لها ، فأنصتت فى النهاية الى ضراعات كل منهما

ورغباته ، وهى تتعجله وتستحثه على الاقتضاب · ومع انها مالت لأن تستجيب للاثنين معا ، الا أنها لم تجد لذلك سبيلا، ومن ثم خطر لها ـ آخر الامر ـ أن تسأل الاثنين خدمة «صغيرة !» ، كانت واثقة من انهما لن يؤدياها ، رغم انها مما يمكن أداؤه · ورأت أن عدم استجابتهما اذ ذاك ، سيتيح لها حجة عادلة كى تشيح عنهما وتقصيهما عنها !

فقد صادف فى نفس اليوم الذى خطرت للسيدةفيه فكرة التخلص من عاشقيها ، ان دفن فى كنيسة « الكوردلير » ـفى (بيستويا) ـ رجل اشتهر ، رغم عراقة أصله وطيب منبته ، بأنه من أنذل أشقياء الارض وأكثرهم شرا ، كما كان فوق ذلك مشوه الخلقة بدرجة كانت تجعل الذين لا يعرفونه يرتجفون فى ذعر وجزع ، اذا ماوقعت عليه أبصارهم للمرة الأولى !

ورأت « فرانشيسكا » ان هذه المصادفة تلائم تمام الملاءمة الخطة التى عولت عليها · ومن ثم دعت اليها وصيفتها وقالت لها : « انك لتعلمين ما ألاقى على أيدى هذين الفلورنسيين من بلاء وعناء ، وقد استقر عزمى أخيرا على أن لا أكون لأى واحد منهما · ومن ثم فقد اعتزمت ـ لكى أقصيهما عنى ـأن أبلوهما فى أمر ، أثق كل الثقة من أنهما سوف يرفضان القيام به ، وسأرويه لك الآن · فأنت تعلمين أن الشقى « اسكناديو »، الذى كان مبعث خوف ورهبة لمعظم الناس فى حياته ، قد دفن هذا الصباح فى كنيسة الرهبان الصغار ، فاذهبى اذن ـ فى السر ـ الى « اليساندرو » ، وقولى له ان سيدتك قد أمرتك أن تنبئيه بأن الوقت قد آن لأن يحظى بحبها ويطمئن اليه ، ومن ثم ففى وسعه أن يفد على مخدعها ، ولكن بالطريقة التالية : ان أحد أقاربها يعتزم ـ لسبب سيعرفه « اليساندرو » فيما بعد ـ أن يحمل جثمان ذلك الميت ، الى دارها ·· الأمر الذى تكرهه هى وتأباه ، ومن ثم فهى تطمع من « اليساندرو » فى

أن يؤدى لها صنيعا ، وذلك بأن يذهب الى قبر «اسكناديو»، فى مطلع الليل ، فيرتدى أكفان الميت ، ويمكث هناك منتظرا حتى يفد ذلك الشخص - قريب سيدتك - فيخرجه من القبر ! ‥ واذ ذاك ، عليه أن يصبر ، دون أن ينبس بحرف، وأن يتركه يحمله الى بيتها ، حيث يجدها على أتم استعداد لاستقباله ‥ وعليه أن يترك لها ما تبقى من الأمر !‥ **فاذا وافق على ذلك ، كان بها ، والا ، فحذريه من أن تقع عليه عينا سيدتك مرة أخرى ، ومن أن يلاحقها ويضايقها بخطاباته، حتى لا يصاب بما يكره !** ‥ وعليك بعد ذلك أن تذهبى الى « رينوتشيو » ، لتخبريه بأن سيدتك مستعدة لأن تقربه وترضيه ، على شريطة أن يقوم بأداء خدمة صغيرة لها ‥ تلك هى أن يذهب فيخرج جثمان « اسكناديو » من قبره ، حوالى منتصف الليل ، ثم يحمله الى دارها ٠ وهناك ستكون السيدة فى استقباله ، لتفضى اليه بالسر فى ذلك ، ثم تجعله أسعد انسان فى الوجود ! ‥ **فاذا رفض ، فحذريه من أن يقترب منها مرة أخرى !** »

وامتثلت الوصيفة لأوامر سيدتها ، فمضت الى كل من الرجلين - على حدة - وأبلغته رسالة السيدة ٠ **وأجاب الاثنان بأنهما ليسا على استعداد للذهاب الى المقبرة فحسب ، بل انهما ماكانا ليحجمان عن الذهاب الى الجحيم ، اذا كان فى ذلك مايرضى رغبة السيدة** !‥ وحملت الوصيفة جوابيهما الى مولاتها التى كانت فى ارتقابها ، لترى ما اذا كان الرجلان من الغباء بحيث ينفذان رغبتيها هاتين !

★ ★ ★

◆ **وما** أن أرخى الليل سدوله ، حتى تجرد «اليساندرو» من معظم ثيابه ، ثم مضى ليشغل مكان «اسكناديو» فى القبو المعد لدفن الموتى ، فى الكنيسة ٠ على انه أصيب - خلال

الطريق - بذعر مفاجىء ، فشرع يقول لنفسه : «ألا ما أغباني! .. الى أين أنا ذاهب ؟.. ثم ، من أدرانى بأن هذا ليس شركا نصبه لى أحد أقارب السيدة ، اذ اكتشف حبى لها ، فعول على أن يقتلنى فى القبو ؟.. وهو أمر اذا تم بالفعل ، فلن يدرى به أحد !.. بل كيف لى أن أطمئن الى انه ليست هناك خدعة دبرها لى غريم ربما كانت السيدة أشد كلفا به ، منها بى ؟!.. ولكن ، هب أن الحقيقة ليست كهذا الظن أو ذاك ، وان ليست هناك نية معقودة على أى منهما .. وهب أيضا أن قريبها وأعوانه حملونى الى دارها - باعتبارى اسكناديو - أفلا يجدر بى أن أستنتج أنهم لا يبغون جثمان هذا الشقى حرصا منهم على الاحتفاظ به ، أو رغبة فى أن يقدموه هدية لها ، وانما هم ينتوون ولا بد أن يمثلوا بالجثة ، انتقاما من صاحبها لذنب استحق من أجله هذا التمثيل ؟!.. انها كذلك تسألنى أن لا أنبس بكلمة واحدة ، مهما يصيبنى .. ولكن ، هب انهم اقتلعوا عينى ، أو خلعوا أسنانى ، أو بتروا يدى ، فكيف أستطيع أن أحتمل هذا ؟ .. وهب اننى صرخت ،وانهم اذ ذاك عرفونى .. ألا يجوز اذ ذاك انهم يسيئون الى ، أو يستغلون حالى أبشع استغلال ؟!.. كذلك من المحتمل أن لا يتركونى للسيدة ، فتحسب هى اننى لم أستجب لأوامرها، واذ ذاك يضيع كل هذا الجهد هباء !»

وزحمت هذه الهواجس رأسه ، فهم بأن ينكص على عقبيه عائدا الى داره ، لولا أن الحب حفزه على المضى ، اذ عاجله بحجج أشد اقناعا من تلك الهواجس ، فبددها من رأسه !.. وأسرع «اليساندرو» الى القبو ، فعالج بابه حتى فتحه ، ثم تسلل الى الداخل ، فجرد الميت من أكفانه ، وارتداها ! .. وبعد أن أغلق القبر خلفه ، رقد فى مكان « اسكناديو » ، واذ ذاك ، راودته الخواطر حول شكل ذلك المجرم ، وأخلاقه ، وماتناهى اليه من أنباء نبشه لقبور الناس ، واقترافه أبشع الدناءات ،

وأخس الجرائم ، فاستبد به الهلع ، وأصبح يتوقع ـ بين لحظة وأخرى ـ أن يهب الرجل من مرقده ، فيخنقه بيديه !

على أن الحب تغلب على الرعب أخيرا ، فمكث «اليساندرو» مستلقيا ، وكأنه جثة هامدة ، فى انتظار ماتأتى به الأحداث!

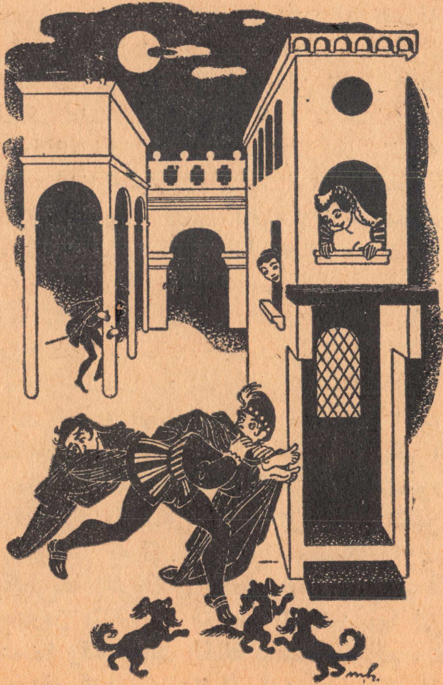
* * *

◆ **وما** ان انتصف الليل ، حتى خرج « رينوتشيو » من داره ، منصاعا بدوره لأوامر السيدة · وجعل ـ أثناء سيره ـ يستعرض عديدا من الأمور التى قد تقع له ، لا سيما اذا قدر له أن يلتقى بضباط أمين الأمن «الشريف» ، وهو يحمل جثة «اسكناديو» على ظهره ، فلن تكون النتيجة اذ ذاك سوى أن يحكم عليه بأن يحرق حيا ، جزاء انتهاكه حرمة الموتى !·· كذلك فكر فى انه قد يثير على نفسه نقمة أهل « اسكناديو » ، اذا قدر لهم أن يعرفوا بما فعله بجثته !·· وراودته مخاوف أخرى ، كانت كافية لأن تصده عن المضى فى المشروع · ولكنه مالبث ـ بعد طول جدال مع نفسه ـ ان قال: « ماهذا ؟ ·· كيف أقابل بالرفض أول رجاء للسيدة التى أحببتها ، وما زلت أكن لها كل الحب ، لا سيما اذا كان فى اطاعة رجائها الظفر بودها ؟·· ماينبغى لى أن أتردد فى الوفاء بوعدى لها ، ولو أيقنت من الموت فى هذه المحاولة ! »

واذ امتلأت نفسه بهذا العزم ، مضى الى القبو ففتحه ·

وكان «اليساندرو» يرقد ساكنا ، جامدا ، رغم الذعر الذى كان يعربد بين جوانحه !·· وظنه «رينوتشيو» جثمان «اسكناديو» فأمسك بقدميه ، وجره الى خارج القبو ، ثم رفعه فوق كتفيه ، ومضى به الى دار «فرانشيسكا» !·· على أنه لم يعن كثيرا بالطريقة التى كان يحمله بها ، ومن ثم فكثيرا ماكان يلطمه فى جدران المنازل ، فيرتطم المسكين بها فى عنف يهز كيانه ، لا سيما وقد كانت الليلة دامسة الظلام ، لا يكاد المرء يتبين فيها مواقع قدميه ، ولا الى أين تسيران به !

وبلغ أخيرا باب الدار · وكانت «فرانشيسكا» فى النافذة – مع وصيفتها – فى ارتقاب وصول الرجلين · على أنه اتفق – اذ ذاك – ان كان ضباط الشرطة متربصين فى الشارع ، ليقبضوا على شقى تطارده العدالة · فلما سمعوا وقع قدمى «رينوتشيو» ، دفعوا مصابيحهم نحوه ، ليتعرفوا على القادم ، ورفعوا هراواتهم ، صائحين : « من هناك ؟ »



وعند ذاك ، لم يجد «رينوتشيو» متسعا للتفكير ولا للتلكؤ، فألقى بحمله على الأرض ، وانطلق يجرى بأسرع ما استطاعت قدماه أن تحملاه ٠ كذلك أدرك «اليساندرو» ما يرتقبه ، فبادر الى النهوض بأسرع ما كان فى وسعه ، متعثرا فى أكفان الميت، التى كانت أطول من قامته كثيرا ، وأطلق ساقيه للريح كما فعل زميله !٠٠ وعلى ضوء مصابيح الشرطة ، رأت السيدة بجلاء كيف كان «رينوتشيو» يحمل زميله على ظهره ، وقد التف هذا فى أكفان الميت !٠٠ **وعجبت للحب القاهر الذى مدهما بهذه العزيمة الجبارة ، وذلك الاصرار العنيد ! ٠٠ فلما شهدت«رينوتشيو» يلقى «اليساندرو» أرضا ، ورأتهمايجريان بأقصى ماالديهما من سرعة ، ضحكت ملء قلبها ! وعادت الى مخدعها وهى تحمد الله اذ تخلصت منهما ، قائلة لوصيفتها ان حب الرجلين ـ ولا بد ـ حب قوى عارم ، والا ما صدعا بمثل تلك الشروط !**

* * *

◆ **وفى** ذلك الوقت ، كان «رينوتشيو» يلعن حظه العاثر ، حتى اذا ابتعد عن المكان ، تريث حتى انصرف الضباط ، ثم عاد يتلمس طريقه فى الظلام ، عسى أن يعثر على البقعة التى ألقى فيها «الجثة!» فيعود الى التقاطها ، ويتم أداء مهمته ٠ فلما لم يجدها ، حدس أن الحراس قد حملوها ، ومن ثم انصرف بقلب مثقل ، وخيبة الأمل تحز فى نفسه !

كذلك لم يدر « اليساندرو » ماينبغى عليه أن يفعله ٠٠ وانصرف الى داره مهموما ، مغتما ، كصاحبه ، وهو لا يزال يجهل الشخص الذى كان يحمله !

وعندما اكتشف فى الصباح أن قبر «اسـكانديو» كان مفتوحا ، ولا أثر للجثة فيه ـ اذ كان «اليساندرو» قد دفع

بها الى قاع القبو ـ قامت قيامة المدينة كلها ، وساور الكثيرين اعتقاد بأن الشيطان ولا بد قد حمله من قبره !

ورغم هذا كله ، فقد عاد العاشقان الى السيدة ، وراح كل منهما يبالغ فيما فعل ، ويبرر لها الفشـــل الذى منى به ، ويسألها أن تغفر له عدم استطاعته المضى فى تنفيذ أوامرها حتى النهاية !.. **وتوسلا اليها أن تنعم عليهما بحبها ووصالها، ولكنها تظاهرت بأنها لا تصدق أحدا منهما . وحتى توقفهما عن لجاجهما والحاحهما ، عمدت الى التكذيب التام لكل ماقاما به من جهود مضنية ، مبررة ذلك بفشل كل منهما فى تحقيق الشرط الذى طلبته !**

اليوم العاشر

الصداقة ٠٠ أقوى من الحب !

كان « بامفيلو » هو ملك اليوم العاشر ، فلما حان الوقت المخصص لرواية القصص ، خير الرواة بين موضوع الحب ، وموضوع الاقدام والجرأة ، وموضوع الأعمال الجليلة الرائعة ٠٠ واذ تلقت « فيلومينا » أمر الملك ، شرعت تقدم لقصتها بقولها :

« كلنا نعرف ، يا سيداتي ، ان في وسع الملوك ، - كلما امكنهم - أن يأتوا من الأعمال أجلها وأسماها ٠ وما اكثر ما تطلب منهم هذه الأعمال بالذات ٠ ومن ثم فان الذي يؤدي واجبه في هذا الصدد ، انما يحسن لنفسه ولسواه ، على ان هذا يجب ان لا يحملنا على أن نسرف في اكبار الملك الذي يؤدي مثل هذا الواجب ، وان نمعن في رفع مقامه ، وان نغالي في استصغار من لم يؤت مقدرة على ذلك ، اذا كان ماضيا - رغم عدم قدرته - في محاولة اتيان جلائل الأعمال ٠ أجل ٠٠ لا ينبغي ان نفرط في اكبار الملوك ، بل اعلموا ان من أقراننا من هم أجدر بالاعجاب ، اذا هم استطاعوا ان يأتوا ما في وسع الملوك اتيانه ٠ وعلى هذا ، فسأروي لكن ما أقدم عليه صديقان من الرعية ، من تصرف جليل ، نبيل ! » :

◆ في العصر الذي كان فيه «اوكتافيوس قيصر» - الذي اشتهر باسم اوغسطس فيما بعد - يحكم الامبراطورية الرومانية كواحد من أعضاء مجلس الحكم الثلاثي ، كان يقيم في روما سيد يدعى « بابليو كنتو فالفيو » ٠ ولما كان ولده « تيتو » شابا على جانب كبير من المواهب والثقافة ، فقد بعث به الى (أثينا) ليدرس الفلسفة ، واوصى به هناك نبيلا من أصدقائه يدعى « كريمس » ، فأواه ذلك الرجل في منزله واحتفى به كزميل لابن له يدعى «جيسيبو» ٠ ثم عهد بالاثنين الى رعاية الفيلسوف «ارستيبو» ٠ ودرج الصبيان معا ، وبلغ من توافق مشاربهما وأخلاقهما أن

نشأ بينهما حب أخوى ، وصداقة قوية لا يفصمها سوى الموت ، وأصبح كل منهما لا يهدأ له بال أو يطيب له خاطر الا فى صحبة الآخر !

وبدأ الاثنان دراساتهما معا ، وتقدما فيها بفضل ما أوتيا من عبقرية خارقة حتى بلغا اقصى ذرى الفلسفة بخطوات واسعة متعادلة كانت مثار الاعجاب ٠ وهكذا ظلت حال الاثنين ٠ واغتبط لذلك « كريمس » ـ الذى كان يوزع عليهما الرعاية فى مساواة ـ الى أن قبضه الله الى جواره بعد ثلاث سنوات وهوفى أرذل العمر ٠ وحزن لفقده الشابان كما لو كان والدهما معا ـ لا والد واحد منهما ، دون الآخر ـ بل يمكن أن يقال ان مصابهما فيه كان أفدح عندهما من أن يحتمل أى عزاء !

وبعد بضعة أشهر ، قدم أصدقاء «جيسيبو» وأقاربه لزيارته وليكرروا له العزاء ، ثم أخذوا يواسونه ، ويغرونه على أن يتخذ لنفسه زوجة،وراحوا يحبذون له فتاة أثينيةتدعى «سوفرونيا»، ذات جمال طاغ ، ومن أسرة نبيلة ، ولما تبلغ الخامسة عشرة من عمرها بعد !٠٠ ووافق الشاب على خطبة الفتاة ٠ وعندما اقترب موعد زواجهما ، استطاع « جيسيبو » أن يحمل « تيتو » على أن يرافقه فى زيارة خطيبته ، التى لم يكن قد رآها حتى تلك اللحظة ٠ فلما بلغا منزلها ، وجلست الفتاة بينهما ، أخذ «تيتو» يتأمل مفاتن الفتاة المنطوية على نفسها ، ثم جعل يوليها كل انتباهه ٠٠ حتى اذا أذهله كل جزء وكل سمة فيها ، راح يثنى عليها فيما بينه وبين نفسه ، ثم ما لبث أن هام بها أكثر مما يهيم أى رجل فى العالم بامرأة ، دون ان يبدى ما ينم عن ذلك الهيام !٠٠ وبعد ان مكث الصديقان فترة من الوقت ، غادرا الفتاة عائدين الى منزلهما

وعندما أوى « تيتو » الى غرفته وانفرد فيها بنفسه ، فى ذلك المساء ، جعل يسترجع فى خاطره ما رآه من مفاتن خطيبة صديقه ٠ وكان كلما أمعن فى التفكير، ازداد بها شغفا ،وتلظت

النار فى فؤاده . واخيرا ، استجمع شتات نفسه بعد زفرات وتنهدات ، ثم انفجر يقول :

ـ آه .. ما أتعسك يا تيتو !.. أين، وفيمن ركزت قلبك وحبك وكل آمالك ؟ ألا تعلم ـ بعد الأفضال التى أغدقها عليك كريمس وأسرته ، وبعد الصداقة الحميمة التى نشأت بينك وبين جيسيبو ـ الى من هى مخطوبة ؟.. أفلا ينبغى لك ان تحترمها لذلك كله ، احترامك لأخت لك ؟ .. ولماذا ترضى لنفسك أن تتردى فى الفخ ؟ وأى هدف لك من وراء هذا الأمل الواهم ؟ افتح عينى عقلك وبصيرتك ايها البائس ، واعرف نفسك ، ولا تستسلم لغير هاتف العقل ، واكبح عنان شهوتك الجامحة ، ولطف من حدة رغباتك المتهوسة ووجهها غير هذه الوجهة ، بل اقهر منذ البداية شهوتك الشريرة ، وكن سيد نفسك ما دامت تحت سيطرتك ، فان ما تشتهيه لا يتمشى مع الأمانة ولا يتفق مع الوفاء ! .. بل ان ما تجرى وراءه ـ ولو كنت واثقا من الظفر به ، فما بالك وأنت لست كذلك ! ـ يجب ان تهرب منه اذا كان لديك أى تقدير لما تتطلبه الصداقة الحقة ويقتضيه الواجب !.. اذن ، ماذا عساك فاعل الا أن تعمل بما يوحى به العقل ، وهو أن تقلع عن هذا الحب ؟!

ولكنه ما لبث ان تذكر جمالها ، فأنكر ما آمن به على التو ، وشرع يقول لنفسه :

ـ ان قوانين الحب أقوى مما عداها .. انها تلغى شريعة الصداقة ، بل تلغى حتى القوانين والشرائع السماوية !! فكم أحب والد ابنته ، وأخ أخته ، وأم زوج ابنتها ... مما يعد أعجب كل العجب من أن يشغف صديق بزوجة صديقه ، بل ان هذا أمر شائع ، كثير الوقوع . أضف الى ذلك ، انني شاب، وان الشباب يخضع خضوعا تاما لسلطان الحب !.. فلندع من يكبروننا سنا يفكرون فيما هو شريف أو غير شريف . أما أنا، فلن أخضع لشىء سوى الحب !.. واذا كان الجمال هو الذى

يسيطر على كل شيء ، فكيف ألام اذن ـ وأنا شاب ـ على انني أحببت تلك الفتاة ؟! ٠٠ انني أحبها ، لا لأنها خطيبة صديقي ، ولكن لأنها جميلة ٠ والقدر وحده هو المسئول ، لأنه جعلها خطيبة لصديقي ٠٠ ولكن لعل هذا الصديق أن يكون أقل ضيقا وتبرما باعجابي بخطيبته ، مما لو كان المعجب المدنف بها شخصا آخر غيري !!

★ ★ ★

◆ **وهكذا** ظل يجادل نفسه ٠٠ لا في ذلك النهار وتلك الليلة فحسب ، ولكن لعدة أيام أخر ، حتى أصبح لا يأكل ، ولا يغمض له جفن ، فاضطر اخيرا الى ملازمة الفراش ٠ ولحظ « جيسيبو » أن صديقه غارق في التفكير، ثم شاهده وقد صرعه المرض ، فأحزنه ذلك أشد الحزن ، وجعله يتلمس كل وسيلة للتسرية عنه ٠ وراح يلح عليه، ليطلعه على سر وجومه وحزمه، ولكنه لم يتلق منه سوى اجابات لم تشف غليله ، أدرك منها انها بعيدة كل البعد عن الحقيقة ٠ ولما وجده « تيتو » مصرا على معرفة السبب الحقيقي ، اضطر في النهاية الى مصارحته به ، ومن ثم أخذ يحدثه بصوت تخنقه العبرات والزفرات :

ـ ايه يا جيسيبو ! لو رحمتني الآلهة ، لكان الموت أفضل عندي من الحياة ! لقد انتهى بي التفكير الى أن القدر قد زج بي في مأزق حرج ليبلو فضيلتي ، وها هي ذي قد تبددت لتخلف لي اللوم والتثريب الى الأبد ٠٠ ولكنني أتوقع ـ بعد زمن غير طويل ـ أن ألاقي الجزاء العادل ، وهو الموت ، الذي بت أعتبره أغلى من الحياة منذ شعرت بضعتي التي أكشف عنها لك ٠٠ أنت الذي لا أستطيع ، ولا ينبغي أن أخفي عنك شيئا على الاطلاق !

ثم راح يروي له سبب ما يعانيه من صراع نفسي عنيف ، ومضى يعترف له بحبه المتدله لسوفرونيا ، ويكاشفه بأنه قد اعتزم أن يموت ، ازاء دناءة عاطفته التي لا تتفق مع الشرف ، الأمر الذي يرجو أن يتم في القريب !

وعندما سمع « جيسيبو » ذلك الحديث ، ولمس مبلغ أسى صديقه ، وقف لحظة ينتهبه التردد - وهو الذى كان يحب خطيبته ، ولكن بدرجة أكثر اعتدالا واتزانا ! - غير أنه آثر فى النهاية حياة صديقه ، وحمله الرثاء لحاله على أن ينخرط فى البكاء . ثم قال له :

- لولا انك يا تيتو أحوج منى الى راحة البال ، لعنفتك على تنكرك للصداقة باخفاء عاطفتك عنى كل هذا الوقت ! واذا فرضنا جدلا أن عاطفتك لا تتمشى مع الشرف والوفاء ، فلقد كان هذا أدعى لأن لا تخفيها اذا لم تكن كذلك .. فان واجب الصديق أن يفرح لما يرفع من شأن صديقه ، وليس أقل من ذلك أن يحاول ما استطاع أن يقصى عن قلب صديقه ما يراه دخيلا عليه !.. ولكن ، دعنا من هذا الموضوع لنتحدث فيما أنت أحوج الى أن أحدثك عنه .. فأنا لا يدهشنى قط أن تتدله فى حب سوفرونيا ، خطيبتى .. ولكنى كنت خليقا بأن أزداد دهشة لو كان الامر على العكس، نظرا لجمالها الخارق ، ولكرم نفسك التى تتأثر بالحب اذا سمت غايته ! .. ثم لماذا يدعوك حبك سوفرونيا ان تشكو - فى غير انصاف أو عدالة - من القدر ، لأنه وهبها اياى ، وتتمنى لو انها كانت لرجل آخر لا تربطك به صداقة ، مع انك يجب أن تكون اكثر اغتباطا اذ جعلها القدر من نصيبى أنا ، لأن شخصا آخر لا يهمه شأنك لن يفضلك على نفسه ، وهذا ما يجب أن تتوقعه منى اذا كنت تعتبرنى صديقك كما أعتبر نفسي فى الحقيقة والواقع !.. وحجتى فى ذلك اننى لا أذكر منذ بدأت صداقتنا اننى امتلكت شيئا الا واعتبرتك مالكا له كذلك ، بمثل ما أنا مالكه . وأنا أعتبرك كذلك فى هذا الأمر بالذات ، حتى بعد أن قطعنا شوطا كبيرا فى الاستعداد للزواج ، بحيث أصبح من العسير الغاؤه !! ولكن ، ما زال الامر عند حد أستطيع معه ان أخلعها عليك ، وسأفعل ذلك ، والا فكيف يكون قدر صداقتى عندك اذا كان هذا الأمر فى وسعى

ولم أفعله ؟ انها خطيبتي حقا ، وأنا أحبها حبا شديدافى الواقع، وأترقب بنفاد الصبر أن تتم اجراءات زفافها الى ، ولكن ٠٠ بما ان رغبتك ، بل حبك لها أقوى وأشد ، وبما انك أقدر منى على تقدير محاسنها، فثق اننى سوف أقودها الى مخدعك، لا كزوجة لى وانما كزوجة لـــك ! ولذا يجب ان تقلع عن هــذه الأفكار اليائسة ، وأن تتجرد من هذه الخواطر الملبدة بالسحب ، وان تسترد صحتك السابقة وأساريرك المشرقة ، وأن تتوقع ـ منذ هذه الساعة ـ أن تثاب على حبك ، وان تستكمله ، فأنت اكثر جدارة منى بهذه الفتاة !

وعلى الرغم من الفرح البالغ الذى غشى تيتو لتحقيق آماله ، شمله شعور جارف بالخزى ، جعله يحس أنه كلما تجلت أفكـار صديقه الكريمــة ، تجلى له أن من الخزى ان يقبل منه هــذه التضحية ، ولذلك لم يقو على قمع دموعه ٠ ثم قال فى صوت واهن :

ـ ان صداقتك الخالصة الكريمة يا جيسيبو ترسم لى ما يجب أن أعمله من ناحيتى ، وحاشاى أن أتخذ زوجة لى من جعلتهــا الأقدار من نصيبك ، لجدارتك عنى !٠٠ ولو ان الآلهة وجدت فيها الزوجة التى تناسبنى ، لهيأت لنا ذلك ٠ فتقبل مشكورا ما اخترته لنفسك ومنحتك اياه الآلهة ، و دعنى أفنى فى دموعى ، لأنى لا أستحق مثل هذه النعمة ، فاما تغلبت على هذا الحب فأظل على صداقتك ، أو يتغلب الهوى على ويقتلنى ، فينتشلنى الموت من التعاسة والشقاء !

فأجابه « جيسيبو » :

ـ يا صديقى العزيز ٠٠ اذا كانت صداقتنا الحميمة تسمح لى بأن أجبرك على أن تمتثل ارادتى فى شىء ما ، ففى هذا الشىء بالذات سوف أستـغل نفوذى عليك ٠ واذا أنت رفضت أن تتقبل توسلاتى وضراعاتى ، فاننى بهـذا الاكراه سـأحقق سعادة صديقي ٠٠ ذلك لأنني أعرف ما للحب من قوة ، وان

كثيرين ممن يتعبدون فى محرابه قد انتهى بهم الحب الى نهاية تعسة ! ٠٠ واني لأراك مشرفا على مثل هذا الخطر الذى تنوء تحت عبئه الباهظ بلا حول ولا قوة ٠ ولهذا ـ ان لم يكن ثمة سبب آخر ـ تجدنى أعتز بحياتك من أجل نفسى ، ومن ثم فسوف أعمل على ان تكون « سوفرونيا » من نصيبك ٠٠ **ولا شيء من الكرم في هذا ، لأن العثور على النساء أهون وأيسر من الحصول على الأصدقاء ، وفي وسعي أن أحصل على زوجة أخرى، ولكننى قد لا أجد مطلقا صديقا مثلك!٠٠ واننى لأوثر أن أنقل حبى الى امرأة أخرى ، عن أن أفقدك ٠ ولذا أتوسل اليك أن تتخلص من أساك ، كي تسعدنى وتسعد نفسك ، واستعد لأن تلقى الفرحة التى يتعطش لها حبك المشبوب !**

وكان تيتو فى خزى من أن يقبل ذلك العرض ، ولكن الحب ، والحاح صديقه ، أقنعاه آخر الأمر ، فأجاب : « اننى اذ أعمل بما ترجونيه ، لا أدرى هل هو لارضائك أو ارضائى ، ولكن ما جبلت عليه أنت من حرية الفكر والكرم ، قد تغلب على كل شعور فى نفسى بالمهانة والعار ، ولذلك سأعمل بما تأمرنى به ، ولكن تذكر اننى لا أعتبر انك أرضيتنى فى حبى فحسب ـ مهما يكن هذا الحب عظيما ! ـ ولكنك قد تجاوزت الى حد أن أتحت لى الحياة على يديك ، ولهذا فسأظل مدينا لك بنفسى التى بين جنبى ، وأضرع الى الآلهة أن تتيح لى الفرصة كى أدلل على مبلغ شكرى ، اذ أوليتنى من الحب والاعتبار أكثر مما كنت أوليهما نفسى ! »

فلما انتهى « تيتو » من اظهار شعوره نحو صديقه ، قال هذا : « لكى نوفق يا تيتو فيما سنتخذه من خطوات ، أرى من الأفضل أن نتبع الخطة التالية : أنت تعلم أن الاتفاق على زواجى من الفتاة قد تم بينى وبين أهلها ، فاذا أنا أعلنتهم برفضى زواجها ، أفضى ذلك الى فضيحة كبيرة ، وأكون قد أسأت ـ الى الأبد ! ـ الى علاقتى بهم ، وان كان الأمر الأخير

لا يهمني في كثير ، ما دام ذلك يطمئنني الى فوزك بها ، ولكني أخشى في مثل هذه الحالة أن يهبوها لشخص آخر ، فتفقد أنت مالم أظفر به أنا ! .. **أما اذا تدبرت الأمر جيدا ، لوافقت على ما أراه من أن أستمر في اجراءات الزواج ، ثم أحضر الفتاة الى منزلي كزوجة لي ، حتى اذا انتهت اجراءات الزفاف ، وضعتك سرا في فراشها كما لو كانت زوجتك ، الى أن يحين الوقت المناسب لاعلان ذلك على الملأ ، فاذا وافق أهلها على ذلك كان بها ، والا فسيكون السهم قد نفذ ، ولن تكون لهم ثمة حيلة في رده ، مما سيحملهم على قبول الأمر الواقع !**

وصادفت الخطة ترحيبا من « تيتو » ، فما ان استرد صحته، حتى جاء « جيسيبو » بالفتاة وسط مظاهر الفرح والابتهاج ، ثم ما لبثت النساء أن قدنها الى مخدع زوجها وانصرفن . وكانت حجرة « تيتو » تلاصق غرفة « جيسيبو » ، بحيث يمكن لأحدهما أن يدلف من احداهما الى الاخرى . فما ان أطفأ « جيسيبو » الشموع ، حتى مضى في صمت وهدوء الى «تيتو» يخبره بأن في وسعه الآن أن يمضى الى فراش السيدة . واستبد الخزى بتيتو ، فشعر بالندم وحاول ان يتراجع ،ولكن « جيسيبو » ـ الذى كان على الدوام صديقه الحميم بمثل ما كان يعتبر نفسه ـ مضى يلح عليه ، الى أن حمله على الذهاب اليها. ودلف تيتو الى فراشها ، وهو يسألها بصوت رقيق اذا ما كانت تقبل أن تكون زوجة له ، فلما ردت عليه بالايجاب ، وهي تحسبه « جيسيبو » ، تناول خاتما غاليا وضعه حول أصبعها، ثم قال :

ـ وسأكون أنا زوجا لك !

وبذلك ، تم زواجهما ، وهي تعتقد طوال الوقت أنها في أحضان « جيسيبو »

* * *

◆ **وحدث** في ذلك الوقت ان توفى والد تيتو ، وجاءته

رسائل تدعوه للرحيل فى الحال الى روما لأعمال خاصة ، فقرر أن يرحل من فوره ، وقد اعتزم أن يأخذ معه « سوفرونيا » و « جيسيبو » ، ولكنه لم يدر كيف يتأتى له ذلك دون أن يكشف الستار أولا عما تم . ولذلك دعاها الرجلان يوما الى حجرتها ، وأفضيا اليهـا بكل ما حدث . وذهلت الفتـاة ، وتولاها الارتبـاك ، وراحت تنتقل بنظراتهـا من أحدهما الى الآخـر . وأخيرا ، انفجرت باكيـة ، وأخذت تنعى على « جيسيبو » أن خدعهـا . ثم آثرت ـ قبـل أن تقيم الدنيا وتقعـدها فى ذلك المنزل ! ـ أن تمضى من فورها الى بيت والدها . وهناك ، صارحت والديها بتفاصيل تلك المكيدة ، مؤكدة انهـا ليست زوجة جيسيبو ـ كما يتوهمان ـ وانما زوجة تيتو !.. وغمر الحزن والديها بمثل ما شاع فى نفوس جميع أقاربها وأصدقائها ، الذين سخطوا كل السخط على جيسيبو. وكذلك امتعض أقارب جيسيبو امتعاضا بالغا ، وصـارحوه جميعا بأنه لا يستحق اللوم والتقريع فحسب ، وانما يستحق أقصى العقاب ! .. بيد أنه انشأ يبرر لهم فعلته ، معلنا انه جدير بالشكر لأنه زوج الفتاة من رجل يفضله !

أما تيتو ، فقد تتبع ذلك كله والقلق يعصف بوجـدانه . وكان يعـلم أن الاغريق جبـلوا بطبائعهم على اثارة الصخب والضجيج ، واقامة الدنيا ، اذا لم يلقوا من يعارضهم ، أما المقاومة ، فتسلس قيادهم ، وتحملهم على الاذعان والانصياع للأمر الواقع . ولما كان يتمتع بعبقـرية الاثينيين وروح الرومانيين الصادقة ، فقـد دعا جميع أصدقاء جيسيبو و سوفرونيا الى اجتماع فى المعبد ، ثم دخل عليهم دون أن يصطحب أحدا غير جيسيبو ، وواجههم قائلا : « **من رأى كثير من الفلاسفة أننا نحن البشر الفانون ، لا نعمل الا ما قـدرته علينا الآلهة الخالدة التى لا يدركها الفناء ، ومن ثم تستنتجون أن أعمالنا يتحكم فيها القدر وحده ، ووجب على من يحترم هذه**

العقيدة أن يفطن الى أنه اذا سمح لنفسه ان تعيب ما لا قبل لها بنقضه ومحوه ، فانه انما يشهر حربا على الآلهة التي يجب أن نؤمن بأنها تهيمن - بشرائع خالدة لا يجوز عليها الخطأ ! - سواء علينا أو على أعمالنا ! ٠٠ ألا ما أحمقنا وأجرأنا عندما نأخذ عليها تصرفاتها ، وماأحق بالعقاب من أولئك الذين يقدمون على مثل هذه الجرأة وتلك الجسارة ، وهو نفس ما اعتزمتم أيها الناس أن تتورطوا فيه ، اذا صح ما سمعته من انكم تثيرون ضجة متصلة بسبب زواجى بسوفرونيا التى أعطيتموها لجيسيبو ، دون أن تفكروا في ان الآلهة قدرت منذ البداية أن لا تكون زوجة له وانما زوجة لى ٠ ولما كان الحديث عن أسرار العناية الالهية أعقد من أن يفهمه سواد الناس ، فاننى أرتضى ما يقبله العقل البشرى ، فأقول اننى مكره على ذكر شيئين يختلفان مع طبيعتى ، وهما أن أزكى نفسى ، وان ألوم الآخرين أو أن أقلل من شأنهم !٠٠ ولكنى وقد اعتزمت أن أتوخى الحقيقة فى الحالين - لأن الأمر يتطلب منى ذلك - أقول ان شكواكم تنبعث من الغضب أكثر مما تصدر عن العقل ، اذ لاتنى معاول السب واللعن تهبط منكم على رأس جيسيبو ، لانه تكرم فخلع على السيدة التى أعطيتموها له ليتخذها زوجة٠٠

« على ان هذا العمل جدير بأكثر الثناء ، لسببين : أولهما ، لأنه انما قام بأنبل عمل من أعمال الصداقة ٠ وثانيهما ، لأنه تصرف بحكمة لم تواتكم فيما فعلتم ! ٠٠ ولن أتحدث الآن عن مدى ما تدفع أواصر الصداقة المقدسة الى عمله من أجل الصديق ، ولكنى سأقنع فقط بأن أذكركم بأنها أقوى من أواصر الدم !٠٠ **ذلك لأن أصدقاءنا هم من اختيارنا المحض ، أما قرابتنا فنتلقاها من أيدى القدر ٠ فاذا كان جيسيبو - الذى هو صديقي - قد رأى حياتى أثمن من خاطركم عنده ، فليس فى ذلك ما يدعوكم الى العجب والدهشة !** ٠٠ وسأريكم بمختلف الأمثلة كيف أثبت أنه أعقل منكم جميعا ، أنتم يا من لا تعرفون

سوى القليل عن العناية الالهية ، وأقل القليل عن التزامات الصداقة ! ٠٠ لقد أعطيتموه سوفرونيا لأنه سيد نبيل ، وفيلسوف كذلك ٠٠ أعطيتموها لأثينى فخلعها على رومانى ٠٠ أعطيتموها لرجل من أسرة كريمة فخلعها على رجل من أسرة أكرم ٠٠ أعطيتموها لشخص غنى فخلعها على شخص أغنى منه بكثير ٠٠ أعطيتموها لرجل لا يحمل لها سوى بعض التقدير ولا يكاد يعرفها فخلعها على رجل أحبها حبه لحياته !٠٠ فكروا اذن فيما قلته ، وأعلموا اننى شاب وفيلسوف مثل جيسيبو ، واننى على جانب كبير من الوسامة والعلم ، واننا فى سن واحدة ، واننا تلقينا نفس الدراسات !٠٠ واذا كان صحيحا انه أثينى ، وأنا رومانى ، فان أحدا لا يمكن أن يدعى وجود منافسة بين هاتين المدينتين ، لأن روما مدينة حرة مستقلة ، بينما ان أثينا تابعة تدفع الجزية لها ! ٠٠ وروما سيدة العالم كله ، بينما أثينا تحت رعايتها ٠٠ وروما قد اشتهرت بأسلحتها واتساع امبراطوريتها ، وبمختلف أنواع التعليم ، بينما ان أثينا لا تشتهر بغير قليل من الفلسفة ! ٠٠ واذا كنتم تروننى هنا طالب علم ، ولا كبير شأن لى ، فاننى لست متحدرا من حثالة الدهماء ، ذلك لأن منازلى وممتلكاتى فى روما زاخرة بتماثيل أجدادى ، كما أن سجلاتنا السنوية تشهد بالانتصارات التى لا حصر لها ، والتى كسبتها أسرتى للكابيتول ٠ ولم يقو الزمان على أن يلطخ ما أحرزناه من مجد ، وسيظل نور منازلنا الباهر هو هو ، لا يخبو الى الأبد ٠٠

« أما ثروتى ، فلن أتحدث عنها بدافع من الحياء فحسب ، وانما ــ وأرجو أن تذكروا هذا ــ لأن الفقر مع الفضيلة هو أنبل ما ورثه قدماء الرومان ! ٠٠ ولكن اذا كان لكم رأى يخالف ذلك ، فتحسبون ــ كالغالبية العظمى الجاهلة ! ــ أن السمو الحقيقى يتمثل فى الغنى والثراء ، ففى وسعى أن أخبركم بأننى فى سعة كبيرة ، لا نتيجة لجشع أو طمع ، وانما

عطية ونعمة من القدر ! ٠٠ واذا كنت أعترف انكم رغبتم فى مصاهرة جيسيبو لأنه من نفس مدينتكم ، الا اننى أتساءل لماذا لا أكون أنا موضع احترامكم الكبير فى روما ، اذا ما رغبتم فى ان يكون لكم صديق أمين يدافع هناك عن كل شئونكم ومصالحكم ، فى السر والعلانية ؟!

« فلكل هذه الاعتبارات ، أقرر أن جيسيبو كان أوفر منكم حكمة ، عندما زوج سوفرونيا من تيتو كنتو فلفيوس ، المواطن الرومانى النبيل ، الثرى ، الذى ينحدر من أسرة عريقة ، وأحد أصدقاء جيسيبو ! ٠٠ **وقد يقول بعضكم « اننا لا نعيب ما حدث ، وانما نعيب الطريقة التى تم بها ، وهو أن تصبح زوجة له ٠٠ خلسة ! » ٠٠ فهل يا ترى فى هذا ما يدعو للعجب ؟! ٠٠ ألا تتزوج فتيات دون رضاء آبائهن ؟ بل ان بعضهن يرحلن الى بلاد أجنبية مع عشاقهن ، وهن خليلات أكثر منهن حليلات ! والبعض الآخر لا يعلن للناس زواجهن ، حتى تظهر عليهن أعراض الحمل أو يجيئهن المخاض !! ٠٠ والآن ، أى شىء مثل هذا حدث لسوفرونيا التى خلعها جيسيبو على بكل أدب وشرف ؟ ٠٠ قد يزعم بعضكم أنها تزوجت من شخص لم يكن فى النية أن تزف اليه على الاطلاق ، ولكن هذا الزعم أصبح الآن غاية فى الحماقة ، ولا جدوى من ورائه ، لأن للقدر أحيانا وسائل عجيبة فى انفاذ مشيئته !٠٠** ثم ماذا يهمنى اذا كان من يتولى خدمتى اسكاف أو فيلسوف ، وسواء أكان ذلك فى السر أو الجهر ، ما دامت الخاتمة طيبة ؟ ٠٠ صحيح اننى اذا وجدت الاسكاف غير بصير بعمله ، قطعت ما بينى وبينه ، ولكنى مضطر مع ذلك أن أشكره ، ما دام قد أدى لى خدمة صادقة ٠ وبالمثل ، تزوج جيسيبو من سوفرونيا ، فاذا شككتم فى فطنته ، وجب أن تحاذروا فلا تتيحوا له فرصة التخلص من بناتكم مرة أخرى ٠٠ ولكن عليكم — مع ذلك — ان تشكروه على ما فعل ، ما دام لم يقصد الى تلطيخ أسرتكم

فى شخص سوفرونيا ••

« واذا كنت قد تزوجت فتاتكم على هذه الصـــورة ، فأنا لست بخائن أو برافض شرف مصاهرتكم ، وانما أنا رجـل سحرنى جمالها وخلبتنى عفتها ، وخفت ان أنا تقدمت اليكم بالطريق العادى ان لا تقبلونى ، خشية أن أحمل الى روما من تحبونها كل الحب ، ولذلك لجأت الى الحيلة ، وجعلت جيسيبو يتزوجها نيابة عنى ! •• أضيفوا الى ذلك اننى - رغم حبى لها هذا الحب الجارف - قد شبكتها بخاتمى ، لتحمله شاهدا على زواجنا ، بعد أن سألتها عما اذا كانت تقبل أن تكون زوجة لى و ردت بالايجاب • فاذا كانت الحيلة قد جازت عليها ، فهى الملومة ، لأنها لم تسألنى من أكون ! •• هذه هى كل جريمتى كمحب ، وجريمة جيسيبو كصديق •• أفمن أجل ذلك تنصبون له الفخاخ ، وتتوعدون حياته ؟!

« والآن ، فلندع هذا جانبا ، فقد آن لى أن أعود الى روما ، بعد أن توفى والدى فجأة وعلى غير انتظار • وقد عولت على أن آخذ معى سوفرونيا ، ولذلك رأيت من اللائق والواجب أن أصارحكم بما كان يمكن ان يظل سرا فى الكتمان • فاذا كنتم عقلاء ، أحسنتم الظن بى ، أنا الذى كان فى وسعى أن أتركها بكل نذالة ووضاعة • ولكن حاشا لله أن يعتلج فى صدر رومانى مثل هذا الخاطر !! ان ســوفرونيا ملك لى بمشيئة السماء ، وقوانين الناس ، وكرم صديقى ، والحيلة البريئة التى ألهمنى الحب اياها ، بينما أنتم - يا من تحسبون أنفسكم أحكم وأعقل من سائر الناس ، بل من الآلهة نفسها ! - تجادلون فى تلك المشيئة القدسية بوسيلتين ، كلتاهما خطر على : أولاهما ، حجز سوفرونيا التى لا تملكون عليها سلطانا أكثر مما أرضى بمنحه لكم ، وثانيتهما ، معاملتكم السيئة لصديقى الذى تدينـــون له بالشكر !! •• ولا أقول الآن : ما أقـل تبصركم فى الحالين ، ولـكننى أنصحكم نصيحة ودية ، هى أن تتخـلوا عن تبرمكم

وسخطكم ، وأن تسلموني سوفرونيا لأرحل صديقا لكم وأظل على ذلك . وأؤكد لكم - سواء أرضيتم أم لم ترضوا بما فعلت - انكم اذا آثرتم أن تلجأوا الى وسيلة أخرى ، فانني سآخذ معي جيسيبو أيضا ، حتى اذا ما عدت الى روما ، لم تجدوا وسيلة لاستعادة من غدت من حقي برغمكم جميعا ! .. كذلك يجب ان تكونوا عقلاء ، فتقدروا معنى التورط في اثارة سخط الرومانيين عليكم !! »

وبعد أن انتهى تيتو من حديثه ، تناول ذراع جيسيبو ومضى معه ، وقد زوى ما بين حاجبيه ، وأظهر كل دلائل الغضب والضيق لجميع من كانوا في المعبد ، بينما تأثروا هم بعض الشيء بالمبررات التي ساقها ، كما ساورهم الخوف من كلماته الأخيرة المتوعدة ، فآثروا أن يرضوا بمصاهرته لهم ، بعد أن رفضها جيسيبو، على أن يفقدوا مصاهرة أحدهما ويكتسبوا عداوة الآخر ! .. ولذلك ما لبثوا أن أجمعوا رأيهم وأخبروه بأنهم موافقون على أن يأخذ معه سوفرونيا ، وأنهم يعتبرونه صهرا لهم ، ويعتبرون جيسيبو صديقا . ثم انصرفوا بعد ذلك الاتفاق الخطير فسلموه سوفرونيا . وكانت هي قد امتثلت للأمر الواقع ، ونقلت الى تيتو كل الحب الذى كانت تكنه لجيسيبو ، ثم سافرت معه الى روما حيث استقبلت بمظاهر الاجلال والتعظيم

* * *

◆ **وظل** جيسيبو في أثينا ، لا يوليه الناس غير قليل من التقدير والاحترام ، وتألفت أحزاب قوية ما زالت تعمل ضده حتى تمكنت من اقصائه عن المدينة ، ثم حكمت عليه وعلى أسرته بالنفي الأبدي ! .. فلما أصبح - هكذا - بلا صديق، ولا يعدو ان يكون متسولا عاديا ، رحل الى روما ليرى هل سيحفل تيتو بأمره ويرد له جميله . حتى اذا وجده حيا يرزق،

وصاحب حظوة عند الرومان ، تحـرى عن منزله ، ثم ذهب اليه ، وأخذ ينتظر فى الخارج حتى يمر به صديقه القديم ٠ ولكن تيتو مر به دون ان يعرفه ، بسبب فقره البادى ، فظن جيسيبو أنه قد رآه ، ولكنه استخف به ! ٠٠ وتذكر ما فعله لأجله من قبل، فابتعد عن منزله يبلبل خاطره الحزن والقنوط!

وهبط الليل اذ ذاك ، ولم يكن جيسيبو قد تنـاول أى طعام خلال النهار ، نظرا لخلو جيبه ، فشعر برغبة ملحة فى الموت ، ومضى يهيم على وجهه فى الطرقات ، حتى بلغ ناحية موحشة من المدينة ، عثر فيها على خان تسلل اليه وقد اعتزم ان يقضى فيه ليلته ٠ وهناك ، استلقى وهو شـبه عار على الأرض الصلبة القاسية ، وانشأ يبكى حتى غلبه النوم

وفى تلك الليلة ، وفد على الخان لصان ظلا يمارسان حرفتهما حتى مطلع الفجر ، ثم قدما الى ذلك المكان ليقتسما أسلابهما ٠ وسرعان ما دب الخلاف بينهما ، فقتل أقواهما زميله وانصرف من فوره ٠ وشـاهد جيسيبو الجريمة وهى ترتكب أمامه ، فاعتقد أنه قد وجد السبيل الى الموت الذى ينشده ، دون أن يقتل نفسه بيده ٠ ومن ثم بقي فى المكان حتى جاء الضباط ، بمجرد ابلاغهم أمر تلك الجريمة ، فساقوه أمامهم على الفور ٠ وعندما استجوبوه ، اعترف بأنه ارتكب تلك الجريمـة ، ثم خانته قواه فلم يقو على مبارحة مكانه بعد ذلك ! ٠٠ وكان أن حكم عليه القاضى « ماركو فارو » بأن يصلب ، اذ كان الصلب هو عقوبة الاعدام فى ذلك الحين

★ ★ ★

◆ **واتفق** أن قدم تيتو مصادفة الى ساحة القضاء فى ذلك الوقت ، فتأمل مليا وجه السجين ، واستمع الى حيثيات اتهامه، فعرف فيه على التو جيسيبو ! ٠٠ وعجب كل العجب لتنكر الحظ له ، وقدومه الى تلك المدينة ، فعول على أن ينقذه بأى ثمن ٠ ولما لم يجد سبيلا الى ذلك ، استقر رأيه على ان يتهم

نفســـه بارتكاب الجريمة ، ومن ثم خطا الى الأمام فى عزم واصرار ، ثم صاح يخاطب القاضى بصوت جهير : **أرجو ان تراجع حكمك يا ماركوفارو ، لأن الشخص الذى أدنته برىء ! .. ذلك لانني أنا الذى أغضبت الآلهة بقتل ذلك الرجل الذى وجده الضباط مذبوحا ، في هذا الصباح بالخان .. فلا تمعن فى اغضابها بقتل شخص آخر برىء !**

واستبدت الدهشة بالقاضى ، وأحزنه أن سمع الحاضرون جميعا ذلك التصريح الخطير . ولما لم يستطع ـ نظرا لمركزه ـ أن يتغاضى أو أن يغير فى مجرى القوانين ، فقد أمر جيسيبو بالتراجع قليلا ، ثم قال لتيتو :

ـ كيف تبلغ بك الحماقة أن تعترف ، دون أن يعذبك أحد، بجريمة أنت منها برىء ، فتعرض حياتك للخطر ؟! .. انك تدعى أنك الشخص الذى ذبح الرجل ، وها هو شخص آخر يقر ويعترف بأنه الفاعل !

ورفع جيسيبو عينيه ليرى تيتو ، ويدرك أنه قد أقدم على تلك التضحية ليرد له صنيعه وما لقيه منه من افضال . ولكنه قال وهو ينخرط فى البكاء : « الواقع يا سيدى أننى قتلته ، وان اهتمام تيتو بسلامتى جاء بعد الأوان ! »

فصاح تيتو قائلا : « لاحظ يا ماركو فارو أن هذا الرجل غريب عن هنا ، وأنه عثر عليه بجانب القتيل وهو أعزل من كل ســلاح . وفى وسعك أن تدرك أن الفقر هو الذى أغراه بطلب الموت .. فاطلق سراحه ، وعاقبنى أنا ، لأننى أستحق هذا العقاب !

وتملكت الدهشة « فارو » ازاء اصرار كل منهما على اتهام نفسه ، وحدثته نفسه ـ رغم ذلك ـ بأن الاثنين بريئان !.. وفيما كان يفكر فى وسيلة لانقاذهما معا ، تقدم شاب يدعى بابليو ـ وهو شرير سىء السمعة ، اشتهر بأنه لص ، بل هو نفس الرجل الذى ارتكب تلك الجريمة ! ـ فلما رأى كلا من

الشابين يتهم نفسه ، دفعته « النخوة » الى ان يتقدم للقاضى قائلا : « **لقد ساقتنى الأقدار الى هنا لأحل هذه المشكلة ٠٠ وان الآلهة ، أو قوة خفية فى أعماقى ، لتحثنى على أن أعترف بجريمتى ! ٠٠ فاعلم يا سيدى أن المجرم ليس واحدا من هذين الشخصين اللذين يتهمان نفسيهما ، لاننى أنا الذى قتلت الرجل فى ساعة مبكرة من صباح اليوم ٠ وبينما كان هذا المسكين نائما فى الخان ، كنت أنا والقتيل نقتسم الغنيمة ! ٠٠ أما تيتو ، فلا دليل يؤيد ما قاله عن نفسه ، خاصة وان أخلاقه لا غبار عليها ! ٠٠ ومن ثم فقد وجب ان تطلق سراحهما ، لألقى أنا ما يقضى به القانون !**

* * *

• **وسرعان** ما أبلغ الأمر للامبراطور «اوكتافيوس قيصر» ، فرغب فى معرفة ما دفع الثلاثة الى اتهام أنفسهم هكذا ٠ وجئ بهم الى حضرته ، ليقص عليه كل منهم حقيقة أمره بالتفصيل ، فكان ان أطلق سراح الصديقين لأنهما بريئان ، كما عفا عن الثالث اكراما لهما ٠ وعندئذ ، أخذ تيتو صديقه جيسيبو الى منزله ، بعد أن أنحى باللائمة عليه ، لانعدام ثقته فيه ، وعدم ايمانه بصداقته !

واستقبلته سوفرونيا بأقصى مظاهر الحب والود ، ثم راحت تواسيه لما كابده فى الأيام الماضية ٠ وسرعان ما قدم له تيتو بعض ملابسه ، ثم اقتسم معه كل ما يمتلك ، ومنحه اخته الشابة (فولفيا) لتكون زوجته ، ثم قال له :

ـ لك الخيار يا جيسيبو فى أن تمكث عندى أو تعود الى اليونان بكل ما أعطيتك !

وكان جيسيبو متأثرا بنفيه من ناحية ، وبحبه وصداقته لتيتو من ناحية أخرى ، فوافق على أن يبقى فى روما ، حيث عاشوا جميعا فى منزل واحد : هو مع فولفيا ، وتيتو مع سوفرونيا ٠٠ فى سعادة متبادلة يمتد ظلها الوارف مع الأيام!

صلاح الدين .. والفارس الايطالى

قال « بامفيلو » يمهد لقصته ، حين جاء دوره ، عقب « فيلومينا » مباشرة :

« من المؤكد كل التأكيد - يا سيداتى - ان فيلومينا على حق فيما قالته عن الصداقة ، وان لها حقا أن تشكو ، آخر الأمر ، من أن تكون الصداقة ضئيلة القيمة بهذا القدر ، لدى الجنس البشرى ! .. ولو اننا كنا مجتمعين هنا لنصحح أو نعدل ذنوب العصر ، لقلت الكثير فى سبيل هذا الغرض . أما وهذا بعيد عن غايتنا ، فاننى أعتزم ان أروى - فى قصة طويلة ، ولكنها مسلية - نبأ تصرف من التصرفات العديدة ، المجيدة ، التى صدرت عن « صلاح الدين الأيوبى » .. ومنها نرى انه اذا كنا - لعجزنا ونقصنا - لا نملك ان نحظى بصداقة أى امرىء ، فخليق بنا ان نجد سرورا فى الجنوح الى الأمل فى ان يكون للصداقة جزاء فى يوم ما ! » :

◆ **صدر** فى عهد الامبراطور « فردريك » الأول ، قرار بشن حرب صليبية عامة ، بقيادة جميع الأمراء المسيحيين ، لاسترداد الأراضى المقدسة . وترامى هذا العزم - أول ما ترامى - الى اذنى « صلاح الدين » ، وكان عاهلا فاضلا ، تقيا ، يتبوأ اذ ذاك سلطنة (بابل) ، فقرر ان يتولى بنفسه الاشراف على الاستعدادات التى تتخذ لتهيئة أكمل دفاع عن الأراضى المقدسة . ومن ثم ركز كل شئونه فى مصر ، واصطحب اثنين من أعقل نبلاء حاشيته وأرفعهم مقاما ، وثلاثة من الخدم فقط ، ثم رحلوا جميعا فى ثياب التجار ، وكأنهم ذاهبون الى الحج . وبعد ان اجتازوا كثيرا من الدول المسيحية ، واجتازوا - على ظهور جيادهم - سهل (لومباردى) ليعبروا الجبال ، انتهوا فى المساء الى مكان بين (ميلان) و (بافيا) ، حيث التقوا بسيد من (ايستريا) يدعى « توريللو » ، فى طريقه للصيد

والقنص ، ساعيا مع صقوره ، وكلابه ، وخدمه ، الى بيت ريفى كان يمتلكه عند نهر (تسينو)

وما ان رآهم « توريللو » ، حتى أيقن انهم أغراب ، من أصل طيب ، فتولته الرغبة فى ان يبدى لهم كرمه ٠ لذلك لم يكد « صلاح الدين » يسأل واحدا من خدم « توريللو » عن المسافة الباقية الى مدينة (بافيا) ، وعما اذا كان بوسعهم ان يبلغوا المدينة قبل ان تغلق أبوابها ، حتى أجاب بنفسه : « من المستحيل ان تبلغوا المدينة ، أيها السادة ، قبل ان تغلق أبوابها » ٠٠ فقال صلاح الدين : « اذن ، أرجو ان تخبرنا عن خير مكان نستطيع ان نجد فيه مأوى و قوتا ، لأننا أغراب ! » ٠٠ فأجاب توريللو : « سأفعل هذا من كل قلبى ٠٠ لقد كنت موشكا ان أوفد رجلا من اتباعى الى مكان بالقرب من (بافيا) ، فى مهمة خاصة ٠٠ ولسوف يرافقكم ، ويقودكم الى مكان تستطيعون ان تجدوا فيه الراحة الكافية »

ومن ثم انتحى جانبا بشخص من أكثر أتباعه استئثارا بثقته ، وبعد ان أنبأه بما ينبغى ان يفعله ، أوفده مع الأغراب ، بينما اتجه بأسرع ما فى وسعه عائدا الى داره ، من طريق أخرى ٠ وهناك ، أمر باعداد عشاء شهى بقدر ما كان الوقت يسمح ، ثم مدت الموائد فى الحديقة ٠٠ حتى اذا تم ذلك ، ذهب « توريللو » بنفسه الى الباب ، لينتظر الأغراب ٠٠ اذ كان خادمه قد سلك بهم طريقا متعرجة ، وهو يثرثر معهم ، حتى قادهم — فى النهاية ، ودون ان يفطنوا الى غايته — الى دار مولاه ٠ وما ان رآهم « توريللو » حتى تقدم اليهم فى بشاشة ، وقال : « أهلا بكم وسهلا يا سادة ٠٠ انى أرحب بكم من كل قلبى ! »

ولما كان « صلاح الدين » عظيم الذكاء ، فقد أدرك لفوره ان الفارس خشى ان لا يقبلوا دعوته لو انه كان قد دعاهم عندما التقى بهم لأول مرة ، ومن ثم ابتكر هذه الحيلة حتى لا يحرم

من متعـــة استضافتهم . لذلك رد « صلاح الدين » تحية « توريللو » ، وهو يقول : « اذا جاز لشخص ان يشكو من اكرام شخص آخر له ، لكان لنا ان نلومك ، اذ اضطررتنا ـ دون ان يكون بيننا أكثر من تحية عابرة ـ الى ان نتقبل مثل هذه الحفاوة البالغة ! » .. ولما كان توريللو حكيما ، ولبقا ، فقد أجاب : « ان ما تلقونه منى يا سادة ، ليس سوى احترام متواضع ، اذا قورن بما ينبغى لكم ، على هدى ما ألمســه من ملامحكم ! .. والواقع ان ليس في (بافيـــا) مكان ملائم تستطيعون ان تنزلوا فيه . ومن ثم فأرجو ان لا يضايقكم ان تنحرفوا عن طريقكم قليلا، لكى تنزلوا منزلا أقل ازعاجا لكم !»

.. واذ قال ذلك ، تقدم الخدم فأمسكوا بأعنة الجياد ، بينما هبط « صلاح الدين » وزميلاه عن متونها ، ثم اقتيد السادة الثلاثة الى غرف أعدت لهم ، حيث نزعت عنهم أحـــذيتهم ، واغتسلوا ، وأخذوا يتجاذبون أطراف الحديث ، حتى حان موعد العشاء

وكان « صلاح الدين » وزميلاه يجيدون اللغة اللاتينية كل الاجادة ، ومن ثم كان التفاهم سهلا . وبدا « توريللو » فى نظرهم أمجد ، وأكمل ،وأبلغ رجل التقوا به فى حياتهم . كذلك أدرك « توريللو » ـ من ناحيته ـ انهم من ذوى المكانة الرفيعة، والمحتد النبيل ، وانهم فوق كل ما حدسه عندما رآهم ، ومن ثم ساءه ان لا يستطيع ان يكرمهم الاكرام الذى يليق بمراكزهم . على انه عول على ان يعوضهم عن ذلك فى اليوم التالى . وبعد ان أدلى الى خدمه بما ينبغى ان يفعلوه، أوفد أحدهم الى (بافيا) ، التى كانت جد قريبة ـ ولم تكن لها أبواب تغلق !ـ حيث كانت تقيم زوجته ، وهى سيدة رفيعة المقام ، عظيمة الادراك !

ثم صحب ضيوفه ـ بعد ذلك ـ الى الحديقة ، حيث سألهم فى لباقة عمن يكونون ، فأجاب صلاح الدين : « اننا تجار من قبرص ، نسعى الى باريس ، فى بعض شئوننا ! » .. فقال

توريللو : « لكم أتمنى لو ان بلادنا أنجبت سادة على شاكلة تجار قبرص ! » ٠٠ وهكذا راحوا يتنقلون من موضوع الى آخر ، حتى حانت ساعة العشاء ، فقدم لهم الطعام فى اتساق، ونظام ، على غير ما كانوا يتوقعون ٠ وبعد فترة قصيرة من رفع الموائد ، حدس « توريللو » ان ضيوفه متعبون ، فأمر باقتيادهم الى غرفهم ، حيث كانت السرائر الفخمة ، الوثيرة ، معدة لهم، ثم لجأ بدوره الى مخدعه

★ ★ ★

◆ **أما** الخادم الذى أوفد الى (بافيا) ، فقد حمل الرسالة الى السيدة زوجة سيده ـ التى بادرت بمسلك لم ينم عن أنوثة فحسب ، وانما نم أيضا عن جلال ملكى صادق ! ـ فجمعت عددا كبيرا من أصدقاء «توريللو» وخدمه ، ودبرت كل ما يلزم لوليمة عظيمة ، حافلة ، وأوفدت الرسل ـ على أضواء المشاعل ـ فى أرجاء المدينة ، لدعوة معظم النبـلاء ، والاغنياء ، ثم فرشت جميع الغرف بأبسطة من القصب ، وعلقت ستـائر بديعة ، ومخمليات ٠٠ تنفيذا لتعليمات زوجها

وفى الصباح الباكر ، نهض السادة من نومهم ، فامتطوا جيادهم مع « توريللو » ، الذى أمر بنقل صقوره الى بحيرة مجاورة ، حيث قضوا بعض الوقت فى القنص ٠ على ان «صلاح الدين» لم يلبث ان سأل أحد الأشخاص ان يرشده الى خير فندق فى (بافيا) ، فقال توريللو : « سأقوم أنا بهذا ، فان لدى مهمة هناك ! » ٠٠ وهكذا ركب « صلاح الدين » وزملاؤه معه ، فوصلوا الى (بافيا) فى نحو الساعة التاسـعة من الصباح ٠ وبينما كان الأغراب يظنون ان « توريللو » يقودهم الى خير فندق ، اذا به يستدرجهم الى قصره ، حيث كان ثمة خمسون من أعيان المدينة متأهبين لاستقبالهم ٠ وما ان لمح « صلاح الدين » وزميلاه ذلك ، حتى حدسوا ما جرى، فقالوا : « ما كنا نرغب فى هذا يا سيدى ٠ لقد أكرمتنا ليلة أمس بما

فيه الكفاية ، وبما يفوق ما كنا نرجو ، ومن ثم فخليق بك الآن ان تدعنا نواصل رحلتنا ! » • فأجابهم قائلا : « **لقد كنت ليلة أمس مدينا للحظ أيها السادة ، اذ ساقكم الى طريقى ، فى ظروف لم يكن لكم فيها مفر من ان تنزلوا بدارى الريفية المتواضعة • أما الآن ، فسوف أكون مدينا لكم — ويشاطرنى كل هؤلاء النبلاء المحيطين بكم — اذا أبى كريم خلقكم ان ترفضوا تشريفى بتناول الغداء على مائدتى ! »**

وهكذا تغلب على معارضتهم ، فترجلوا عن جيادهم ، حيث استقبلهم الجمع بحفاوة ، وغبطة ، واحترام • واقتيدوا الى عدد من الحجرات فرشت بأفخم الرياش ، ليستريحوا فيها • وما ان خلعوا ثياب الركوب ، وتناولوا بعض المرطبات ، حتى طلعوا على القوم ، فى قاعة كبيرة • وبعد ان غسل الجميع أيديهم ، جلسوا فى انتظام ، ثم مدت مائدة ما كان الامبراطور ليحظى بأفضل منها ، لو انه كان موجودا ! •• بل ان « صلاح الدين » وزميليه ، لم يتمالكوا ان دهشوا لها ، وهم الذين اعتادوا على كل ألوان الرفاهية والكرم !•• وزادهم دهشة ان تبينوا مقام مضيفهم الذى حسبوه — فى البداية — مجرد سيد من علية القوم !

وعندما رفعت المائدة ، وتجاذب القوم أطراف الحديث بعض الوقت ، استأذن وجهاء (بافيا) فى الانسحاب ، اذ اشتدت حرارة الجو • وخلا « توريللو » الى ضيوفه الثلاثة ، فدعاهم الى قاعة للجلوس ، وهناك ، أبى ان يظل شىء مما يعتز به خافيا عنهم ، فبعث يستدعى زوجته • وسرعان ما أقبلت عليهم بجمالها الفذ ، وقامتها المديدة ، ومظهرها المهيب ، يحف بها ابناها الصغيران ، وقد لاحا كما لو كانا من الملائكة ! •• وحيت السيدة الضيوف فى عظمة وجلال ، فبادروا الى النهوض ، واستقبلوها فى تجلة واحترام ، ثم أجلسوها ، وأولوا الطفلين رعاية بالغة !

ودار الحــديث بينهم بعض الوقت ، ثم غادر « توريللو » الحجرة ، فشرعت السيدة تسألهم فى تواضع ولطف عن البلد الذى قدموا منه ، والمكان الذى كانوا يقصدون اليه ، فأجابوها بعين ما أجابوا به « توريللو » من قبل . فقالت فى بشاشة : « اذن ، فلعل خطتى المتواضعة تلقى لديكم قبولا يا سادة .. فأرجو ان تسدونى صنيعا بأن لا تستخفوا بالهدية الصغيرة التى أريد ان أقدمها لكم ، وان تراعوا ان النساء لا يقــدمن سوى هدايا صغيرة تتناسب وامكانياتهن البسيطة .. ومن ثم آمل ان تتقبلوها تقديرا لحسن نية مهــديتها ، دون مراعاة لقيمتها ! »

وأمرت باحضار ثوبين لكل منهم ــ أحدهما مبطن بالحرير ، والآخر مبطن بالفراء ــ أكثر ملاءمة لكبار السادة منهما للمواطنين العاديين أو التجار ، وكذلك ثلاث عباءات لثلاثتهم ، وقالت : **« ألا تقبلوا هذه الأشياء يا سادة ، فانى أكسوكم كما أكسو زوجى ، آملة ــ وأنتم جد بعيدين عن ان تحظوا بخــدمات زوجاتكم ، ولا تزال أمامكم رحلة طويلة ! ــ ان تفيدوا من هذه الهدية رغم ضآلة قيمتها ، لا سيما وانكم ، معشر التجار ، تحبون ارتداء النظيف الأنيق من الثياب ! »**

★ ★ ★

◆ **واستولى** الذهول على الضــيوف حين رأوا ان الســيد « توريللو » لم يدع مظهرا لاكرامهم الا واتخذه !.. وداخلهم الريب ــ فى الوقت ذاته ــ فى ان تكون حقيقتهم قد وضحت . وما لبث أحدهم ان قال فى النهاية : « ان هذه لهدية عظيمة يا سيدتى ، بل انها لمن الفخامة بدرجة ما كان لنا معها ان نتقبلها ، لولا انك تخلعينها علينا ، فلسنا نملك سوى الاذعان ! »

وكان زوجها قد عاد فى تلك الأثناء ، فاستأذنت ، وانصرفت لتخلع على خدمهم خلعا مناسبة . وألح « توريللو » على السادة ان يمكثوا طوال ذلك اليوم ، فقبلوا دعوته . وبعد ان استراحوا

قليلا ، ارتدوا الثياب الجديدة ، ورافقوا مضيفهم فى جولة - على ظهور الجياد - حول المدينة ، حتى اذا عادوا ، وجدوا فى انتظارهم استقبالا عظيما ، وجلسوا الى العشاء مع علية القوم . فلما حان موعد النوم ، أووا الى مخادعهم ، حتى اذا أسفر الصباح ، وجدوا - بدلا من جيادهم المضناة - ثلاثة جياد قوية ، أصيلة ، مع جياد جديدة لخدمهم . فما ان رأى صلاح الدين ذلك ، حتى تحول الى زميليه قائلا : « **أقسم اننى لم أصادف مثل هذه الحفاوة الكاملة ، ولا مثل هذا السيدالواسع الافق .. ولو ان ملوك المسيحيين كانوا على هذه الشاكلة ، لما قدر لسلطان (بابل) ان يقف ضد واحد من أولئك الذين يتأهبون الآن لغزو بلاده !** »

واذ أدرك ان لاجدوى من محاولة رفض هذه الهدايا ، أو تقديم ما يقابلها ، قدم من الشكر ما كان واجبا ، ثم امتطى وأتباعه جيادهم ، فرافقهم « توريللو » وعدد كبير من أصدقائه الى مسافة كبيرة خارج المدينة . ومع ان « صلاح الدين » حزن للفراق ، الا انه كان مضطرا للرحيل ، فرجا « توريللو » ان يرتد عائدا . وأجاب هذا ، وهو كاره للفراق : « سأعود يا سادة ، ما دامت هذه رغبتكم . على اننى أريد ان أقول لكم هذا : **اننى لا أعرف من تكونون ، ولا أنشد معرفة شيء فوق ما رغبتم فى ان أعرف ، ولكن .. كيفما كنتم ، فلن يقدر لكم ان تقنعونى بأنكم تجار .. والآن ، أستودعكم الله !** » ..
وهنا ودع « صلاح الدين » الجمع كله ، ثم التفت الى «توريللو» قائلا : « قد تتاح لنا فرصة نريك فيها بعض تجارتنا يا سيدى ، لتطمئن الى حقيقتنا .. على اننا الآن ، نستودعك الله ! »

وهكذا رحل « صلاح الدين » ، وقد عقد العزم على ان يبدى للسيد « توريللو » اكراما لا يقل عما لقى منه ، اذا قدر له ان يعيش ، واذا لم تحل الحرب المقبلة دون ذلك . وراح يتحدث مع زميليه عنه ، وعن زوجته ، وعن كل ما قال أو فعل ،

مطريا الجميع ، مشيدا بذكرهم · وبعد ان طاف بالغرب كله ، في رحلة لم تكبده قليلا من الجهد والعناء ، استقل سفينة الى (الاسكندرية) ، مزودا بكل صغيرة وكبيرة ، متأهبا لدفاع قوى ، منيع !

★ ★ ★

• عاد السيد « توريللو » الى (بافيا) تتنازعه الاستنتاجات فيمن يكون هؤلاء الثلاثة · على انه كان - فيها جميعا - أبعد ما يكون عن الحقيقة · وكان الوقت الذى تقرر ان ترحل فيه القوات المسيحية يقترب ، وقد قامت الاستعدادات على قدم وساق فى كل مكان · وقرر «توريللو» ان يذهب مع الذاهبين، رغم دموع زوجته وتوسلاتها · ومن ثم أعد عدته ، وفيما كان يهم بامتطاء جواده ، قال لزوجته التي كان يحبها بكل جوارحه : « **انك لترين يا عزيزتي اننى انما أذهب مع هذه الحملة لأنشد مجد الدنيا ، وطمأنينة الروح في الآخرة · واني لأسلمك شرفي ومالى وديعة ! ·· واذا كان رحيلي مؤكدا ، فان عودتي غير أكيدة ، نظرا لآلاف الحوادث · لذلك لا أسألك الا فضلا واحدا : ليجر لى ما يجرى ، فاذا لم يصلك نبأ مؤكد عن وجودى على قيد الحياة ، فليس لك ان تمكثى دون زواج سوى عام واحد ، وشهر واحد ، ويوم واحد ، بعد يوم رحيلي هذا !** » ·· فأجابت السيدة وقلبها يتفطر من شدة البكاء : « لست أدرى ، يا زوجى العزيز ، كيف سأقوى على احتمال الأسى الذى تتركنى فيه ، ولكننى لو عشت ، وجرى لك أى ضر ، فلك ان تعيش وان تموت وأنت واثق من اننى سأعيش وأموت زوجة لتوريللو ، وفية له ولذكراه ! » ·· فقال : « لست أرتاب فى انك ستنفذين ما تعدين به ، بقدر ما فى وسعك · ولكنك شابة ، وجميلة ، وطيبة الأصل ، وقد أوتيت من الفضائل ما عرفه الجميع ، ومن ثم فلا يساورنى أقل شك فى انه اذا ما تناولت الشكوك مسألة حياتى وموتى ، فان كثيرا من كبار السادة

والنبلاء سيقبلون ويطلبون يدك من اخوتك وأهلك ، ولن تقوى على صد توسلات هؤلاء وضراعاتهم الملحة ، مهما يكن اصرارك ، ومن ثم فستنتهين الى الرضوخ . ومن أجل هذا السبب أردت ان أقيدك بهذا الوعد ، ولن أسألك لحظة واحدة أكثر من تلك الفترة ! » .. فقالت السيدة : « سأبذل كل ما فى طوقى لأنفذ وعدى ، ولكنك خليق بأن تطمئن الى اننى - اذا قدر لى ان أتعرض لضغط - سأصدع بما تريد ، وان كنت أدعو الله ان لا تتطور الأمور الى مثل هذا الموقف ، سواء لك، أو لى » .. ثم عانقته ، ساكبة من الدمع فيضا مسترسلا ، وانتزعت من حول اصبعها خاتما أعطته اياه ، قائلة : « اذا قدر لى ان أموت قبل عودتك، فتذكرنى كلما رأيت هذا الخاتم !»

وتقبل الخاتم ، ثم ودع كل امرىء ، وامتطى جواده . وانطلق مع خاشية فخمة الى (جنوا) ، حيث استقلوا جميعا سفينة ، حتى اذا بلغوا (عكا) ، انضموا الى الجيش المسيحى ، الذى كان قد تفشى فيه اذ ذاك وباء فتك بعدد كبير من الأفراد ، فما لبثت الفئة القليلة التى تبقت ان وقعت فى أسر « صلاح الدين » ، وشتتت أفرادها فى سجون المدن المختلفة . وكان « توريللو » بين هؤلاء ، وقد طوح به الحظ الى (الاسكندرية) ، حيث دفعته الضرورة الى ان يعنى بالصقور التى كان جد خبير بها ، مما لفت اليه نظر « صلاح الدين » ، فاتخذه أمينا على صقوره ! .. ولم يتذكر « توريللو » - الذى لم يعرف هناك بأى اسم سوى « المسيحى » - السلطان، ولا السلطان تذكره. ولم يكن يفكر فى غير (بافيا) . وكثيرا ما حاول الهرب ، ولكنه لم يوفق . على ان عددا من الرسل أقبلوا من (جنوا) يفاوضون السلطان بصدد افتداء بعض مواطنيهم. وفيما كانوا يهمون بالرحيل ، قرر « توريللو » ان يكتب لزوجته ، ليعلمها بأنه على قيد الحياة ، وانه سيعود الى الوطن بأسرع ما يستطيع، راجيا اياها ان تترقب مقدمه بين يوم وآخر . بل انه التمس

من أحد الرسل ان يحمل رسالة أخرى الى مطران كنيسة « سان بييترو » فى (سييل دورو) ، الذى كان عما له !

* * *

◆ **وفيما** كان « توريللو » فى أسره ، قدر له يوما ، وهو يحدث « صلاح الدين » عن صقوره ، ان يضحك ، محدثا حركة بشفتيه كانت قد استرعت انتباه « صلاح الدين » حين كان فى داره ببافيا ، فتذكره السلطان فى الحال ، وأنعم النظر فيه ، فتأكد من انه عين الشخص الذى أكرمه ، ومن ثم تحول عن موضوع الحديث قائلا : « نبئنى أيها المسيحى ، من أى بلاد الغرب أنت ؟ » .. فأجاب : « اننى يا مولاى لمباردى ، ولدت فى مدينة تدعى (بافيا) ، ولكننى رجل فقير لا مكانة له ! » .. فازداد صلاح الدين تأكدا مما ساوره ، وقال لنفسه فى ابتهاج : « لقد أتاح لى القدر الفرصة كى أريه جزاء اكرامه لى ! » . ومن ثم أمر بفتح صوان ملابسه ، وقاد « توريللو » اليه ، وسأله : « تأمل أيها المسيحى ، ما اذا كان بين هذه الثياب، ثوب رأيته من قبل» . وسرعان ما وقع بصر «توريللو» على الثوبين اللذين أهدتهما زوجته لصلاح الدين ، ولكنه لم يتصور ان يكونا هما بالذات ، فقال : « لست أتعرف يا مولاى على واحد منها ، وان كان بينها اثنان يشبهان بالفعل ما كنت أرتدى فيما مضى ، وما سبق ان أهديت لثلاثة تجار زارونى فى دارى ! »

ولم يعد « صلاح الدين » يقوى على تمالك نفسه ، فاحتواه بين ذراعيه فى ابتهاج ، وقال : « **أنت السيد توريللو ، من ايستريا ، وأنا أحد التجار الثلاثة الذين أهدتهم زوجتك هذه الثياب ، وقد آن الأوان لكى أبر بما وعدتك حين فارقتك ، من ان أريك تجارتى !** » . وعندما سمع « توريللو » ذلك ، تناوبه الفرح والخجل ، لأنه لم ير ان اكرامه لصلاح الدين كان لائقا بمقامه . ولكن صلاح الدين قال : « أما وقد ساقك

القدر الى هنا يا توريللو ، فاعتبر نفسك السيد هنا ، ولست أنا ! » • وهكذا عمد - بعد التعبير عن عظيم اغتباطه - الى ان خلع عليه ثيابا ملكية ، ثم قدمه الى كبار رجال دولته ، وأطنب فى اطراء مناقبه ، وسألهم أن يبدوا له من الاحترام والتبجيل عين ما يبدونه له هو ، اذا شاءوا ان يرضى عنهم • ولم يتوانوا فى تلبية ذلك ، لا سيما السيدان اللذان كانا يرافقان « صلاح الدين » فى رحلته !

وابعدت مظاهر العظمة والتكريم - عن ذهن « توريللو » - همومه بعض الوقت، لا سيما وانه كان يرجو ان تكون رسالتاه قد وصلتا الى عمه والى زوجته • وتصادف ان كان فى معسكر المسيحيين سيد صغير الشأن ، فقد حياته غيلة ، وكان اسمه « توريللو » مثل صاحبنا ، ولكنه كان من مدينة (دنييس) • **ولما كان « توريللو ديستريا » معروفا للجيش كله ، لما أبداه من نبل وبسالة ، فقد اتجهت الأفكار الى انه هو الذى مات • لذلك عاد معظم الايطاليين الى بلادهم حاملين النبأ ، وذهب بعضهم الى التأكيد بأنهم رأوه وهو يجود بآخر أنفاسه ، وانهم شهدوا دفنه ، فسبب هذا حزنا لزوجته وأقاربه ومعارفه، يجل عن كل وصف • وما ان خفت لوعة السيدة بعض الشيء ، حتى بدأ اخوتها وأهلها يضغطون عليها لتتزوج ثانية ، بعد ان رأوا كيف كان سادة (لومباردى) وكبراؤها يتقربون اليها • ورفضت السيدة عروضهم مرارا وهى تبكى ، ولكنها لم تر مفرا فى النهاية من الرضوخ ، على ان لا تقام حفلات رسمية ، وعلى ان لا يتم الزفاف الا بعد ان تنقضى الفترة التى وعدت بها « توريللو » !**

وهكذا جرت الأمور فى (بافيا) ، حتى لم يبق على نهاية المدة سوى ثمانية أيام • وحدث ذات يوم ان التقى « توريللو » برجل كان فى رفقة رسل (جنوا) - الذين ائتمنهم على رسالتيه - فعلم منه ان السفينة غرقت بعد ان بارحها فى (كريت) ! •• وما

ان استوثق « توريللو » من هذا ، حتى تذكر ان نهاية المهلة التي ضربها لزوجته قد اقتربت ، وان زوجته ولا بد قد قبلت الزواج ثانية ، اذ لم تبلغها أنباء منه ، فنخر الأسى قلبه ، وعاف القوت ، حتى أشرف على الهلاك • وما ان افتقده «صلاح الدين » ، حتى زاره • وما ان عرف منه بالقصة ــ بعد جهد ! ــ حتى لامه على انه لم يبادر الى مصارحته بها ، وسأله ان يسرى عن نفسه ، واعدا اياه بأن يكون فى (بافيا) قبل انقضاء اليوم الأخير •

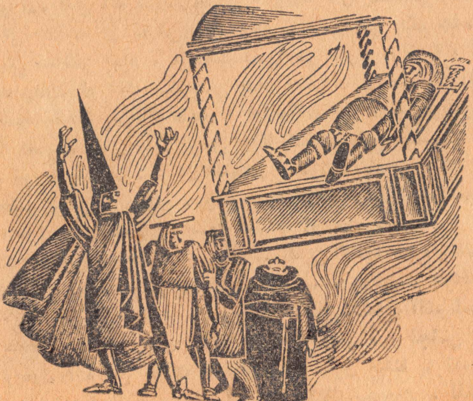
★ ★ ★

◆ واطمأن « توريللو » الى كلمات « صلاح الدين » ، لا سيما بعد ان شرح له خطته • وبالفعل ، بادر « صلاح الدين » الى استشارة من رأى استشارتهم، لابتكار طريقة لنقل « توريللو » ــ على سرير ــ الى (بافيا) ، فى يوم وليلة ! •• وما ان اطمأن الى هذا الأمر ، حتى رجع الى « توريللو » ، فوجده قد عاد الى هواجسه ، واذ ذاك قال له : « اذا كنت تحب زوجتك يا توريللو الى هذا الحد ، وقد أكربك ما تخشاه من ان تكون قد ارتضت سواك ، فلست ألومك ، فقد اوتيت من الخلق والمسلك ــ فضلا عن الجمال الذى لا تدوم نضرته لأنه شيء فان ! ــ ما لم أره لدى أية سيدة أخرى • ولقد كان يسعدنى حقا ــ بعد ان ساقك القدر الى هنا ــ ان نعيش معا، وان تعاوننى فى حكم هذه البلاد •• ولكن لا أحسبنى سأظفر بهذا ، ما دمت مصرا على بلوغ (بافيا) قبل فوات الأوان • ولقد وددت لو انك صارحتنى بهذا مبكرا ، لأبعث بك الى (بافيا) فى ركب وحاشية يليقان بمقامك عندى • أما وأنت فى عجلة للوصول فى أوجز فترة ممكنة ، فسوف أعنى بأن ترحل وفقا للخطة التى أفضيت اليك بها » •• فرد عليه توريللو قائلا : « ان البوادر ، دون الكلمات ، قد بينت بجلاء يا مولاى ، جليل شعورك نحوى ، وهو شرف رفيع يفوق ما استحق • وثق اننى سأظل معتزا بما قلت لى ، سواء عشت أو مت ! »

وأمر « صلاح الدين » أحد أبناء الجان ــ الذين كانوا طوع بنانه ! ــ فأعد سريرا من أفخم الاسرة ، فرش بالمخمل والقصب ، ووشيت حوافه بأحجار كريمة غالية • ثم امر بان يرتدى « توريللو » أجمل الثياب الشركسية وأثمنها ، وذهب ومعه جمع من كبار رجال بلاطه الى « توريللو » ، فجلس الى جواره ، وشرع يبكى ويقول : « لقد حانت الساعة التى تفرق بيننا يا توريللو ، ولما كنت لا أقوى على توديعك ، ولا أرضى بأن يودعك سواى ، لذلك رأيت ان

أودعك فى مخدعك هذا ، فأسلمك الى رعاية الله ، وأستحلفك بما بيننا من حب وصداقة ان تذكرنى دائما ، وان تسوى أمورك فى (لمباردي) اذا استطعت هذا - قبل نهاية أجلينا ! - وان تعود مرة أخرى الى زيارتى ، والى اتاحة الفرص لى كى أعوض ما حرمنى منه رحيلك من متعة رفقتك ! .. والى ان يحين ذلك ، دع الخطابات تنوب عنك فى زيارتى .. واطلب ما يروق لك من مطالب ، فليس فى الدنيا من يسعدنى ان أرضيه مثلك ! » .. ولم يتمالك « توريللو » نفسه من البكاء ، وأوضح فى ايجاز ان من المستحيل ان ينسى ما غمره به « صلاح الدين » من أفضال ، وانه لن يتوانى - اذا شاءت الأقدار - فى ان يلبى رغباته . وعانقه « صلاح الدين » فى رفق ، قائلا : « الله معك ! » .. ثم غادر الحجرة وهو يبكى !

وحمل « توريللو » الى السرير الذى كان موضوعا فى القاعة الكبيرة ، ثم أقبل طبيب بدواء قال انه مقو ، فما ان تناوله « توريللو » ، حتى راح فى سبات عميق . ثم أمر « صلاح الدين » ، فوضع على السرير تاج من أفخم التيجان وأغلاها ، وقد نقش عليه انه هدية من « صلاح الدين » الى قرينة « توريللو » . كما أحاط السلطان احد أصابع الرجل بخاتم ذى حجر كريم يرسل بريقا متوهجا كأنه اللهب ، ولا تقدر قيمته بمال . ووضع الى جواره سيفا ثمينا ، رصع غمده بالنقوش والأحجار النادرة . كما أحاط عنقه بقلادة من اللآلىء لا سبيل الى تقدير قيمتها . ثم وضع الى جانبيه جرتين مليئتين



بالجنيهات الذهبية ، والقلائد ، والأساور ، والأقراط اللؤلؤية . ولما تم ذلك ، قبل « توريللو » مرة أخرى ، وأمر الجان بأن يحمل السرير بمن فيه ، وينطلق الى غايته بأسرع ما فى وسعه !

★ ★ ★

◆ وفى الحال ، حمل الجان السرير ، و « توريللو » نائم فيه ، فلم ينزله الا فى كنيسة « سان بييترو » ـ فى (سييل دورو) ببافيا ـ حيث عثر عليه خادم الكنيسة فى الصباح التالى ، فذعر ، وهرع الى مطران الكنيسة والرهبان، الذين أقبلوا مضطربين ، فرأوا السرير الفخم ، العجيب ، والفارس النائم فيه . ووقفوا على مسافة منه ، وأخذوا يحملقون فيه ، وقد أمسكوا أنفاسهم لما رأوه من جواهر ولآلىء . وفى تلك الأثناء ، كان أثر المخدر قد زايل « توريللو » ، فأفاق ، وأرسل زفرة عميقة ، واذ ذاك صاح المطران والرهبان : « رحماك يا الهنا ! » .. و فروا هاربين . وهنا فتح « توريللو » عينيه وتلفت حوله ، فأسعده ان وجد نفسه حيث وعده « صلاح الدين » ، ونهض ، فما ان رأى الكنوز التى أتحفه بها « صلاح الدين » ، حتى ازداد ايمانا بكرمه ونبله . على انه لمح الرهبان أثناء فرارهم ، فأدرك السبب . ونادى المطران باسمه ، راجيا منه ان لا يخاف ، لأن الذى أمامه هو « توريللو » ابن أخيه . ولم يزد هذا القول المطران الا جزعا ، اذ كان قد علم ان ابن أخيه مات منذ شهور . على انه لم يلبث ـ حين كرر « توريللو » النداء ـ ان عاد وهو يرسم الصليب على صدره ، فقال له توريللو : « ما الذى يزعجكم يا أبت ؟ .. اننى على قيد الحياة ، ولله الحمد ، وها قد عدت من الخارج ! » . فاقبل عليه المطران يصافحه قائلا : « مرحبا بك يا بنى . ما ينبغى ان تدهش لخوفى ، اذ ليس فى المدينة احد لم يصدق نبأ موتك ، حتى ان زوجتك السيدة « ادالييرا » قد قبلت الزواج من سواك ، تحت توسلات أهلها وتهديدهم ، وستنقل اليوم الى بيت الزوج الجديد ، وقد أعد كل شىء لزفافها اليه ! »

اذ ذاك نهض « توريللو » ، فصافح المطران والرهبان ، وسألهم ان لا يذكروا شيئا عن عودته ، الى ان يفرغ من اداء مهمة معينة . ثم نقل الجواهر والأشياء الثمينة الى مكان أمين ، وروى للمطران ما جرى له . ورغب بعد ذلك فى ان يعرف من كان الزوج الثانى لزوجته ، فلما أنبأه المطران ، أعرب عن رغبته فى ان يعرف كيف ستستقبل زوجته هذا الزواج الثانى ، قبل ان تعرف بعودته . ومن ثم اصطحبه المطران معه الى مأدبة الغداء التى أقيمت لهذه المناسبة . واتجهت أنظار الحضور جميعا الى « توريللو » ، وهو فى ثيابه الشركسية ، لا سيما حين قدم للجميع على انه رسول من السلطان ، موفد الى ملك فرنسا . وتكريما له ، أجلس الى مائدة العروس ، وفى مقعد يواجه مقعدها . ولاحظ

ما كان على أساريرها من معالم تنم عن عدم رضائها عن الزواج · وكانت السيدة ترمقه بين آن وآخر ، وهو مطمئن الى انها لم تعرفه ، اذ كانت لحيته المرسلة تخفي ملامحه · وأخيرا ، رأى ان الفرصة قد سنحت ليختبر مدى ما تحتفظ به من ذكرى له ، فنادى شابا من الخدم وقال له : « قل للعروس ان من عادات قومي انه اذا حضر غريب مثل هذه المأدبة ، أبدت العروس ترحيبها به ، وذلك بأن ترسل اليه الكأس التي تشرب فيها ، مترعة بالخمر ، فاذا شرب الضيف حظه منها ، ردها اليها ، فشربت هي ما تبقى فيها ! » ·· ورأت السيدة ان واجب الضيافة والمجاملة يفرض عليها ارضاء الغريب ، الجليل القدر ، فأمرت بكأس ذهبية كبيرة ، ملئت بالخمر ، وارسلت اليه · ودس « توريللو » الخاتم – الذي كانت زوجته قد أهدته اليه عند رحيله ! – في فمه ، ثم أفلته في الكأس وهو يشرب · ولم يترك سوى قدر ضئيل من الخمر في الكأس ، ثم أرسل الكأس الى العروس ، التي رفعت غطاءها ، و همت بأن ترفعها الى شفتيها ، فلمحت الخاتم · وما ان تأملته مليا ، حتى تأكدت من انه الخاتم الذي قدمته لزوجها ، فتناولته ، وعادت تتفرس في الغريب ، ثم هبت واقفة ، وصاحت كالمذهولة : « هذا زوجي ومولاي ! ·· انه توريللو حقا ! »

وهرعت الى حيث كان يجلس ، غير حافلة بأحد ، ولا مكترثة لشيء ، فطوقت عنقه ، وضمته في شدة !

وبعد ان هدأت الضجة التي أثارتها عودة الفارس الجليل ، سأل «توريللو» الجميع ان يسكتوا ، ثم راح يروى لهم ما حدث له مذ غادر داره ، حتى ساعته تلك ، راجيا ان لا يكون السيد – الذي كان موشكا ان يتزوج من زوجته – قد استاء لوجوده على قيد الحياة ، واسترداده زوجته · ومع ان استياء الرجل لم يكن بالقليل ، الا انه أبدى فرحة بعودة « توريللو » لا تقل عن فرحته وهو موشك على الزواج من السيدة ! ·· وأقيمت أفراح هائلة لعودة « توريللو » ، الذي وزع الجواهر – التي حمله اياها صلاح الدين – على المطران والحضور ، كما سدد بجزء منها النفقات التي كانت قد انفقت على الاحتفال بزفاف زوجته الى الزوج الثاني !

وما لبث « توريللو » ان أرسل الى « صلاح الدين » يطمئنه الى وصوله السعيد ، وظل منذ ذلك الحين صديقا مخلصا له · وعاش سنين عديدة – بعد ذلك – مع أفضل الزوجات في الحياة ، مستأنفا ما كان من عادته ، من اكرام للضيف ، واحتفاء بالغريب !

محتويات الكتاب

المطبعة العالمية ١٦ شارع ضريح سعد بالقاهرة

أتاحت لك « مطبوعات كتابي » - منذ مولدها - رحلات ممتعة في عوالم: الأدب الإنجليزي، والفرنسي، والأمريكي، والإيطالي، واليوناني، والنمسوي.. ولم تشأ أن تختتم مجلدها الأول دون أن تضع تقليداً طيباً، هو أن توجه الفكر المصري، في نهضته، إلى مناهل الشرق، فحملتك في العدد الماضي مع "طاغور" إلى ربوع الهند، بلاد السحر والخيال!

وتبدأ « مطبوعات كتابي » مجلدها الثاني بأن تقدم لك في هذا العدد: "ديكاميرون".. أو "ألف ليلة وليلة الإيطالية"، التي كتبها عميد أدباء عصر النهضة "جيوفاني بوكاشيو"، ليسلي بها حبيبته عند ما تفشى الطاعون في إيطاليا، في النصف الأول من القرن الرابع عشر!

فاحرص على اقتناء هذه السلسلة كاملة، تؤسس لبيتك وأولادك أنفع وأمتع مكتبة للثقافة العالمية باللغة العربية

